جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الطغيان

(دراسة قرآنية)

إعداد

نادر مصطفى محمد صوافطة

إشراف

د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2015م

الطغيان

(دراسة قرآنية)

إعداد

نادر مصطفى محمد صوافطة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2015/12/23م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

- د.عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً
- د. محمد عيّاش / ممتحناً خارجياً
- د. منتصر الأسمر / ممتحناً داخلياً

التواقيع

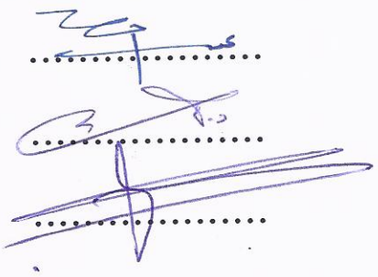

الإهداء

إلى الذين يسيرون على خطى النبي الحبيب ﷺ

إلى الذين قضوا نحبهم في سبيل الله تعالى

إلى الذين أفنوا أعمارهم خلف قضبان السجون رفضاً للذل والهوان

إلى المجاهدين المرابطين على أرض فلسطين

إلى حماة الأقصى وحراس المسرى

إلى كل حر شريف أقضّ مضاجع الطغيان

إلى والديَّ الكريمين حفظهما الله تعالى ورعاهما

إلى زوجتي الصابرة الغالية

إلى فلذات كبدي ومهجة عيني أبنائي الأعزاء

إلى كل من أسرهم في إتمام هذه الدراسة لترى النور

إليهم جميعاً أهدي هذه الرسالة

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين المعتدين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور عودة عبد الله المشرف على رسالتي، والذي أمدني بكل عون ومساعدة وتوجيه، فتابع رسالتي بهمة عالية، وصدق وإخلاص، فكان له الفضل الكبير في إتمام هذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود.

كما وأتقدم بأصدق معاني الشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمين الدكتور:....ممتحناً خارجياً والدكتور:.....ممتحناً داخلياً.

كما وأتقدم بخالص شكري وامتناني إلى جميع المحاضرين في كلية الشريعة، الذين يؤدون واجبهم على أحسن وجه، ويقومون على خدمة هذا العلم النبيل.

وأشكر من أعماق قلبي كل من قدم لي المساعدة والعون من حيث التدقيق والتنقيح للمادة العلمية، وإخراجها بشكل فني مناسب.

---

[1] ابراهيم:7.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الطغيان (دراسة قرآنية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Acknowledgment

He acknowledged that it included him this message but it is a product of your best with the exception of what has been referred to where stated , although this letter as a whole , or any part thereof has not presented before to win any degree or scientific or research title with any other educational or research institution

اسم الطّالب: نادر مصطفى مواقعه Student's name:

التوقيع: Signature:

التـــــاريخ: ٢٠١٥/١٢/٢٢ Date:

فهرس المحتويات

الموضوع	الصحفة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	ذ
مقدمة	1
الدراسات السابقة	2
أهمية الدراسة	3
أسباب اختيار الموضوع	3
مشكلة الدراسة	3
منهجية الدراسة	4
خطة الدراسة	5
الفصل الأول: مفهوم الطغيان ودلالته في السياق القرآني	7
المبحث الأول: معنى الطغيان	8
المطلب الأول: معنى الطغيان في اللغة	8
المطلب الثاني: معنى الطغيان في الاصطلاح	10
المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة	12
المبحث الثالث: الطغيان في السياق القرآني	20

المطلب الأول: ورود مادة (طغى) في القرآن الكريم	20
المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (طغى) في القرآن الكريم	25
الفصل الثاني أسباب الطغيان ودوافعه	29
المبحث الأول: أسباب الطغيان ودوافعه الذاتية	29
المطلب الأول: الكبر والعلو	29
المطلب الثاني: العجب والغرور	31
المطلب الثالث: الحقد والحسد	33
المبحث الثاني: أسباب الطغيان ودوافعه الخارجية	35
المطلب الأول: الملك والسلطة	35
المطلب الثاني: المال والولد	37
المطلب الثالث: غفلة الناس عن حقوقهم وقبولهم الظلم	40
الفصل الثالث: مجالات الطغيان	44
المبحث الأول: الطغيان العقدي	45
المطلب الأول: خطورة الطغيان العقدي وآثاره السلبية عبر التاريخ	45
المطلب الثاني: ملامح الطغيان العقدي عند فرعون	52
المبحث الثاني: الطغيان السياسي	56
المطلب الأول: الطغيان السياسي ظاهرة قديمة	56
المطلب الثاني: أثر الطغيان السياسي على الفرد والمجتمع	57
المطلب الثالث: دور أعوان الطغاة (الملأ) في الطغيان السياسي	60
المبحث الثالث: الطغيان الاجتماعي	64

المطلب الأول: ظلم الأفراد	65
المطلب الثاني: ظلم الأسرة	69
المطلب الثالث: ظلم المجتمع	76
المبحث الرابع: الطغيان المالي	81
المطلب الأول: حقيقة المال	81
المطلب الثاني:الناس والمال	82
المطلب الثالث: نماذج من الطغيان المالي	83
الفصل الرابع: آثار الطغيان	91
المبحث الأول: آثاره على الطغاة	92
المطلب الأول: الضلال	92
المطلب الثاني: ظلم النفس	93
المطلب الثالث: الغضب واللعنة	96
المطلب الرابع: كره العباد للطاغية	98
المطلب الخامس: حمل أوزار الأتباع يوم القيامة	100
المبحث الثاني: آثاره على المجتمع	103
المطلب الأول: ظلم العباد	103
المطلب الثاني: إفساد المجتمع وهلاك الأمم	106
الفصل الخامس: طرق الوقاية من الطغيان	110
المبحث الأول: حماية الفرد لنفسه من الطغيان	111
المطلب الأول: توحيد الله عزوجل	111

المطلب الثاني: التمسك بالكتاب والسنة	114
المبحث الثاني: حماية المجتمع لذاته من الطغيان	117
المطلب الأول:التربية الصحيحة لأفراد للمجتمع	117
المطلب الثاني: الحوار والجدال مع الطغاة	120
المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	123
المطلب الرابع: الشجاعة والمبادرة في مواجهة الطغاة	126
الفصل السادس: نماذج من الطغيان وردت في القرآن الكريم	131
المبحث الأول: طغيان فرعون	132
المبحث الثاني: طغيان قوم نوح	157
المبحث الثالث: طغيان بني إسرائيل	168
الخاتمة	183
النتائج	183
التوصيات	185
المسارد	186
مسرد الآيات القرآنية	187
مسرد الاحاديث	204
قائمة المصادر والمراجع	206
Abstract	B

الطغيان

(دراسة قرآنية)

إعداد

نادر مصطفى محمد صوافطة

إشراف

د.عودة عبد الله

الملخص

تناول الباحث في هذه الرسالة موضوع الطغيان من خلال آيات القرآن الكريم، وكانت على النحو الآتي:

تحدث الباحث في الفصل الأول عن الطغيان في اللغة والاصطلاح معرجا على الألفاظ ذات الصلة؛ كالعتو والعلو والعدوان والبغي والظلم، وترجع كلها إلى معنى تجاوز الحد، وكذلك فيه الحديث عن الطغيان في السياق القرآني.

ثم يليه الفصل الثاني في ذكر أسباب الطغيان ودوافعه، الذاتية منها؛ كالكبر والعجب والحسد، والخارجية منها؛ كالملك والسلطة والمال.

ثم الفصل الثالث في مجالات الطغيان: العقدي والسياسي والمالي والاجتماعي.

ثم تحدث الفصل الرابع عن آثار الطغيان على الطغاة بنيلهم الضلال وغضب الله تعالى وكره العباد لهم، وكذلك آثاره على المجتمع بنيله الظلم والفساد والهلاك.

ثم الفصل الخامس في تعداد طرق الوقاية من الطغيان من قبل الأفراد بقيامهم بتوحيد الله تعالى والتمسك بالكتاب والسنة، ومن خلال المجتمع بقيامه بالتربية الصحيحة للأفراد، والحوار مع الطغاة ومجادلتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشجاعة في مواجهة الطغاة.

ثم الفصل السادس بذكر نماذج من الطغيان وردت في القرآن الكريم، يظهر من خلالها وجود الطغيان لدى الأقوام والأفراد.

وقد ظهر من خلال هذه الرسالة أن الطغيان مرض خطير، وله عواقب وخيمة على الإنسانية جمعاء، وقد حاربه الله سبحانه وتعالى من خلال العديد من آيات القرآن الكريم التي حذرت منه، وكشفت قبحه وسوأته، ودعت إلى الابتعاد عنه ومواجهته بكل السبل المشروعة، نظراً لما ينتج عن وجوده تلويث للحياة وقتل للأحياء.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين العابدين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ وصحبه أجمعين، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه، واستنّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

تأملتُ واقع البشرية عموماً، وواقع أمتنا خصوصاً، فارتدَّ إليَّ البصر حزيناً، وانهمرت عيناياَ دموعاً، وامتلأت نفسي همَاً وغمَاً وكآبةً، وانتفضت جوارحي غضباً وسخطاً، وارتعدت فرائصي فزعةً، على ما شاهدت من طغيان ومآس وجراح، ألقت بأحمالها وحممها على كثير من البلدان، فأذاقتها لهيباً من النار، وأصابتها بشواظها الحارقة، وأنزلت بها الخراب والدمار، فوليت وجهيَ مسرعاً شطر القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي قال فيه رب العالمين: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]، لأتأمل سوره، وأتدبر آياته، وأدرك أحكامه، وأجني العبر من قصصه، وأصطاد الحكمة من معانيه، وذلك لأن القرآن العظيم من أجلِّ نعم الله تعالى على البشرية جمعاء، فهو كلام رب العالمين، وصراطه المستقيم، من تمسك به فقد أفلح واهتدى، ومن تركه كانت حياته جحيماً وضنكى، لذلك كان من الواجب على كل مسلم الإقبال على القرآن الكريم، تلاوةً وتدبراً وحفظاً وفهماً لمعانيه، حتى يتمثلها حية في واقعه المعاش، ويلتزم بها سلوكاً في حياته الخاصة والعامة، لذلك كله أقبلت على كتاب رب العالمين، فوجدت فيه من الحديث الطويل عن الطغيان، فتوقفت عند كل آية تحدثت عن هذا الخلق الأثيم، لأقطف منها كل عبرة وفائدة تكون علاجاً وإرشاداً للناس كافة، تنقذهم من عواقب الطغيان، وتخرجهم من كل ضلالة وعصيان، بعد أن عمَّ الطغيان معظم العواصم والبلدان، وأقبل عليه كثير من الناس دون تردد ولا حسبان، فانقلبت حياتهم إلى خسارة وهجران، وحلَّت بينهم العداوة والبغضاء.

لذلك جاءت هذه الرسالة تكشف للمسلم عن حقيقة الطغيان، وتبين له أسبابه ودوافعه، وتبرز لهم مجالاته المتعددة، وآثاره على الطغاة والأفراد، وتهديهم إلى سبل الوقاية منه على مستوى المجتمع والأفراد، وتسوق لهم نماذج من الطغاة لأخذ الحيطة والاعتبار، ليتسنى لكل

[1] الأنعام:38.

مسلم الوقوف على جوهر هذا الطغيان كما بينته آيات الرحمن، فيكون على بصيرة منه، يحذره ويبتعد عنه ويسعى جاهداً لمقاومته، ومن ثم ليطلع على منهج القرآن الذي أكثر من الحديث عن الطغيان، كيف تناوله وفصله وبينه، فيكون المسلم على بينة ودراية شاملة بهذا الموضوع.

الدراسات السابقة

وجدت عدة دراسات تحدثت عن الطغيان في القرآن الكريم، وذلك عبر المواقع الإلكترونية ولكنني- حسب اطلاعي- لم أعثر على دراسة تناولت الموضوع وفق المعطيات التي تناولتها، ومن الدراسات التي تناولت الموضوع:

1 -رسالة دكتوراة للدكتور عمار يوسف ميكائيل بعنوان "**مفهوم الطغيان والطغاة في القرآن الكريم**"، الجامعة العراقية- كلية الآداب، 2008م، تحدث الكاتب فيها عن مفهوم الطغيان والطاغوت ووجوه كل منهما، إضافة إلى تاريخ الطغيان والطغاة والألفاظ المتضمنة لمعنى الطغيان في القرآن الكريم، وصيغ الطغيان في السياق القرآني.

2 -رسالة ماجستير للدكتور عبد الرحمن عمر اسبينداري بعنوان "**الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني** ". تحدث الكاتب فيها عن مفهوم الطغيان السياسي في القرآن الكريم، والألفاظ ذات الصلة، كما وذكر صوراً من الطغيان، كطغيان الحاكم وطغيان الملأ، ثم تحدث عن دوافع الطغيان السياسي الذاتية والخارجية، وأساليب الطغاة المعنوية والمادية، وسبل منع الطغيان السياسي وغيره سواء كانت سبلاً معنوية أو وقائية.

3 -رسالة ماجستير للدكتور هلال حزام سند بعنوان "**الطغيان في القرآن الكريم** "، جامعة الإيمان، 2005م، ولم أتمكن من الاطلاع على مضمونها لعدم نشرها على المواقع الإلكترونية والإكتفاء فقط بنشر عنوانها.

4 -رسالة ماجستير للطالب عاطف اللحام بعنوان "**طغيان الحكام وخفة الشعوب** ". تحدث فيها الكاتب عن طغيان الحكام، وملامح أنظمة الطغاة، وخفة الشعوب ودورها في وجود هذا الطغيان. وهي رسالة منشورة على الإنترنت/ الجامعة الإسلامية بغزة.

5 -الطغاة والطغيان في القرآن / خالد رمضان عثمان/ مجلة البيان.

فيما تناولت هذه الدراسة مفهوم الطغيان ودلالته في السياق القرآني وأسباب ودوافع الطغيان بصورته العامة ومجالاته، إضافة إلى آثاره على الطغاة وعلى المجتمع وطرق الوقاية منه، مع ذكر ثلاثة نماذج للطغاة، وهذه الجوانب لم تتطرق إليها الدراسات السابقة، وهذا ما يجعلها تتميز عنها.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال اهتمام القرآن الكريم بموضوع الطغيان، وبيان خطورته على الناس جميعاً، ومدى تأثيره على أمة الإسلام إن انتشر فيها، فالقرآن الكريم جاء رحمة للعالمين، وهدايةً وتوجيهاً للمسلمين، فأوضح لهم الطريق المستقيم، المفضي إلى مرضاة رب العالمين، ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في الآتي:

1 -حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات القرآنية خاصة إلى مثل هذا النوع من الدراسة.

2 -الضرورة القصوى إلى تبصير المسلمين بالطغيان، وحثهم على تجنبه والابتعاد عنه، لما في ذلك من آثار حسنة تعود على أفراد المجتمع جميعاً.

3 -توعية الناس جميعاً بأن الطغيان عواقبه وخيمة، ونتائجه كارثية على الجميع، أعلاها استحقاق غضب الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع

لقد وقع اختياري لهذا الموضوع لعدة أمور، منها:

1 -التعرف على حقيقة الطغيان، وأسبابه ودوافعه، ومجالاته، وآثاره، وطرق الوقاية منه.

2 -عدم وجود دراسة تناولت موضوع الطغيان بشكل كامل، وإنما وجدت دراسات ومقالات على شبكة الإنترنت تناولت بعض جوانبه.

مشكلة الدراسة

الكثير من الناس في هذا الزمان يمارسون الطغيان ويوقعونه على غيرهم، وقد يجهلون الأسباب والدوافع التي تقودهم لهذا التصرف، وبالتالي فإنهم يوردون أنفسهم المهالك، وينزلون

بالآخرين الألم والمعاناة التي لا تطاق، لذا جاءت هذه الدراسة تبين للناس وتكشف لهم عن هذا الطغيان، وتطلعهم على أسبابه، وترشدهم على طرق الوقاية منه، حتى تكون حياتهم آمنة سليمة من كل مظاهر الطغيان والعصيان.

وتجيب الدراسة على الأسئلة التالية:

1 - ما المقصود بالطغيان؟
2 - ما المنهجية التي سلكها القرآن الكريم في بيان أسباب ودوافع الطغيان؟
3 - هل هناك مجالات للطغيان تحدث عنها القرآن الكريم؟
4 - ما الآثار المترتبة على شيوع الطغيان؟
5 - هل من طرق يمكن من خلالها الوقاية من الطغيان؟
6 - هل اشتمل القرآن الكريم على ذكر نماذج للطغاة؟

منهجية الدراسة

سلك الباحث في هذه الدراسة المناهج العلمية الآتية:

1 - المنهج الاستقرائي؛ وذلك من خلال تجميع الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الدراسة، ثم تبويبها وترتيبها بما يتناسب وفصول هذه الدراسة ومباحثها ومطالبها، شأن المنهج الذي تسير عليه دراسات التفسير الموضوعي للقرآن.
2 - المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال تجميع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من كتب التفسير القديمة والحديثة، واستخراج التوجيهات والقيم والحكم التي تخدم موضوع الدراسة.
3 - المنهج التطبيقي؛ وذلك بدراسة موضوع الطغيان كنموذج عملي من خلال القصة القرآنية.

خطة الدراسة

تتكون خطة هذه الدراسة من: مقدمة، وستة فصول، وخاتمة، وهي على النحو التالي:

الفصل الأول: مفهوم الطغيان ودلالته في السياق القرآني وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الطغيان.

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثالث: الطغيان في السياق القرآني.

الفصل الثاني: أسباب الطغيان ودوافعه وفيه مبحثين:

المبحث الأول: أسباب الطغيان ودوافعه الذاتية.

المبحث الثاني: أسباب الطغيان ودوافعه الخارجية.

الفصل الثالث: مجالات الطغيان وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الطغيان العقدي.

المبحث الثاني: الطغيان السياسي.

المبحث الثالث: الطغيان الاجتماعي.

المبحث الرابع: الطغيان المالي.

الفصل الرابع: آثار الطغيان وفيه مبحثين:

المبحث الأول: آثاره على الطغاة.

المبحث الثاني: آثاره على المجتمع.

الفصل الخامس: طرق الوقاية من الطغيان وفيه مبحثين:

المبحث الأول: حماية الفرد لنفسه من الطغيان.

المبحث الثاني: حماية المجتمع لذاته من الطغيان.

الفصل السادس: نماذج من الطغيان في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طغيان فرعون.

المبحث الثاني: طغيان قوم نوح.

المبحث الثالث: طغيان بني إسرائيل.

الفصل الأول

مفهوم الطغيان ودلالته في السياق القرآني

المبحث الأول: معنى الطغيان

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة

المبحث الثالث: الطغيان في السياق القرآني

المبحث الأول

معنى الطغيان

ويتناول هذا المبحث معنى الطغيان في اللغة وفي الاصطلاح

المطلب الأول: معنى الطغيان في اللغة

لكل لفظة دلالتها الخاصة بها، التي تقدمها حسب موقعها في السياق، لأن اللفظة يجب أن تكون متناغمة مع السياق ومتناسقة معه في المعنى، ومن ضمن تلك الألفاظ لفظة (الطغيان) التي وردت في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، وقد عرفها العلماء من الناحية اللغوية وفق الآتي:

قال ابن فارس: "الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ منقاس، وهو: مجاوزة الحد في العصيان"[1].

وقال الخليل: "الطُّغيان: الواو لُغةٌ فيهِ. وَقد طَغوت وطَغيت. وا لاسم الطَّغوَى. وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَى، مثل ما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود"[2].

وذكر السجستاني أن طغى: "تَرفَّع وعلا حتى جاوَزَ الحد أو كاد "[3].

وفي تاج العروس: "وطغى الماء: ارتفع وعلا حتى جاوز الحد في الكثرة"[4].

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/1399ه، (412/3).

[2] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت: 175هـ)، **العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ن)، (435/4).

[3] السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، (ت:330هـ)، **غريب القرآن**، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، (د.ط)، 1416ه، (318/1).

4 الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، ط2- الكويت، (د.ن)، (492/38).

"وطغى السيل: اذا جاء بماءٍ كثير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾[1] وطَغى البحر: هاجت أمواجه "[2].

ويقول السعدي: "(طغا) و(طَغ ي) طَغَوْا طُغْيانا، وطُغوانا (وطغىً): أسرفَ في الظلمِ والمعاصي"[3].

ويقول ابن منظور: "طغى يطغى طغيا ويطغو طغيانا: جاوز القدر وارتفع... وكل شيء جاوز القدر فقد طغى"[4].

ويذكر النحاس أن الطاغية والطاغوت مشتقان من طغى، قال: "أصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان"[5] وجمع طاغوت طواغيت، ورد في الحديث الشريف "لا تحلفوا ب الطواغي ولا بآبائكم"[6]، فالطواغي جمع طاغية[7].

بعد استعراض تعريف العلماء للطغيان لغة يتبين أنه: مجاوزة الحد أو مجاوزة القدر المعلوم. وأن هذا التجاوز للحد أو القدر المعلوم لا يمكن قصره على معنى بعينه، وإنما ذلك متعلق بحسب وروده في السياق. أما ما ذكره بعضهم من أنه مجاوزة الحد في الظلم أو العصيان أو المعاصي وغيرها من المعاني؛ فإن ذلك عائد لموقعها وورودها في الاستعمال.

---

[1] الحاقة:11

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538ه)، **أساس البلاغة**، دار الفكر، (د.ط)، 1399هـ، (391/1).

[3] السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، (ت:515ه)، **الأفعال**، عالم الكتب- بيروت، (ط1/1403هـ-1983م)، (312/2).

[4] ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، (ط3/1414هـ)، (8/15).

[5] النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر، (ت:338هـ)، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة -جامعة ام القرى، (ط1/1409هـ)، (269/1).

[6] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: 261ه)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي -بيروت، (د.ط)، (د.ن)، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث رقم 1648، (1268/3).

[7] ابن منظور، **لسان العرب**،(15/7).

المطلب الثاني: معنى الطغيان في الاصطلاح

عرف ابن القيم الطاغوت بأنه: "كل ما تجاوز العبد به حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته"[1].

وعرف عبد الكريم زيدان الطغيان بأنه:"تجاوز الإنسان حده وقدره، وحد الإنسان هو ما حده الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها وقدر الإنسان هو ما قدره باعتباره عبداً لله تعالى فتلزمه طاعة سيده ومولاه وبقاؤه في نظام العبودية له" [2]. يظهر من خلال كلامه أنه بيان وتوضيح لما ساقه المفسرون السابقون [3] من تعريفهم للطغيان ومنهم البغوي في تفسيره بأنه: " مجاوزة الحد" [4].

---

[1] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت: 615هـ)، **إعلام الموقعين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت، 1973، (50/1).

[2] زيدان، عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** ، (مؤسسة الرسالة –بيروت)، (ط1413/1هـ)، ص189–190.

[3] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ط)، (د.ن)، (443/4). ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الاندلسي، (ت: 546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط 1413/1)، (86/1). الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت: 604هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1421/1هـ)، (57/18). القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، (1423/1هـ)، (209/1). الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت: 725هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر – بيروت/ لبنان – 1399هـ، (د.ط)، دون تحقيق، (35/1).

[4] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 516 هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، (ط1417/4هـ)، (68/1).

من خلال ما سبق يمكن القول إن الطغيان في الاصطلاح هو مجاوزة الحد، وهو بذلك لا يخرج عن معناه في اللغة، وقد يكون في الأمور المادية، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ "[1]، يقول الطبري: "إنا لما كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف"[2]. وقد يكون في الأمور المعنوية، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[3] قال السعدي: "جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه"[4].

ومن الأمثلة على معنى الطغيان في الشرع قوله تعالى: "﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[5] قال الزمخشري: "ولا تخرجوا عن حدود الله "[6]. وقوله تعالى:"﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾[7]. قال النيسابوري في تفسيره:"ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه"[8].

وبهذا التعريف الاصطلاحي للطغيان يلاحظ أنه لا يخرج عن معناه اللغوي.

---

[1] الحاقة:11.

[2] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (ت: 310ه)، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420ه)، (577/23).

[3] طه:43.

[4] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376ه)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420ه)، (506/1).

[5] هود:112

[6] الزمخشري، **الكشاف**، (407/2).

[7] العلق:6

[8] النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: 437ه)، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، (ط1/ 1422 هـ – 2002 م)، (246/10).

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة

تعددت الكلمات التي تشترك مع الطغيان في مفهومها وهي كثيرة، ويقتصر هذا المبحث على بعض الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الطغيان، والهادف إلى معرفة المعنى لهذه الألفاظ، ومعرفة العلاقة بينها وبين الطغيان.

أولاً: العتو

قال ابن فارس: "العين والتاء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على استكبار"[1].

وذكر أهل اللغة أن:"عتا وعُتِيًّا وعِتِيًّا وعُتُوًّا: اسْتَكْبَرَ وجاوزَ الحَدّ"[2].

وقد وردت كلمة العتو في القرآن الكريم في ثماني آيات[3]، دلت في جميعها على التجاوز في الحد أو القدر، ومنها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[4]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[5]. يقول النيسابوري في تفسيره: "عتت على خزانها فلم تطعهم وجاوزت المقدار"[6].

وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾[7]. قال ابن عاشور: "والعُتوّ تجاوز الحد في الكِبْر"[8].

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (225/4).

[2] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، بدون معلومات نشر، (1688/1). وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (27/15).

[3] عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ط)، **(445/1-446)**.

[4] الفرقان:21

[5] الحاقة: 6

[6] النيسابوري، **الكشف والبيان**، **(26/10)**.

[7] الأعراف:77.

[8] ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية** ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (د.ط)، 1997 م، (226/8).

وذكر أبو هلال العسكري أن هناك فرقاً بين الطغيان والعتو وهو: "أن الطغيان مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾[1] يقال: طغى الماء إذا جاوز الحد في الظلم، والعتو المبالغة في المكروه، فهو دون الطغيان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[2] "[3].

ويبلغ العتو مبلغه من الإنسان حين تمتلئ نفسه بالاستكبار الذي يؤدي بصاحبه إلى الطغيان الكبير، كما بين ذلك سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[4]، إذ يقول: "لقد عظم شأنهم في نظر أنفسهم، فاستكبروا واطغوا طغياناً كبيراً"[5].

ثانياً: العلو

العلو في اللغة ضد السفل، وهو بمعنى الارتفاع والعظمة والتجبر والتكبر والطغيان، يقال: علا المَلِك في الأرض عُلُوًّا كبيراً [6].

ومنه قوله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ [7] أي:" يعلوهم ثياب الحرير الخضر"[8].

---

[1] الحاقة:11.

[2] مريم:8

[3] العسكري، أبو هلال،(ت:395هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، (ط1412/1ه)، (231/1).

[4] الفرقان:21.

[5] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي ، (ت: 1385ه‍ـ)، **في ظلال القرآن** ، دار الشروق، القاهرة، (ط 1412/17هـ)، (2558/5).

[6] انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** ، (113/4). الأزهري، محمد بن أحمد بن الازهري الهروي، أبو منصور، (ت:370ه‍ـ)، **تهذيب اللغة** ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي –بيروت، (ط 2001/1م)، (117/3). الأصفهاني، أبو القاسم ، الحسين بن محمد، (ت: 502ه‍ـ)، **المفردات في غريب القرآن** ، دار المعرفة–لبنان، (د.ط)، (د.ن)، (345/1). مصطفى إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ن)، (625/2).

[7] الإنسان:21.

[8] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت:1429ه‍ـ)، **التفسير المنير**، دار الفكر المعاصر، بيروت– دمشق، (د.ط)، 1418ه، (285/29).

وقد ورد لفظ العلو ومشتقاته في القرآن الكريم سبعين مرة [1]. حيث ارتبطت صفة العلو بالطغاة على مر العصور، فقد وسم الله سبحانه وتعالى فرعون بهذه الصفة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] أي: استكبر وتجبر وتعظم وبغى في أرض مملكته، فقد طغى وجاوز الحدّ في الظلم[3]، كما وسم الله تعالى بها بني اسرائيل، فإن فسادهم وعلوهم مستمر في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[4] أي: متكّبرين قاهرين غيرهم بالظلم[5].

يُلحظ أن الطغيان لا يمكن وقوعه دون علو في الأرض ولا فساد، سواء أكان الطاغية فرداً كحال فرعون، أو جماعة كحال بني إسرائيل.

ثالثاً: العدوان

عرف الفراهيدي العدوان بأنه: "التعدّي في الأمرِ وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليهِ"[6]. وقال الراغب: "العَدْو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان... الاعتداء مجاوزة الحق، قال تعالى ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ﴾[7]"[8] أي: "لتظلموهن بمجاوزتكم في أمرهن حدودي التي بينتها لكم"[9]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾[10] أي: "يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى"[11].

---

[1] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (481/1-482).

[2] القصص:4.

[3] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (396/3). الرازي، **مفاتيح الغيب**،(3479/1).

[4] الإسراء:4.

[5] انظر: النيسابوري، **الكشف والبيان**، (48/7). الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (38/5).

[6] الفراهيدي، **كتاب العين**، (213/2).

[7] البقرة:231.

[8] الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، (326/1).

[9] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، **(8/5)**.

[10] النساء: 14.

[11] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (353/1).

وينقسم العدوان إلى قسمين:

1 -"العُدْوَانِ المحظور ابتداء، كقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [1] "[2].

وقال المناوي:"العدوان سوء الاعتداء في قول أو فعل أو حال"[3].

2 -"العُدْوَانِ الذي هو على سبيل المجازاة، ويصحّ أن يتعاطى مع من ابتدأ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]"[5].

وقد ورد العدوان في القرآن الكريم في مائة وست آيات [6]، وجاء بمعنى تجاوز الحد في الشر[7] وتجاوز العدالة[8] وتجاوز الحد من الحق إلى الباطل[9]وتَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي غَيْرِ مَا يجب[10].

وقد جاء العدوان عند عدد من المفسرين بمعنى مجاوزة الحد [11]، ومن الآيات التي اشتملت على هذه المعاني:

---

[1] المائدة:2.

[2] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (554/1).

[3] المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت: 1031ه)، **التوقيف على مهمات التعاريف** ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت ، دمشق، (ط1/1410هـ)، (508/1).

[4] البقرة: 193

[5] المرجع السابق، (554/1).

[6] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (449/1-450).

[7] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د.ط)، (د.ن)، (82/14).

[8] الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد ، (ت: 502هـ)، **تفسير الراغب** ، تحقيق ودراسة : د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، (ط1/1420هـ)، (1206/3).

[9] طنطاوي، محمد سيد، (ت: 1430ه)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، (د.ن)، (151/5).

[10] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، (ط1/1414هـ)، (196/4).

[11] انظر: ابن عادل الحنبلي ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، (ت: 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب** ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (321/3). البخاري، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي، (ت: 1307هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق ومراجعة: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، (د.ط)، 1412ه، (344/1). طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (398/10).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وقد بين الراغب الفرق بين العدوان والطغيان، فقال: "إن العدوان تجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[3] أي: من تجاوز معكم المقدار المأمور بالانتهاء إليه فتجاوزوا معه قدره؛ لتكون العدالة محفوظة في المجازاة. وأما الطغيان فتجاوز المكان الذي وقفت فيه، ومن أخَلَّ بمَا عيِّنَ له من المواقف الشرعية، والمعارف العقلية، فلم يرعها فيما يتحرَاه ويتعاطاه فقد طغى، وعلى ذلك ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ** ﴾[4] أي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل"[5].

رابعاً: البغي

قال الكفوي : " بغى: ترفع وعلا وجاوز المقدار "[6]، و البَغْيُ هو: "التعدي. وبَغَى عليه استطال... وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بَغْيٌ"[7].

و"(بغى) فلان بغيا تجاوز الحد واعتدى، وفي التنزيل العزيز ﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[8] وتسلط وظلم، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَلَوْ بَسَطَ

---

[1] الأنعام:108.

[2] البقرة:173

[3] البقرة:194

[4] الحاقة:11

[5] الأصفهاني، **تفسير الراغب**، (104/1).

[6] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، (377/1).وانظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت: 606ه)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ب(د.ط)، (1399هـ – 1979م)، (453/1).

[7] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، (ت: 666ه)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، (1415هـ)، (73/1).

[8] الحجرات:9.

ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1] وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾[2]"[3].

وقد يكون البغي محموداً وقد يكون مذموماً، وقد ذكر المناوي ذلك فقال: "والبغي ضربان أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع ، والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما يجاوره من الأمور المشتبهات . وبغى الجرح: تجاوز الحد في فساده ، والمرأة فجرت ، والسماء تجاوزت في المطر حد المحتاج إليه . فالبغي في أكثر المواضع مذموم"[4].

و"لأن البغي قد يكون محموداً ومذموماً قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[5] فخص العقوبة ببغيه بغير الحق".[6]

وقد وردت كلمة البغي ومشتقاتها (115) مرة في القرآن الكريم[7]، وجاء بمعنى مجاوزة الحد، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[8] أي: "الظلم والكبر والإستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله"[9]وقوله تعالى: ﴿ يَبۡغِيَانِ ﴾[10]أي: "مجاوزة الحد"[11]وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا

---

[1] الشورى:27.

[2] القصص:76.

[3] إبراهيم مصطفى–وآخرون، **المعجم الوسيط**، (64/1).

[4] المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (138/1).

[5] الشورى:42.

[6] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: 1414هـ)، **الموسوعة القرآنية**، مؤسسة سجل العرب، (د.ط)، 1405هـ، (63/8).

[7] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (131/1–133).

[8] البقرة:173.

[9] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (2/ 196).

[10] الرحمن:20.

[11] ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (ط1/1419هـ)، (318/18).

بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، أي: "فتجاوزوا فيها إلى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد"[2].

وبين السيوطي الفرق بين البغي والطغيان فقال: "البغي طلب تجاوز قدر الاستحقاق، تجاوزه أم لم يتجاوزه، وأصله الطلب، ويستعمل في التكبر؛ لأن المتكبر طالب منزلة ليس لها بأهل، وأما الطغيان فتجاوز المكان الذي وقفت فيه، ومن أخَلَّ بمَا عيِّنَ له من المواقف الشرعية، والمعارف العقلية، فلم يرعها فيما يتحرَاه ويتعاطاه فقد طغى، وعلى ذلك ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾[3] أي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل"[4].

خامساً: الظلم

الظُّلم: الجَوْرُ ومُجاوزَةُ الحد أو وضع الشيء في غير موضعه [5]. وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد[6].

أما الأصفهاني فعرفه قائلاً: "والظُّلْمُ يقال في مجاوزة الحقّ الذي يجري مجرى نقطة الدّائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقلّ من التّجاوز، ولهذا يستعمل في الذّنب الكبير، وفي الذّنب الصّغير"[7].

والظلم يسمى بغيا، وذلك لأن أصل البغي الحسد، فالحاسد يَظْلِمُ المَحْسودَ، وكل جُهْدَه منصبٌ على زَوالِ نعْمةِ اللَّهِ عنه[8].

---

[1] يونس:23.

[2] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (436/2).

[3] الحاقة:11

[4] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت: 911هـ)، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار** ، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1424ه، (411/1).

[5] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (373/12).ابن الأثير **النهاية في غريب الأثر**، (357/3).

[6] انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، (186/1). الزَّبيدي، **تاج العروس**، (32/33). الكفوي، **الكليات**، **(938/1)**.

[7] الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، (537/1).

[8] انظر: الزَّبيدي، **تاج العروس**، (189/37).

وقد وردت لفظة الظلم ومشتقاتها (315) مرة في القرآن الكريم[1]، وجاءت بمعنى الزيادة والتجاوز في مواضع عديدة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] "والظلم هنا كناية عن الشرك ، في صورة التفظيع له والتقبيح. وهو التعبير الغالب في السياق القرآني عن الشرك. وذلك حين يريد أن يبشع الشرك وينفر منه. ذلك أن الشرك ظلم للحق، وظلم للنفس، وظلم للناس. هو اعتداء على حق الله– سبحانه– في أن يوحد ويعبد بلا شريك. واعتداء على النفس بإيرادها موارد الخسارة والبوار. واعتداء على الناس بتعبيدهم لغير ربهم الحق، وإفساد حياتهم بالأحكام والأوضاع التي تقوم على أساس هذا الاعتداء"[3]. وفي هذا اعتداء على حق الله سبحانه وتعالى، من خلال تعبيد الناس لغير خالقهم جل جل في علاه مخالفة ومجاوزة للحد الذي وضعه رب العالمين.

وقوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] أي"فتكونا من المتعدِّين إلى غير ما أذِن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عَنى بذلك أنكما إن قربتما هذه الشجرة، كنتما على منهاج من تعدَّى حُدودي، وَعصى أمري، واستحلَّ محارمي، لأن الظالمين بعضُهم أولياء بعض، والله وليّ المتقين. وأصل الظلم في كلام العرب، وضعُ الشيء في غير موضعه"[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[6]، "الظلم: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه"[7].

وفي نهاية هذا المبحث يتضح استخدام القرآن الكريم لألفاظ عديدة تحمل معنى الطغيان، الذي هو مجاوزة الحد أو القدر المعلوم في الأشياء والتي منها الإسراف، والاستكبار، والتجبر، وغيرها.

---

[1] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (434/1–439).

[2] الأنعام:21

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (500/2).

[4] البقرة:35.

[5] الطبري، **جامع البيان**، (523/1).

[6] طه:112.

[7] الزمخشري، **الكشاف**، (89/3).

المبحث الثالث

الطغيان في السياق القرآني

يسعى الباحث من خلال هذا المبحث إلى إلقاء نظرة على استعمال القرآن الكريم للفظة (طغى) وصيغها الواردة في الآيات، وتبيان الموقف من الطغيان من خلال الآيات التي اشتملت على هذا اللفظ، لذلك سيحرص الباحث على حصر الآيات التي تضمنت هذا اللفظ أو أحد مشتقاته، وسيتم عرض الآيات التي تضمنت هذه المادة وفقا لتكرارها في القرآن الكريم من الكثير إلى القليل، بالإضافة إلى بيان رقم الآية واسم السورة ومكية أو مدنية، وذلك على النحو الآتي[1]:

المطلب الأول: ورود مادة (طغى) في القرآن الكريم

المفردة وعدد مرات ورودها	الآية الكريمة	رقمها	السورة	بيان المكي والمدني
الطاغوت ثماني مرات	﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	256	البقرة	مدنية
	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	257	البقرة	مدنية
	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ	51	النساء	مدنية

[1] انظر: مادة (طغى)عند عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (427/1).

	ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا			
	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا	60	النساء	مدنية
	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا	76	النساء	مدنية
	﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	60	المائدة	مدنية
	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	36	النحل	مكية

	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾	17	الزمر	مكية
طغى ست مرات	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	24	طه	مكية
	﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	43	طه	مكية
	﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾	17	النجم	مكية
	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ	11	الحاقة	مكية
	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	17	النازعات	مكية
	﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾	37	النازعات	مكية
طغيانهم خمس مرات	﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	15	البقرة	مدنية
	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ	110	الأنعام	مكية
	﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	186	الأعراف	مكية
	﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	11	يونس	مكية
	﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ	75	المؤمنون	مكية

	﴿ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾			
طاغين أربع مرات	﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴾	30	الصافات	مكية
	﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾	55	ص	مكية
	﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾	31	القلم	مكية
	﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴾	22	النبأ	مكية
طغيانا أربع مرات	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	64	المائدة	مدنية
	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	68	المائدة	مدنية
	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ	60	الإسراء	مكية

	لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا			
	﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾	80	الكهف	مكية
تطغوا ثلاث مرات	﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	112	هود	مكية
	﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾	81	طه	مكية
	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	8	الرحمن	مكية
طاغون مرتين	﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	53	الذاريات	مكية
	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	32	الطور	مكية
يطغى مرتين	﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾	45	طه	مكية
	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾	6	العلق	مكية
أطغى مرة	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾	52	النجم	مكية
أطغيته مرة واحدة	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾	27	ق	مكية
طغوا مرة واحدة	﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾	11	الفجر	مكية

الطاغية مرة واحدة	﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ ﴾	5	الحاقة	مكية
طغواها مرة واحدة	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾	11	الشمس	مكية

المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (طغى) في القرآن الكريم

1 – وردت مادة (طغى) في القرآن الكريم تسعاً وثلاثين مرة، في تسع وثلاثين آية، في سبعٍ وعشرين سورة.

2 – عدد الآيات التي تحدثت عن الطغيان في العهد المكي ثلاثون آية، فيما بلغ عددها في العهد المدني تسع آيات فقط، ويرى الباحث أن السبب في ذلك يعود إلى طبيعة العهد المكي، التي كانت تقتضي القضاء على كل ألوان الشرك والعبودية لغير الله تعالى الناتجة عن حالة الطغيان، وتطهير النفوس والسمو بها، والتحذير من مخاطر وعواقب الطغيان الذي يدفع بصاحبه إلى الاعتداء وتجاوز الحد، والخروج عن طاعة الله، وادعاء الألوهية كما حدث من قبل الطاغية فرعون.

3 – جاء الطغيان مقترناً بالعمه في خمس آيات، أربعة منها مكية والخامسة مدنية، والسبب في ذلك كما يراه الباحث، يعود إلى أن حالة التردد والتحير في الكفر الباعثة على الطغيان كانت في العهد المكي أكثر منها في العهد المدني؛ لأن العمه يعني: "الحيرة والتردد في الكفر"[1].

4 – ورد الحديث عن الطغيان مقترناً باليهود في خمس آيات، وهذا الأمر كما يراه الباحث متعلق بطبيعة وجبلة اليهود، الذين ما انفكت سيرتهم على مدار التاريخ على ممارسة الطغيان والتجبر والعلو في الأرض، وبحق الشعوب الضعيفة. وحالهم في هذه الأيام خير شاهد على ذلك.

5 – تكرر وصف فرعون بأنه طغى في أربع آيات، وفي هذا التكرار دلالة واضحة على تجاوزه وعلوه وجبروته، وملازمة هذا الوصف له في جميع مراحل حياته، وأنه لم ينفك عنه ألبتة، حتى عندما غشيه الغرق في لحظاته الأخيرة قال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، ولم يقل آمنت برب العالمين أو بالله مثلاً.

---

[1] الأبياري، **الموسوعة القرآنية**، (58/9).

6 – جاء التحذير من الطغيان في آية واحدة، موجهاً إلى النبي ﷺ ومن تاب معه من المؤمنين، في إشارة إلى أن ممارسة الطغيان ليست مقتصرة على فئة بعينها، وأن الطغيان قضية ينبغي على المؤمن الحذر من الوقوع فيها.

7 – وردت كلمة الطاغوت ثماني مرات في الآيات السابقة ويراد بها الشيطان [1]، أو الأصنام، أو كل ما عبد من دون الله [2]، أو كعب بن الأشرف وحُيي بن أخطب [3]، أو كل من حكم بغير شرع الله[4].

8 – بينت الآيات أن عاقبة الطغيان وخيمة على صاحبها في الدنيا والآخرة. وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴾[5]. أَيْ: "فأنزل عليهم رجزًا من السماء وأحل بهم عقوبة، لا يردها عن القوم المجرمِينَ"[6]. فكان هذا العذاب جزاءً لهم على طغيانهم وفسادهم. وكذلك العقاب الذي حلّ بآل نوح نتيجة طغيانهم وكفرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾[7] أي: "أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشدّ طغياناً وتمرّداً على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم"[8].

9 – وردت كلمة (طغى) في سياق الحديث عن طغيان وتجبر فرعون ، بينما وردت كلمة (طغا) في سياق الحديث عن تجاوز وارتفاع الماء، وفي ذلك إشارة إلى أن طغيان البشر كما هو في حالة فرعون، يختلف عن طغيان المادة كما هو الحال في الماء. وقد ذكر

---

[1] حجازى، محمد محمود، (ت:1432هـ)، **التفسير الواضح**، دار الجيل الجديد–بيروت، (ط1413/10هـ)، (309/2).

[2] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، (ت:685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط1، 1418هـ)، (155/1).

[3] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الشافعي، (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، (ط1415/1هـ)، (184/1).

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (184/1).

[5] الفجر:11–13.

[6] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،(ط1419/1هـ)، (387/8).

[7] النجم:52.

[8] الطبري، **جامع البيان**، (553/22).

الفيروز آبادي أن الفرق اللغوي بينهما يكمن في أصل الألف، ففي الأولى (طغى أو طَغِيَ) أصل الألف فيها ياء، أما في الثانية (طغا) فأصل الألف فيها واو[1].

[1] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الرسالة، بيروت– لبنان،(ط8/1426هـ)، (1307/1).

الفصل الثاني

أسباب الطغيان ودوافعه

المبحث الأول: أسباب الطغيان ودوافعه الذاتية

المبحث الثاني: أسباب الطغيان ودوافعه الخارجية

المبحث الأول

أسباب الطغيان ودوافعه الذاتية

تعددت الأسباب والدوافع الذاتية للطغيان، وسيتم تناول أهمها من خلال هذا المبحث وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: الكبر والعلو

يظهر من خلال أفعال الطغاة على مر العصور أنهم متكبرون في الأرض، ومتعالون على أقوامهم وشعوبهم والناس جميعاً، وهذا ما بينه القرآن الكريم وأوضحه على لسان فرعون الطاغية عندما خاطب قومه قائلاً: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1] ففي هذا الإعلان الصادر عن هذا الطاغية تُشتم رائحة الكبر والعلو المنتنة التي تفيح من هذا الخطاب، والذي لا يصدر إلا عن طاغية متكبر منتفش الصورة والكلام، ولا نجد طاغية في الأرض إلا واكتسى رداء الكبر والعلو، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] وخلع عن عاتقه ثوب التواضع والحنو، وذهب يتمطى على الأرض، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾[3] أي: "يتبختر في مشيته إعجابا"[4]، مزهواً بما بين يديه من مال وبنين، وسلطة وجاه، وهذا هو حال الطغاة من الإعجاب بالنفس والتكبر على الآخرين، وذلك لأن الكبر معناه "الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه، بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره "[5].

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذم الكبر والتكبر والاستكبار، وتحذر منه وتبين عاقبة أهله المتكبرين، الذن يتجبرون في الأرض ويطغون فيها، ويعيثون على وجهها الفساد.

---

[1] غافر:29.

[2] القصص:4.

[3] القيامة:33.

[4] المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد، (ت: 864هـ)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ) **تفسير الجلالين**، دار الحديث-القاهرة، ط1، (د.ن)، (780/1).

[5] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (545/2).

فقد ورد لفظ الكبر ومشتقاته (161) مرة في القرآن الكريم [1]، ومن الآيات التي نهت عن الكبر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [2]، لأن هؤلاء الطغاة المستكبرين "لا تنقصهم الآيات ولا تنقصهم البراهين، إنما تكمن العلة في كيانهم وفي طباعهم. إن قلوبهم منكرة جاحدة لا تقر بما ترى من الآيات، وهم مستكبرون لا يريدون التسليم بالبراهين والاستسلام لله والرسول. فالعلة أصيلة والداء كامن في الطباع والقلوب!"[3]

وكم بلغت الآيات والبراهين التي قدمت لفرعون إلا أنه علا واستكبر وتشبث بطغيانه، وبالتالي فإن عدم محبة الله تعالى لهؤلاء المتكبرين، دليل على بغضه تعالى لأصحاب هذه الأخلاق التي لا تغادر نفوس الطغاة المتكبرين والمتعالين على أممهم وشعوبهم، وقد بين المولى عز وجل مصير هؤلاء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[4]، فالطغاة من طبعهم أنهم يتكبرون على الله تعالى فلا يعبدونه، وعلى أنبيائه الكرام فلا يستجيبون لدعوتهم ويكيدون لهم ويناصبونهم العداء، قبل أن يتكبروا على أقوامهم ويسومونهم سوء العذاب.

أما العلو الذي يكون عليه حال الطغاة فيتمثل بالاستكبار والتجبر والتعظم، قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[5]، أي أن هؤلاء الطغاة يتجبرون في الأرض ويطغون، ويفجرون على الناس ويتعالون، كما كان حال بني إسرائيل وما زال[6].

وقد ورد العلو ومشتقاته في القرآن الكريم (60) مرة[7]، وقد ذم المولى سبحانه وتعالى هذا الخلق السيء وبين أنه ليس من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا

---

[1] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (588/1-591).

[2] النحل:23.

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (460/4-461).

[4] غافر:60.

[5] الإسراء:4.

[6] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (43/5-44).

[7] عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (481/1-482).

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] أي:"تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض وتجبراً عنه ولا فسادا"[2].

وما ورد العلو في القرآن الكريم في سياق الحديث عن البشر إلا وكان مذموماً. أما العلو في حقه سبحانه وتعالى فهو ممدوح ومشروع؛ لأن العلي من أسماء الله تعالى، وكثيرة هي الآيات التي اشتملت على هذا الاسم، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[3] وبهذا يخلص الباحث إلى أن الكبر والعلو من الصفات الراسخة لدى الطغاة، وهي التي تدفعهم إلى اقتراف الأعمال المنهي عنها، والتي تكون سبباً في طغيانهم.

المطلب الثاني: العجب والغرور

لقد ذم الله تعالى العجب والغرور ونهى المسلمين عن الوقوع فيهما، وذلك لأنهما يؤديان إلى الطغيان الموصل إلى الهلاك والخسران. قال تعالى واصفاً حال الكفار الذين كانوا يفخرون بأعمالهم الخاسرة المؤدية إلى الطغيان ظناً منهم أنها من الأعمال الطيبة حسنة الصنع، وذلك بسبب عجبهم وغرورهم الذي كان يسيطر عليهم: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[4] أي: "أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك"[5]، وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا المرض بقوله: "ثلاث مهلكات؛ شحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه"[6].

والعجب والغرور من الأمراض التي تحول بين الإنسان ورؤية الحق، ولا يبصر من الدنيا إلا شهواتها وزينتها الفانية، وما فيها من ملذات ومتاع زائل، ونتيجة هذه الأمراض بادية على الطغاة، وبالتالي فإن "الغرور في أنفسهم ساقهم عمياناً لا يبصرون إلا الزينة وما فيها من

---

[1] القصص:83.

[2] الطبري، **جامع البيان**، (343/18).

[3] البقرة:255.

[4] الكهف:104.

[5] الطبري، **جامع البيان**، (428/15).

[6] البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر، (ت: 292هـ)، **البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (ط 1، 1988م-2009م)، حديث رقم: 7293، (486/13). صححه الألباني، الألباني: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، حديث رقم: 1802، (301/4).

بهارج، فأعينهم مثبتة في أشكالها وألوانها، وآذانهم لا تسمع إلا رنات أوتارها وأصوات أجراسها، وشهواتهم مشدودة إليها، وقلوبهم معلقة بطلبها والسعي وراءها، وهم يتخبطون في اتباعها، لا يدرون أين تقع أقدامهم، ولا يعرفون إلى أي مصير هم صائرون، وأما أفكارهم وعقولهم فقد ألقيت عليها الغشاوة، فهم لا يفكرون إلا في حدود منطقة الزينة "[1].

ويلاحظ في أعمال الطغاة وما يصدر عنهم من مواقف أن العجب والغرور يلازمها ولا يكاد يفارقها، كبرت أم صغرت، سراً كانت أم علانية، لأن هذا من طبائعهم التي أُشربت نفوسهم بها.

وللعجب آفات كثيرة، منها أنه يدعو إلى الكبر الذي هو من طبائع الطغاة الذين يتكبرون في الأرض، ويتجبرون بأهلها، ويتعالون على قبول الحق والرضا به، وقد بين الحق عز وجل حال فرعون وكيف كانت مفاخراته وعلوه على قومه، بأن أخذ يستحقرهم ويتعالى عليهم عجباً وغروراً، حتى قال مدّعياً:﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾[2] وهذا نتيجة الحال الذي كان عليه.

وكذلك الحال بالنسبة لقارون الذي آتاه الله تعالى المال الكثير فأصابه من العجب والغرور ما أصابه، حتى ادعى الأفضلية على قومه بما آتاه الله من فضله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾[3]، أي "على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره"[4].

وليس بعيداً عن هذا الأمر عجب وغرور إبليس عندما تجاوز الحد وخرج عن الطاعة وأبى السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾[5] أي"قالها للمعاندة، للكبر، للكفر حين أعرض عن أمر الله وأراد أن يعدل مراد الله في أمره، وكأنه يخطِّئ الحق في أمره، ويردّ الأمر على الآمر"[6]، وما زعم أنه خير منه إلا نتيجة حالة العجب والغرور التي

---

[1] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة، (ت:1425هـ)، **صراع مع الملاحدة حتى العظم**، دار القلم، سوريا، (359/1).

[2] غافر:29.

[3] القصص:78.

[4] البغوي، **معالم التنزيل**، (222/6).

[5] الأعراف:12.

[6] الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (4064/7).

كانت تسيطر على نفسه، كونه مخلوقاً من نار والآخر مخلوق من طين، ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [1].

المطلب الثالث: الحقد والحسد

يعد الحقد والحسد من الأسباب والدوافع الذاتية للطغيان، وهما السبب في طغيان اليهود، ورفضهم قبول دعوة الحق سبحانه وتعالى والاستجابة لرسوله الكريم، وحسدهم للصحابة الكرام، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [2] فحسدهم لما أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان السبب في كفرهم وطغيانهم، فقد جاء في تفسير الآية السابقة: "ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقًا وعملا صالحًا وعلمًا نافعًا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك { طُغْيَانًا }" [3].

لذا تجد أن الحقد الدفين والحسد البغيض الكامن في نفوس الطغاة سرعان ما يظهر على جوارحهم، وتنطق به ألسنتهم، وبالتالي يكشف حقيقة ما هم عليه. وإن دل هذا السلوك على شيء فإنه يدل على ما تكنه نفوس هؤلاء الطغاة من أمراض، وما في قلوبهم من زيغ وضلال، فنفوس الطغاة يملؤها الحقد والحسد على غيرهم ممن أوتي خيراً، ويبغضونهم لأجلها ويتمنون زوالها عنهم. وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الحسد فقال: "لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا" [4].

فالحقد والحسد داءان مستحكمان في البشرية منذ وجودها، فهذا إبليس قد سيطر عليه الحسد عندما رفض السجود لآدم والانصياع لأمر الله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [5] "وهو الرد القبيح الذي يصدر عن الطبيعة التي تجردت من الخير كله في هذا

---

[1] الأعراف:12.

[2] المائدة:64.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (147/3).

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، حديث رقم: 2559، (1983/4).

[5] الأعراف:12.

الموقف المشهود"[1]. وقد يؤدي الحسد إلى قتل الإنسان لأخيه الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾[2]. فإن هذه الآية تقبح هذا الداء و"تشير إلى شناعة الجريمة في ذاتها من حيث الباعث عليها، إذ الباعث عليها هو الحسد، ومن حيث الصلة بين القاتل والمقتول، إذ هي صلة أخوة تقتضي المحبة والمودة والتراحم، ومن حيث ذات الفعل فإنه أكبر جريمة بعد الإشراك باللّه تعالى "[3]. وهذا الفعل المنهي عنه من الطغيان الواجب الحذر منه والابتعاد عنه، فليس بعد القتل من طغيان وفساد.

وقبل الختام لا بد من الإشارة إلى أن الأسباب والدوافع الذاتية التي تم تناولها لا تؤدي بمفردها إلى الطغيان، إلا إذا توفرت معها الأسباب والدوافع الخارجية التي تؤدي إلى تهيئة البيئة المناسبة لظهور الطغيان، وهذا ما سيتم تناوله في المبحث التالي.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3028/5).

[2] المائدة:30.

[3] طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (123/4).

المبحث الثاني

أسباب الطغيان ودوافعه الخارجية

هناك مجموعة من الأسباب الخارجية التي تساعد على وجود الطغيان في المجتمعات، نذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: الملك والسلطة

يعد الحرص على الملك والسلطة والسعي الدؤوب المتواصل لنيلهما والاستئثار بهما، من الأسباب والدوافع الخارجية للطغيان، وربما يكون هذا السبب من أقواها في إيجاد حالة الطغيان، وإتاحة الفرصة أمام الطاغية لممارسة طغيانه وتجبره، والاستمرار في ذلك لفترة طويلة؛ لذلك استعلى فرعون على قومه، عندما وصل إلى السلطة وحاز على الملك، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾[1] وبهذا "ازداد فرعون في عتوه وطغيانه، ولجأ إلى التفاخر بالملك والسلطان والثراء، فقال: يا قوم، أليس لي ملك مصر العظيم، فلا ينازعني فيه أحد، والسلطة المطلقة لي، ونهر النيل وجداوله تجري من تحت قصري وأمامي في بساتيني، أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك؟! ثم بل أنا خير وأفضل بما لي من الملك والسلطة والغنى والجاه من موسى الضعيف الحقير، الذي لا يكاد يبين الكلام؛ لما في لسانه من لكنة أو عقدة، وهذا بحسب علمه الماضي، ولم يدر أن الله تعالى أزال عقدته. ثم قارن فرعون نفسه مع موسى مقارنة الغني المترف المتفاخر بماله، فقال: فهلا حلّي موسى بأساور الذهب إن كان عظيما، أو جاء معه وفد من الملائكة مقترنين متتابعين يحرسونه إن كان صادقا؟ فاستهان فرعون بعقول قومه ورعيته، ودعاهم إلى الضلالة، فاستجابوا له، وأطاعوه فيما أمرهم به، وكذبوا موسى ورسالته فكانوا فاسقين، أي خارجين عن طاعة الله تعالى"[2].

فمن خلال الملك والسلطان تكبّر فرعون وعصى، وطغى وعلا على قومه، حتى تبعوه فيما يأمر وينهى، وكانوا بذلك خارجين عن أمر الله تعالى، متجاوزين حدوده فيما أمر ونهى.

---

[1] الزخرف:51.

[2] الزحيلي، **التفسير الوسيط**، (3/2368-2369).

وليس بعيداً عن ذلك حالة الطغيان التي مارسها النمرود عندما آتاه الله الملك، حتى بلغ به الأمر ادعاء الربوبية، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾[1]، فنتيجة ما رزقه الله تعالى من المُلك كان ينبغي لهذا المَلِك أن يؤمن، ويشكر الله تعالى على نعمه، إلا أن هذا المَلك المنكر المتعنت، كان السبب وراء إنكاره وتعنته، هو السبب نفسه الذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر، لأن "المُلك يُطغي ويبطر من لا يقدرون نعمة الله، ولا يدركون مصدر الإنعام. ومن ثم يضعون الكفر في موضع الشكر ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين! فهم حاكمون لأن الله حكمهم، وهو لم يخولهم استعباد الناس بقسرهم على شرائع من عندهم كما يفعل الطغاة. فهم كالناس عبيد لله، يتلقون مثلهم الشريعة من الله، ولا يستقلون دونه بحكم ولا تشريع فهم خلفاء لا أصلاء!"[2]

ويُعّد تحصيل الملك لدى كثير من الناس دافعاً قوياً إلى الطغيان؛ لما فيه من الملذات ورغائب النفس التي يلهثون وراءها دوماً، ويفنون أعمارهم في الحرص على تحقيقها، وذلك لأن للملك شهوة تجذب الطغاة إليها، يقول ابن خلدون: "إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة"[3]؛ لذلك نجد هؤلاء الطغاة يتشبثون بالسلطة بأية وسيلة كانت، ويسفكون الدماء ويزهقون الأرواح، ويبذلون من أجلها الأثمان الغالية مهما بلغت، ويتعطشون للسيطرة على حياة الناس والإمساك بزمام أمورهم، من أجل قهرهم والاستبداد بهم، حتى لا تكون لهم كلمة ولا رأي ولا مشورة، في أي أمرٍ من أمور حياتهم الخاصة والعامة على حدٍ سواء والسبب الذي يظهر من تحقيق هذه الغايات، هو طبيعة نفوس الطغاة، التي لا ترضى ولا تقبل مشاركة الآخرين لها في تدبير الأمر واتخاذ القرار، وسياسة الرعية وأحوالها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندما تحدث عن

---

[1] البقرة:258.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (297/1).

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت:808هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، دون معلومات نشر، (76/1).

نموذج الطاغية فرعون، قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1]، أي: "ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب، ولا أدّخر منه شيئاً، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعني أنّ لسانه وقلبه متواطنان على ما يقول"[2]، وهذه سمة الطغاة قديماً وحديثاً، وبها يشيدون قصورهم العاتية، وأبراجهم المزخرفة بعذابات وآهات الشعوب.

وقد حذر الله تعالى عباده المتقين من طلب العلو بغير حق، والفساد النابع من تلك السلطة في الأرض، فقال سبحانه وتعالى مبيناً: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[3] أي"ارتفاعاً وغلبة وتسلطاً كما أراد فرعون... أي ظلماً وعدواناً على الناس كما أراد قارون"[4].

إضافة إلى ذلك فقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن السعي والبحث عن السلطة والسؤال عنها؛ لما لها من ثقل وتبعات لا يقدر عليها كل أحد، فقد جاء في الحديث:« يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك، وأت الذي هو خير»[5].

المطلب الثاني: المال والولد

تعد نعمة المال والولد التي ينعم بها المولى سبحانه وتعالى على الناس نعمة عظيمة، ينبغي الشكر والثناء تجاه المنعم لأجلها؛ لذلك يتوجب معرفة أن إغداق النعم على الإنسان الهدف منه تسخيرها في خلافة الأرض، وبناء المجتمع بصورة تضمن الأمن والاستقرار له ولأفراده.

---

[1] غافر:29.

[2] الزمخشري، **الكشاف**، (164/4).

[3] القصص:83.

[4] البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت:1127هـ)، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربي، (318/6).

[5] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي ، (ت: 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط 1422/1). كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، حديث رقم: 7146، (63/9).

إن الإنسان إذا فقد الإيمان الحقيقي والخوف والخشية من مولاه سبحانه وتعالى، فإنه يضل الطريق، ويحرم من الهداية الموصلة إلى الصراط المستقيم التي فيها السعادة والطمأنينة، ومن ثم يسيطر حب الدنيا وزينتها الفانية والحرص على المال على قلبه، ويستغني بهذا المتاع الفاني على ما هو خير وأبقى، وهذا الحب والاستغناء يدفعه إلى أن يطغى ويتكبر ويتجبر في الأرض، وهذا الحال من الغنى بين الله تعالى أثره على الإنسان، قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾[1]، فالله تعالى يخبر "عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"[2]، وهذا الواقع ماثل في حياة الطغاة المتكبرين، وهذه الهبات من "الأموال والأولاد قد تكون نعمة يسبغها الله على عبد من عباده، حين يوفقه إلى الشكر على النعمة، والإصلاح بها في الأرض، والتوجه بها إلى الله، فإذا هو مطمئن الضمير، ساكن النفس، واثق من المصير. كلما أنفق احتسب وشعر أنه قدم لنفسه ذخراً، وكلما أصيب في ماله أو بنيه احتسب، فإذا السكينة النفسية تغمره. والأمل في الله يسري عنه.. وقد تكون نقمة يصيب الله بها عبداً من عباده، لأنه يعلم من أمره الفساد والدخل، فإذا القلق على الأموال والأولاد يحول حياته جحيماً، وإذا الحرص عليها يؤرقه ويتلف أعصابه، وإذا هو ينفق المال حين ينفقه فيما يتلفه ويعود عليه بالأذى، وإذا هو يشقى بأبنائه إذا مرضوا ويشقى بهم إذا صحوا. وكم من الناس يعذبون بأبنائهم لسبب من الأسباب"[3].

ولخطورة الآثار المترتبة على حيازة الطغاة للمال والسلطان أدرك موسى عليه الصلاة والسلام هذا الأمر، وتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾[4]، فلما "علم نبي اللَّه موسى – عليه السلام – أن بني إسرائيل تبهرهم المادة وتستهويهم زخارف الدنيا ووافقه على رأيه أخوه وردفه هارون، ورأيا أن طغيان فرعون كان سببه ما في يده من أموال وزخارف وما تحت سلطانه من كنوز الأرض... كانت عاقبة هذا الإيتاء وذلك التمكين في الأرض أن يضلوا عن سبيلك بالكفر والظلم

---

[1] العلق:6-7.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (422/8).

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (1666/3).

[4] يونس:88.

والعتو والطغيان، وألا يراعوا حقا، وأن يدعى فرعون أن له ملك مصر، وأن هذه الأنهار تجري من تحته، ويرجو موسى ربه ضارعا أن يزول عنهم ما سبب طغيانهم"[1].

وقد تحدث إبراهيم عليه الصلاة والسلام مبيناً كيف يكون المال والولد سبباً في الخسارة والضلال، قال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [2] أي"اتبع الأصاغر رؤساءهم وأهل الثروة منهم، الذين لم تزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً وطغياناً وكفراً في الدنيا، وعقوبة في الآخرة[3]."

والأمر في نعمة الأولاد شبيه لنعمة المال إذا كان الولد من الكافرين والعصاة ؛ لأن محبتهم من قبل أهليهم قد تؤدي إلى الطغيان والكفر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم عند حديثه عن الغلام في سورة الكهف، قال تعالى :﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [4] أي "يحملهما حبه على متابعته على الكفر"[5].

وقد حذر المولى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأنه قد يخرج من أزواجهم وأولادهم من يجلب لهم الآثام بإبعادهم عن طريق الحق، والحيلولة بينهم وبين ما يقربهم إلى ربهم جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[6]، أي يا "أيها الذين صدّقوا الله ورسوله: إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يحولون بينكم وبين الطاعات التي تقربكم من ربكم، والأعمال الصالحة التي تنفعكم فى آخرتكم، وربما حملوكم على السعي فى اكتساب الحرام، واكتساب الآثام لمنفعة أنفسهم"[7]. وهذان

---

[1] أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي-القاهرة، (د.ط)، 2001م، (3625/7).

[2] نوح:21.

[3] القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، (ت: 1307هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر- بَيروت، مراجعة: عَبد الله الأنصَاري، 1412هـ، (339/14).

[4] الكهف:80.

[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (166/5).

[6] التغابن:14.

[7] المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371ه)، **تفسير المراغي** ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده -مصر، (ط1/1365هـ)، (129/28).

العاملان_المال والولد_ نجد أثرهما الكبير في أيامنا هذه لدى طغاة العصر، فما من طاغية منهم إلا ويستغل نعمة المال والولد في غير طاعة الله، ويجعلون منها أداةً يبطشون بها الأحرار الذين ينشدون الكرامة والحرية في أوطانهم، والمتابع لمجريات الأحداث في عالمنا العربي يدرك هذه الحقيقة المرة.

المطلب الثالث: غفلة الناس عن حقوقهم وقبولهم الظلم

تعد طاعة الطغاة عاملاً حيوياً لوجود الطغاة، ويؤكد هذا الأمر دراسة واقع الطغاة على مدار التاريخ، وكيف أسهمت الشعوب في احتضان الطغاة وتهيئة البيئة المناسبة لهم، عندما أصابها ما أصابها من الضعف والهوان والذلة وسرعة الانقياد للظلمة المتجبرين؛ لذلك فإن "الأمة التي تترك الظالم وبطانته يعيثون في الأرض فساداً لا تستحق الحياة، ولا يكون مصيرها إلا إلى التعاسة والخسران "[1]. من أجل ذلك لم يعف الله تعالى الشعوب من تحمل مسؤولياتها، ونيل تبعات مواقفها في الدنيا والآخرة على حدٍ سواء، فالمولى سبحانه وتعالى "حمل الشعوب المسؤولية، لأن الشعوب يجب أن تتحمل تبعاتها في اختيار الحاكم ومساءلته، لا أن تكون قطيعاً يسوقه الحاكم بعصاه" [2]. ونتيجة لهذا الاتباع الأعمى للطغاة والمتكبرين، توعد الحق سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الأتباع والمتبوعين ولم يفرق بينهم في تحمل المسؤولية ؛ لأن كلاً منهم قد تجاوز الحد فيما شرع له في حدود طاقته وقدرته، وقد دلت الآيات على حقيقة الجدال الذي يتم بينهم يوم القيامة والنتيجة المترتبة عليه، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [3] أي:"فهاهم جميعاً، التابعون والمتبوعون، وبعد أن وقعوا في قبضة العدل الإلهي، ورأوا العذاب الذي لن ينجو منه تابع ولا متبوع.. هاهم يمارسون ما يمكن تسميته (بالتعليق)..

---

[1] الشحود، علي بن نايف، **لماذا يمزق القرآن الكريم**، دون معلومات نشر، (186/1).

[2] الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الدفاع عن الرسول ﷺ**، دون معلومات نشر، (20/7).

[3] سبأ:32-33.

يتخذ كل طرف من الطرف الآخر مشجباً يسعى إلى وضع خطيئته عليه لكي ينجو بجلده.. ولن ينجو أحد.. فالمعادلة القرآنية واضحة لا تقبل نقضاً ولا تبديلاً: إن الخضوع للطاغوت الذي يحكم بما لم ينزل الله (جريمة) يُعاقب عليها صاحبها تماماً كما يُعاقب الطاغوت الذي يقسر الناس على التعبد له من دون الله سواء بسواء.. ولن يجدي النقاش. ويتكشف عبث لعبة تعليق المسؤولية هذه أمام الحقيقة النهائية التي يمنحها القرآن، وفق طرائقه الفنية، لقارئيه.. فبينما يغرق المخدوعون في مناقشات طويلة معتقدين أن بمقدور أحد الطرفين أن يوقع بالآخر.. ينظر الإنسان ــ من الخارج ــ فيعرف مقدماً عدم جدوى هذه المحاولات.. لقد قُضِي الأمر وليس ثمة بعد اليوم من معذر.. وكما أن الطغيان أمر مرفوض ومعاقب عليه، فإن التبعيّة والمذلة أمران مرفوضان ــ أيضاً ــ ومعاقب عليهما.. . ولم يقل كتاب الله: إن الأغلال كانت من نصيب الطواغيت فحسب، بل جعل الطرف الآخر ــ كذلك ــ يرسف في قيودها.. الطرف المستعبد، المستضعف.. لماذا؟ لأن تعبّدهم وتذلّلهم كان عملاً ممقوتاً ومرفوضاً، وكان لابد من أن ينالوا جزاءهم على العمل الممقوت والمرفوض.. إنهم كانوا ــ كما قال أسيادهم ــ يحملون الاستعداد الدائم لممارسة الجريمة.. جريمة الطاعة لمن لم يحكم بما أنزل الله"[1].

إذا فقدت الشعوب بوصلتها الحقيقية، وضلت الطريق، وتركت إيمانها بربها، وتخلت عن سنة نبيها، فإنها وبدون أدنى شكٍ ستصبح أداةً طيعةً في أيدي الظالمين يقودونها ويوجهونها حيث شاؤوا، وذلك لأن"استخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها ، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح" [2]. وقد بين الله تعالى حقيقة هذا الاستخفاف الذي يمارسه

---

[1] الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، (210/55).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (3194/5).

الطغاة بحق أقوامهم وأسباب القبول به، قال تعالى عن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[1] أي"أن فرعون استخف بعقول قومه، واستصغر أحلامهم، فتحدث إليهم بهذا الحديث الذي لا يقبله عقل، ولا يستسيغه عاقل، ومع هذا فقد تلقاه القوم بالتسليم والطاعة، ولم يقم من بينهم قائم ينكر هذا القول المنكر، ويسفه هذا المنطق السفيه... كانوا على ما كان عليه فرعون من سفاهة، وجهل، فراجت عندهم هذه البضاعة الفاسدة! وهكذا يستغلظ الضلال، وتنتشر سحبه القائمة فى المواطن التي تقبل الباطل، وتستجيب له ، تماما كالبرك والمستنقعات، تتداعى عليها الهوامّ والحشرات، وتتوالد وتتكاثر فى أعداد لا تعدّ ولا تحصى ، وإنها ليست مسئولية داعية الضلال وحده، بل هى كذلك مسئولية الذين يستجيبون له، ولا ينكرون عليه المنكر الذي يدعوهم إليه"[2].

وما من مجتمع إلا ويوجد به من أمثال هؤلاء الأتباع، الذين يدورون في فلك الطاغية، ويسبحون في بحر غيه وضلاله، ويلتمسون رضاه وثناءه، وهذا ما بينه محمد السيد عندما قال:"وغالبًا ما يدور في فلك أصحاب النفوذ في كل مجتمع طبقة من الذيول والأتباع أو المريدين المحبين، يجعلون همهم الأكبر تلمس مواطن رضى رئيسهم، فيكونون حيث يريد وحيث يحب ويهوى، ويتنافسون في أن يزينوا له سوء عمله ليراه حسنًا ويراه الأتباع مقبولًا، وهؤلاء موجودون في كل فئة من فئات المجتمع، ووجودهم حول السلطان الأكبر أكثر وخطرهم على الرعية أشد قسوة من خطر السلطان نفسه؛ لأنهم ينطلقون في البلاد يعيثون فيها فسادا باسم السلطان وفي حمايته، وكم قاست الشعوب وذاقت مرارة الظلم والقهر من بطش هؤلاء الأتباع، ومع كثرة هؤلاء واشتداد قسوتهم يزداد إحساس الشعوب بالقهر والظلم، ومن المعلوم أن نفوس بني آدم متنوعة ومواقفهم متباينة، فإذا وجدت شخصًا في أمة يعارض هذا اللون من السياسة الفرعونية، فإنك تجد بجانبه الجمهور الأعظم من الناس يؤثرون الصمت، ويفضلون الفوز بإحدى الحسنيين، وهي السلامة من بطش السلطان، وربما ينضم إلى قافلة "المريدين"والمسبحين باسمه"[3].

---

[1] الزخرف: 54.

[2] الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت:1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي–القاهرة، (146/13).

[3] الجليند، محمد السيد، **الوحي والإنسان**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع–القاهرة، (21/1).

وقد حذر المولى سبحانه وتعالى في كثير من الآيات من اتباع الكافرين والظلمة والركون إليهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[3]، كما نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن طاعة العصاة والمخالفين لمنهج الله الداعين لارتكاب المعاصي. وبين اتباع البعض لهؤلاء الظلمة، من اليهود والنصارى وغيرهم، كما جاء في قوله عليه السلام: « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: «فمن»[4].

---

[1] هود:113.

[2] الأنعام:150.

[3] الشعراء:150-151.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأحكام، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم:3456، (169/4).

الفصل الثالث

مجالات الطغيان

المبحث الأول: الطغيان العقدي

المبحث الثاني: الطغيان السياسي

المبحث الثالث: الطغيان الاجتماعي

المبحث الرابع: الطغيان المالي

الفصل الثالث

مجالات الطغيان

من خلال النظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الطغيان بشتى معانيه، يرى الباحث أنها اشتملت على عدة مجالات، وأنها تدور في دوائر مختلفة، لكل واحدة منها انعكاساتها وتأثيراتها السلبية على الطغاة.

ومن خلال هذا الفصل سيتم التطرق إلى أهم هذه المجالات؛ بغرض تسليط الضوء عليها، ومعرفة معالمها وسماتها.

المبحث الأول

الطغيان العقدي

يتناول الباحث من خلال هذا المبحث خطورة الطغيان العقدي وملامحه لدى فرعون وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: خطورة الطغيان العقدي وآثاره السلبية عبر التاريخ

يرى الباحث أن هذا المجال من مجالات الطغيان يعد من أخطرها، وأكثرها تأثيراً على الناس، وأشدها وبالاً وخسارةً على الطغاة في الدنيا والآخرة، والسبب في ذلك عائد إلى إضفاء الطغاة على أنفسهم صفة القداسة والتنزيه، وبالتالي تسليم الشعوب لهم، والقبول بوجودهم والعيش في أكنافهم، ويقصد الباحث بالطغيان العقدي حالة العلو والتجبر المستقرة في نفوس الطغاة الفاسدة، وقلوبهم المريضة، التي لم تؤمن برسالة التوحيد، ورفضت الإيمان، وكفرت بوجود الله تعالى، مما دفعها إلى ممارسة حالة الطغيان، بعد أن رضيت به النفوس، وأشربت به القلوب.

يظهر من خلال آيات القرآن الكريم أن الطغيان العقدي كان حاضراً في كثيرٍ من المواضع القرآنية، سواء ما كان منه متعلق بالأقوام أم الأفراد، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1]، يظهر من خلال الآية أن التعذيب والنقمة التي ستقع

[1] البروج:8.

على هذه الفئة من الناس، كانت بسبب إيمانها اللاحق، بدليل قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ ﴾[1] لأن التعذيب إنما كان مترتباً على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى [2]، فما كان هذا العذاب، وحفر الأخدود، وجعل الناس فيه، وحرقهم بصورة إجرامية يندى لها جبين الإنسانية، إلا بسبب إيمانهم بالله تعالى، واستجابة لأمره، وتصديقهم لدعوته، وليس هذا بالأمر الغريب بتاتاً، لأن هذا الإجرام ديدن الطغاة دوماً في أهل الإيمان، فهم لا يرقبون فيهم إلّاً ولا ذمّة، ويمكرون بهم ليل نهار، مكراً تزول به الجبال وتُعذب من خلاله الأجساد، وتزهق به الأرواح، فما أوحشها من صورة، وما أسوأها من معاملة، وما أقساها من عقوبة !!

فمنذ بزوغ دعوة الإيمان وأصحابها يُقتّلون ويُعذبون ويُطاردون من قبل الطغاة العصاة، فها هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام يُلقى في النار ويعذب فيها؛ بسبب إيمانه بالله ودعوته لقومه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُذكرهم بنعم الله عليهم، وما أحلّ من عقاب بمن سبقهم من الأمم لعلهم يتذكرون أو يعتبرون، ولكنه الحقد والكبر والعناد يصدهم ويمنعهم من الاستجابة والتسليم لنداء الفطرة ونداء الإيمان، فما كان منهم إلا أن ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾[3]. وقصة بلال بن رباح مع الطاغية العنيد أمية بن خلف الذي أذاقه من العذاب ما لا يُحتمل، حيث طرحه على الرمال الملتهبة في وقت الظهيرة، ومن ثم كان يأمر رجاله بوضع صخرة كبيرة على صدره لرده وزجره عن دينه وإيمانه، فيرفض ذلك مردداً (أحدٌ أحد)[4] معلناً تمسكه بدينه وعقيدته.

وها هم طغاة اليهود قديماً وحديثاً يبطشون بأهل الحق والإيمان؛ بسبب إيمانهم بالله تعالى وما أنزل به من الكتب على رسله السابقين، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[5]، فجاء التوجيه من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بأن يسأل أهل الكتاب عن سبب استهزائهم بدين الله تعالى، وعن لجوئهم إلى الهمز واللعب عند مناداة المسلمين للصلاة، هل هو ناشئ عن إقرارنا بالله تعالى وتوحيدنا

---

[1] البروج:8.

[2] انظر:الرازي، **مفاتيح الغيب**، (112/31).

[3] الأنبياء:68.

[4] انظر: ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، (ت: 213هـ)، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل –بيروت، (د.ط)، 1411هـ، (180/3).

[5] المائدة:59.

إياه، وبما جاءنا من عند الله من الكتاب، وما أُنزل على أنبياء الله من الكتب؟ ولكن أكثرهم مخالفون أمر الله، خارجون عن طاعته، يكذبون عليه[1].

ولم تكن صورة الطغيان هذه مقتصرة على فرعون فحسب، بل ما من طاغية ومتجبر في الأرض إلا وادعى لنفسه صفة من صفات الألوهية، حتى تستقيم له الأمور، ويمسك بزمام رعيته، ويسهل عليه قيادتها، وفرض سيطرته وعلوه عليهم، ومن ثم التصرف في أحوالهم وفق هواه ومشتهاه، "فهم يسترهبون النّاس بالتّعالي الشّخصي والتّشامخ الحسّي، ويُذلِّلونهم بالقهر والقوّة وسلبِ الأموال حتَّى يجعلونهم خاضعين لهم، عاملين لأجلهم، يتمتَّعون بهم كأنَّهم نوع من الأنعام التي يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها، ويركبون ظهورها، وبها يتفاخرون"[2].

يا لها من وقاحة، وإهدار لكرامة الإنسان، وسلب لحريته، حتى يصبح كالحيوان لا رأي له ولا عقل، ولا قيمة له ولا اعتبار في الحياة، فكم جنى الطغاة المتكبرون على كرامة الإنسان، وانسلخوا عن كل دين، وتجردوا عن كل خلق وعفة وشرف.

ويستمر الطغاة في قهرهم لشعوبهم، "إلى نقطة أنْ يلتبس عليهم الفرق بين الإله المعبود بحقّ وبين المستبدّ المُطاع بالقهر، فيختلطان في مضايق أذهانهم من حيث التَّشابه في استحقاق مزيد التَّعظيم، والرِّفعة عن السّؤال وعدم المؤاخذة على الأفعال؛ بناءً عليه؛ لا يرون لأنفسهم حقّاً في مراقبة المستبدّ لانتفاء النّسبة بين عظمته ودناءتهم؛ وبعبارة أخرى: يجد العوام معبودهم وجبَّارهم مشتركيْنِ في كثيرٍ من الحالات والأسماء والصِّفات، وهم ليس من شأنهم أنْ يُفرِّقوا مثلاً بين (الفعَّال المطلق)، والحاكم بأمره، وبين (لا يُسأل عمّا يفعل) وغير مسؤول، وبين... (المنعم) ووليّ النعم، وبين (جلَّ شأنه) وجليل الشَّأن. بناءً عليه؛ يُعظِّمون الجبابرة تعظيمهم لله، ويزيدون تعظيمهم على التَّعظيم لله؛ لأنَّه حليمٌ كريم، ولأنَّ عذابه آجلٌ غائبٌ، وأمَّا انتقام الجبَّار فعاجلٌ حاضر. والعوام – كما يقال – عقولهم في عيونهم، يكاد لا يتجاوز فعلهم المحسوس المُشاهَد، حتَّى يصحّ أنْ يُقال فيهم: لولا رجاؤهم بالله، وخوفهم منه فيما يتعلَّق بحياتهم الدّنيا، لما صلّوا ولا صاموا ... وهذه الحال؛ هي التي سهَّلت في الأمم الغابرة المنحطَّة دعوى بعض المستبدِّين الألوهية على مراتب مختلفة، حسب استعداد أذهان الرَّعية، حتَّى يُقال: إنَّه ما من

---

[1] انظر:الطبري، **جامع البيان**، (433/10).

[2] الكَوَاكِبي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود، (ت: 1320هـ)، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، المطبعة العصرية – حلب، (28/1).

مستبدٍّ سياسيّ إلى الآن إلا ويتَّخذ له صفة قدسيّة يشارك بها الله، أو تعطيه مقامَ ذي علاقة مع الله. ولا أقلَّ من أنْ يتَّخذ بطانة من خَدَمَةِ الدِّين"[1].

فهم على هذه الحالة المريرة لا يمكنهم معها مواجهة الطغاة وملوكهم الظلمة، ولا يقدرون على مغادرة نفوذ حماهم التي أوهموهم إياها ولا يملكون من أمرهم شيئا؛ لأنهم أضحوا عبيداً وخدماً لأسيادهم الجبابرة، بعد أن جردوهم لباس الكرامة الذي امتن به سبحانه وتعالى على بني آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[2]، فما كان من هؤلاء الظلمة إلا أن ألبسوهم لباس الذل والمهانة بدلاً من ذلك. وقد ذكر القرآن منهم النمرود الذي زعم لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة، والتصرف في الأمور كلها، فقال زاعماً: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[3] فما كان منه إلا أن جعل نفسه ندّا لله تعالى، يزعم القدرة على الإحياء والإماتة، كما يقدر الله تعالى على فعل ذلك[4].

ومن الأمثلة التي تظهر فيها حالة الطغيان العقدي أيضاً، ما ورد في الحديث الصحيح من قصة الغلام والساحر [5]، والتي يظهر من خلالها ادعاء الملك للربوبية ومعاقبة كل من ينكر

---

[1] الكَواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** ، (29/1).

[2] الإسراء:70.

[3] البقرة:258.

[4] انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (ت: 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، (ط1/1418هـ)، (154/3).

[5] القصة جاء فيها أن رسول الله ﷺ قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا =

عليه ذلك، معاقبة لا يتصورها عاقل، ولا يتخيلها بشر، وتفوق في بشاعتها وعظم شؤمها كل حساب. وهذا هو ديدن الطغاة في كل زمان ومكان، فتراهم يلجأون إلى معاقبة مخالفيهم وناقديهم ومعارضيهم بأبشع صور التعذيب والتنكيل.

ومن أمثلة ذلك، حادثة واقعية لم يمض على وقوعها زمن بعيد، تحكي فصولها المروعة صاحبة الحادثة نفسها السيدة زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي) [1] والذي روت فيه ما تعرضت له من بطشٍ وإجرامٍ على أيدي الظالمين الطغاة، واصفة مشاهد العذاب

=بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق". مسلم، **صحيح مسلم**، (4/ 2299)، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم:(3005).

[1] تقول زينب الغزالي رحمها الله: "وحملوني إلى بناء رقم 24..بناء لم أدخله من قبل، ثم أوقفوني فاقشعر بدني وتسمرت في مكاني!!..رقم24 هذا زنزانة في وسطها نار موقدة، وعند كل ركن من الأركان الأربعة يقف جندي بيده سوط كلسان الأفعى..وتناولني الجندي بسوطه وهو يأمرني بأن أدخل في دائرة النار، فإذا اقتربت منعني الجندي القريب منها، فيتلقاني الثالث..وهكذا النار المشتعلة قريبة مني، يلفحني لهيبها..ظللت ما يقرب من ساعتين وأنا بين لهيبين، لهيب النار المشتعلة التي أخشى الوقوع فيها، ولهيب سياط الزبانية وكلا اللهيبين مر"وتصف مشهداً آخر من مشاهد العذاب المروعة، التي ما زالت آلامها تلفح أجساد الدعاة والمصلحين إلى يومنا هذا، على أيدي الطغاة المتجبرين، فتقول: "وأدخلت رقم 34!!..زنزانة ضيقة مظلمة كالقبر الموحش..!! وأدخلوا معي كلبين، وأغلقوا الزنزانة. تيممت وأخذت أصلي، وأنا لا أدري أين القبلة.. انتهي من صلاة وأدخل في أخرى، انشغالاً بالله لعله يصرف عني ما أرادوه. تسلق الكلبان ظهري في ركوعي وسجودي، وأخذا يخمشان رأسي، ووجهي.. وأنا أصلي وأستغرق وأسبح في عالم الدعوات والتضرعات. وبعد ساعة فتحت الزنزانة وسحبوا الكلبين وحملوني إلى المستشفى". زينب محمد الغزالي الجبيلي، (ت: 1426هـ)، **أيام من حياتي**، دار النشر والتوزيع الإسلامية–مصر، (د.ط)، 1999م، (56/1)، (68/1).

المروعة، التي ما زالت آلامها تلفح أجساد الدعاة والمصلحين إلى يومنا هذا، على أيدي الطغاة المتجبرين.

وهكذا يستمر الطغاة في إجرامهم وغيهم، قتل وتشريد وترويع، وسجن واضطهاد وتعذيب، ومصادرة للحقوق ومنع للحريات، إلا أن كلمة الفصل تقول: "قد ينسى الطواغيت المستبدون أو يتناسون أنهم لا بد سيشربون من الكأس: كأس المنية. كأس الرجوع إلى الله تعالى، يتناسون ذلك فيتجبرون ويطغون ويبطشون ويعذبون، والزمن عجلته تسير بمشيئة الواحد القهار، وبتعاقب الليل والنهار، وتولد أجيال وتنقضي أعمار، وتبلى أجساد وتنزع أرواح انتزاعاً فلا يستطاع ردها. ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾"[1][2]، فإذا كان هذا حال الطغاة مع الدعاة من النساء يذيقونهن سوء العذاب، فكيف هو الحال مع الرجال؟!.

فإذا كان الإيمان بعقيدة التوحيد يستوجب كل أصناف العذاب من قِبل الطغاة بحق معتنقيها، فيا لها من جريمة، ويا له من ذنب، حتى يعاقب المؤمنون بسببه!! ولكنها السيمفونية المتجددة دوماً، والتي يتشدق بها الطغاة في كل زمان ومكان، ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[3]، يواجهون أهل الإيمان لثنيهم عن دينهم، ونفيهم عن أوطانهم، لتبقى أسيرة في أيدي الظالمين المعتدين، فترى أهل الإيمان كما هو الحال دوماً منفيين عن أوطانهم، ومشتتين في مشارق الأرض ومغاربها، تلاحقهم مخالب الطغاة أينما حلوا وسكنوا، وتستقبلهم قوى الاستكبار بالسجون تارة والتضييق والتشديد عليهم تارة أخرى، فلا قوانين تحميهم، ولا أعراف تشفع لهم، ولا إنسيانية تشفق عليهم، وما ذلك إلا ضريبة إيمانهم، فحسْب الذين طغواْ وتجبروا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

---

[1] الواقعة:83-87.

[2] الغزالي، زينب، **أيام من حياتي**، (100/1).

[3] الأعراف:82.

ٱلْحَرِيقِ ﴾[1]، وحسْب الذين آمنوا وشُرّدوا وقُتّلوا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2].

حتى الدجال الذي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بظهوره في آخر الزمان يدعي لنفسه من شدة طغيانه وجبروته الربوبية؛ لإضفاء قدسية على نفسه، وأنه يملك القدرة على تصريف الأمور والتحكم فيها، قال عليه الصلاة والسلام في وصفه: "يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح[3] – مسالح الدجال – فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن، قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائما، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته[4] نحاسا، فلا يستطيع إليه سبيلا، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»"[5].

فتأمل حالة الطغيان التي يبلغها الدجال في آخر الزمان؛ لتدرك بقاء وتجدد الطغيان على مر الزمان، وبهذا يتبين أن ادعاء الألوهية والربوبية، وإضفاء القداسة على الأفعال والأقوال،

---

[1] البروج:10.

[2] البروج:11.

[3] المسالح: المَسْلَحة قوم في عُدَّة بموضع رَصَدٍ قد وُكِّلوا به بإزاء ثَغْر. واحدهم مَسْلَحِيٌّ، والجمع المَسالح. ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 486).

[4] الترقوة: هي عظم وصل بين ثُغرة النحر والعاتق بين الجانبين وجمعها التراقي. ابن منظور، **لسان العرب**، (32/10).

[5] مسلم، **صحيح مسلم**، (2256/4)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، حديث رقم:(2938).

سمة بارزة في سيرة الطغاة على مدار التاريخ، وأنهم لا ينفكون عنها أبداً، ويمثل هذا الادعاء ذروة الطغيان العقدي لديهم، وقمة التعدي وتجاوز الحدود.

المطلب الثاني: ملامح الطغيان العقدي عند فرعون

وقد تجلت صورة الطغيان العقدي بكل معالمها في شخصية فرعون وذلك من خلال عدة صور:

أولاً: ادعاؤه الربوبية

ادّعى فرعون الربوبية، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] أي لا رب لكم فوقي، مع وجود الأصنام التي كانوا يعبدونها . وهذا الذنب العظيم لم يقل به أحد قبله [2]. ويبين سيد قطب السبب في كلامه هذا، وقبول الجماهير لقوله بأنه: "قالها الطاغية مخدوعاً بغفلة جماهيره، وإذعانها وانقيادها. فما يخدع الطغاة شيء ما تخدعهم غفلة الجماهير وذلتها وطاعتها وانقيادها. وما الطاغية إلا فرد لا يملك في الحقيقة قوة ولا سلطاناً. إنما هي الجماهير الغافلة الذلول، تمطي له ظهرها فيركب! وتمد له أعناقها فيَجُر! وتحني له رؤوسها فيستعلي! وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى! والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى. وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم. فالطاغية وهو فرد لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين، لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها. وكل فرد فيها هو كفء للطاغية من ناحية القوة، ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئاً! وما يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً. وما يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبداً. وما يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها وتؤمن به وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضراً ولا رشداً! فأما فرعون فوجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان، ما جرؤ به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة... وما كان ليقولها أبدا لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة، تعرف أنه عبد ضعيف لا يقدر على شيء. وإن يسلبه الذباب شيئاً لا يستنقذ من الذباب شيئاً!"[3].

---

[1] النازعات:24.

[2] انظر: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الصوفي، (ت: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419هـ، (7/ 230).

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (445/7).

ثانياً: ادعاؤه الألوهية

فهو بهذا الادعاء الباطل يمثل طغياناً لم يسبقه إليه أحد من البشر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[1] أي وزعم فرعون أمام قومه من الأشراف والأتباع على سبيل الخداع والكذب والفجور. أني ما علمت لكم من إله سواي. وهذا نابع من حالة الطغيان والغرور التي بلغها، فكأنه يقول زاعماً: إني لم أعلم بأن هناك إلهاً لكم سواي، ومالا أعلمه فلا وجود له[2].

ومن خلال ادعائه للألوهية يكون هو الحاكم والمشرع لهم في كل ما يحتاجونه من أنظمة وأحكام تتعلق بشؤون حياتهم، وفي هذا اعتداء كبير على أخص خصائص الألوهية المتمثلة بالحاكمية لله تعالى، التي تحدث عنها سيد قطب موضحاً نهج الطغاة في هذه الحياة، الذي ينطلق من جاهلية عمياء "تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية.. وهي الحاكمية..إنها تسند الحاكمية إلى البشر؛ فتجعل بعضهم لبعض أربابا؛ لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفتها الجاهلية الأولى؛ ولكن في صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم، والشرائع والقوانين، والأنظمة والأوضاع، بمعزل عن منهج الله للحياة، وفيما لم يأذن به الله.. فينشأ عن هذا الاعتداء على سلطان الله اعتداء على عباده.. وما مهانة (الإنسان) عامة في الأنظمة الجماعية؛ وما ظلم (الأفراد) والشعوب بسيطرة رأس المال والاستعمار في النظم (الرأسمالية) إلا أثراً من آثار الاعتداء على سلطان الله، وإنكار الكرامة التي قررها الله للإنسان!"[3].

فقد بلغ فرعون ما بلغ من الطغيان والكفر عندما أعلن بصريح العبارة أنه الإله الوحيد، وأنه لا إله غيره، ولجأ لإثبات زعمه هذا طالباً من مساعده الأيمن هامان أن يقيم له صرحاً شامخاً، يثبت للرعية من خلاله أنه الإله، فقال مخاطباً قومه كما بين القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ

---

[1] القصص:38.

[2] انظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (408/10).

[3] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، (ت:1385هـ)، **معالم في الطريق**، دار الشروق-مصر، (ط1979/6)، (8/1).

فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1] أي: "يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى.. كلمة فاجرة كافرة، يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم. ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة. ثم على القهر، الذي لا يدع لرأس أن يفكر، ولا للسان أن يعبر. وهم يرونه بشرا مثلهم يحيا ويموت، ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب! "[2].

من أجل ذلك خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأن تكون جميع أحكام المسلمين صادرة عن شريعة الله تعالى، وسنته عليه السلام، لا من دساتير وأنظمة وضعية تخالف شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[3] فالله تعالى يقسم بنفسه العلية العظيمة بنفي الإيمان عنهم، ما داموا لم يحتكموا لحكم رسول الله ﷺ في الأمور كلها، لأن ما يحكم به هو الحق الذي يجب الاستجابة له باطناً وظاهراً[4].

ثالثاً: ادعاؤه الاستئثار بمعرفة الخير والهداية

لم يقتصر طغيانه على ادعاء الألوهية والربوبية فحسب، بل تمادى في طغيانه وتجبره مدعياً لنفسه وحدها معرفة الخير والهداية، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[5] وهذه طبيعة الطغاة دوماً، فإنهم يدعون لأنفسهم مالا يشاركهم فيه أحد، وليس هذا الأمر بغريب عنهم، وهنا" نجد فرعون يتحدث عن نفسه حديث المخلص لقومه الساعي لمصلحتهم فيقول: إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابًا وأعتقده نافعًا، وهل يرى الطغاة أفعالهم إلا أنها الخير والرشاد؟ فالخير والرشاد في مفهوم أولئك المجرمين، أن ينالوا شهواتهم وملذاتهم كاملة دون نقص، ولو فنيت الأمة كلها، أما لو كانوا يسعون في مصلحة الأمة كما يدعون، لسمحوا للأمة أن تقول لهم أنتم مخطئون، وأنتم

---

[1] القصص:38.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2694/5).

[3] النساء:65.

[4] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (306/2).

[5] غافر:29.

غير صالحين للقيادة فتنحوا عنها، وأعطوا القوس باريها، ولكن الحاصل من الطغاة من فرعون الغابر إلى فراعنة العصر الحاضر، أنهم لا يسمحون لأحد أن يرى رأيا يخالف رأيهم، أو أن يقول كلاماً يخالف قصدهم، ولو لم يكونوا بهذا الوصف لما كانوا طغاة مستبدين وفراعنة مجرمين "[1].

[1] الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمد، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، دار اليقين، (ط 1407/1هـ)، (232/1).

المبحث الثاني

الطغيان السياسي

يعدّ الحديث عن الطغيان السياسي حديثاً هاماً، خاصة في ظل الظروف التي تمر بها البشرية اليوم، وذلك بسبب المعاناة المتفاقمة، والآلام المتواصلة، الناتجة عن ظاهرة الطغيان السياسي التي تغطي مناحي الأرض كلها، فلم يعد هناك قطر من أقطار الدنيا إلا ويتلظى بحمم هذا الطغيان اللاهب، والناجم عن ممارسات وإجراءات القادة والزعماء والمسؤولين، الذين يشغلون المواقع السياسية في بلدانهم، ويحتكرون فيها القرار والرأي، ويتصرفون في شؤونها الداخلية والخارجية دون حسيب ولا رقيب.

المطلب الأول: الطغيان السياسي ظاهرة قديمة

ولا تعد هذه الظاهرة حادثة على عالمنا المعاصر، بل هي ضاربة جذورها عبر تاريخ الأمم، وقد تحدث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن هذه الظاهرة، دون التعرض لأسماء وشخوص وعناوين هؤلاء الطغاة وأماكن تواجدهم. فالطغاة هم أنفسهم في جبروتهم وعلوهم وإجرامهم، وهم عبارة عن عملة واحدة بوجوه متنوعة، وهذا ما أشار إليه المولى سبحانه وتعالى في وصفه لهؤلاء الطغاة: ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[1]، وما أجمل ما قاله الأفغاني، وهو يصف هذا الواقع: "فكلما قضى فرعون تقمص بآخر، وكلما انقرضت عائلة فرعونية ادعت إرثها عائلة، وجاءت ولو من وراء البحار، والتصقت بالنسب الفرعوني ولو بأقل مشابهة من خلق الغطرسة والتأله على النّاس" [2]، وهذا يدل على وجود خطط وحيل لدى الطغاة، يتواصون بها فيما بينهم، فيمضي الطاغوت اللاحق على خطى الطاغوت السابق، وكأنهم بذلك ينهلون بها من معينها الأول فرعون، فيتواصون بما يحقق لهم غاياتهم ومصالحهم، من خلال استخفافهم بأقوامهم وشعوبهم، بعد زيغهم عن منهج الله تعالى، وخروجهم عن طاعته، وبلوغهم درجة الفسوق، "وذلك كما يقول الله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [3]، فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ، وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه، لو

---

[1] الذاريات:53.

[2] المخزومي، محمد باشا، (ت:1348هـ)، **خاطرات جمال الدين الأفغاني**، (89/1-90).

[3] الزخرف:54.

لم يكونوا فاسقين عن دين الله.. فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمراً، وهو يعلم أن هذا الأمر ليس من شرع الله"[1].

وبذلك عرفوا الدواء الذي يمكنهم من السيطرة على الشعوب، كما سبقهم إليه فرعون، فتواصوا بما يخالف شرع الله تعالى، وبدؤوا "يحولون المجتمعات إلى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والفجور، مشغول بلقمة العيش لا يجدها إلا بالكد والعسر والجهد، كي لا يفيق بعد اللقمة والجنس، ليستمع إلى هدى، أو يفيء إلى دين!"[2]، وغدت تلك سياستهم، "سياسة محاربة المساجد بالمراقص، وفي محاربة الزوجات بالمومسات، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر، ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة"[3].

المطلب الثاني: أثر الطغيان السياسي على الفرد والمجتمع

ويترتب على هذا الطغيان أو الاستبداد الذي هو صورة من صور الطغيان كما يسميه البعض[4]، مخاطر جمّةً ومفاسد عظيمةً على الفرد والمجتمع، ويُعدّ وجوده بهذه الصورة المخيفة من علامات الساعة، كما بين ذلك الدكتور يوسف القرضاوي موضحاً أن "من أعظم هموم الوطن العربي والإسلامي هو الاستبداد، والاستبداد السياسي، خاصة استبداد فئة معينة بالحكم والسلطان، برغم أنوف شعوبهم، فلا هم لهم إلا قهر هذه الشعوب حتى تخضع، وإذلالها حتى يسلس قيادها، وتقريب الباحثين بالباطل، وإبعاد الناصحين بالحق. هذا الاستبداد خطر على الأمة في فكرها وفي عن طريق المؤسسات التعليمية والإعلامية والتثقيفية والترفيهية والتشريعية، وجلها – إن لم يكن كلها – في يد الدولة. ولكن الذي أؤكده أن الإسلام أول شيء يصيبه الأذى والضرر البالغ من جراء الاستبداد والطغيان. أخلاقها، وفي قدرتها على الإبداع والابتكار، وإن كان الاستبداد اليوم أشد خطراً من قبل؛ لما أصبح في يد السلطة من إمكانات هائلة تستطيع بها أن تؤثر على أفكار الناس وأذواقهم وميولهم، وتاريخنا الحديث والمعاصر ينطق بأن الإسلام لا

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (276/3).

[2] المرجع السابق، (328/3).

[3] الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرازق، (ت: 1356هـ)، **وحي القلم**، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، (د.ط)، (د.ن)، (286/2).

[4] انظر: الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (16/1). الغزالي، **الاسلام والاستبداد السياسي**، (39/1).

ينتعش ويزدهر، ويدخل إلى العقول والقلوب، ويؤثر في الأفراد والجماعات، إلا في ظل الحرية التي يستطيع الناس فيها أن يعبروا عن أنفسهم، وأن يقولوا: (لا) و (نعم) إذا أرادوا ولمن أرادوا، دون أن يمسهم أذى أو ينالهم اضطهاد. كما أثبت التاريخ الحديث والمعاصر أن الدعوة إلى الإسلام إنما تضمر وتنكمش حين يطغى الاستبداد، أو يستبد الطغيان"[1].

ومن خلال مطالعة سير الطغاة عبر التاريخ، يلاحظ وجود مقومات تساعدهم على حالة الاستبداد، وتفردهم بالقرار العام، وهذا ما أكدت عليه الآيات الكريمة في سياق الحديث عن فرعون وطغيانه واستبداده، فكانت أولى هذه المقومات ادعاء الربوبية: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2]، ومن ثم ينتقل إلى الادعاء الثاني والمتمثل با دعاء الألوهية: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾[3]، وذلك حتى يضمن السمع والطاعة، وعدم الخروج عن رأيه فيما يقول ويفعل، فالطاغية المستبد بشعبه يدعي بأن الوطن وما فيه خاضع له وداخل في ملكه، كما تكلم القرآن الكريم عن فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾[4]، وبالتالي لا يحق لأي كان مساءلته أو محاسبته.

وهاتان الصفتان اللتان ادعاهما فرعون أمام قومه، يتكرران في حياة الطاغية المستبد في كل زمان ومكان، إلا أن الطاغية في أيامنا هذه قد يمتنع عن ادعاء الألوهية أو الربوبية، إلا أن الممنوح له بموجب القوانين والتشريعات التي يعكف على سنها ليل نهار، تجعله في مقام وموضع لا يمكن مراجعته علاوة على محاسبته في أي شأن من الأمور. فليس غريبا ما نراه من قبل المسؤولين على اختلاف مسمياتهم ومواقعهم، من حرص منقطع النظير على إعداد القوانين، وسن التشريعات، وإصدار المراسيم، التي تلبي رغباتهم، وتشبع غرائزهم، وتمنحهم الصلاحيات المطلقة للتحكم في إدارة البلاد، وقيادة العباد، باسم القانون والدستور.

---

[1] القرضاوي، يوسف عبدالله، من مقال بعنوان: **هل صحيح أن الاستبداد السياسي من علامات الساعة** ، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، انظر: http://www.qardawi.net/new/all-fatawa/5191-2011-08-10-17-42-32.

[2] النازعات:24.

[3] القصص:38.

[4] الزخرف:51.

وعند الحديث عن الطغاة الذين يفسدون في الأرض، ويستعلون على الناس ويجعلونهم شيعاً وأحزاباً، مستغلين مواقعهم الحساسة في مجتمعاتهم ودولهم، يرى الباحث ضرورة الإشارة إلى أن هؤلاء الطغاة يعتمدون دوماً على بطانة من المقربين، تعمل على تنفيذ سياساتهم وبرامجهم على مختلف الصعد، والذين هم بمثابة الوزراء والمستشارين والحكماء لدى الطغاة، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الصورة من التحالف بين الطاغية والبطانة من حوله، والتي تتكرر وتتجدد في جميع أنظمة الحكم، ويمثل الوزراء في هذه البطانة عادة الشريان النابض، الذي يمرر من خلاله الطغاة كل خططهم ومشاريعهم وسياستهم الخادعة.

وهذه البطانة تتجلى فيها حالة الطغيان بصورة واضحة ومكشوفة، كما هو الحال بالنسبة لسادتهم، الذين يسدلون عليهم من علوهم وتجبرهم، مما يجعلهم يسيرون على خطاهم، وينهجون نهجهم، ويقتفون آثارهم في كل صغيرة وكبيرة. كيف لا؟ والعلاقة قائمة بينهم على تبادل المصالح، وتقاسم المكاسب والمواقع، فهذا فرعون عندما أراد مواجهة موسى عليه الصلاة والسلام، لدحض ما جاء به من الهدى والحق، سعياً منه لتحقيق انتصار في هذه المواجهة، يودَع في سجل طغيانه الأسود، فتوجه إلى أعوانه من السحرة، طالباً منهم مقابلة موسى عليه السلام ومباراته في يوم الزينة، فما كان منهم إلا الامتثال لطلبه، مقابل حصولهم على المنفعة والأجر، قال تعالى:﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[1]، ودوماً ما تكون العلاقة بين الفريقين قائمة على أساس المصالح والمنافع المتبادلة، والتي سرعان ما تنقطع وتنهار إذا ما انتهت أو انتفت المصالح بينهما، وبالتالي فإن من طبيعة الملأ "وطبيعة المستضعفين أن يسارعوا إلى مرضاة رؤسائهم، وإجابة رغائبهم، ولو داسوا في ذلك مقدسات الأديان والأخلاق. والحاكم المستبد يبارك هذه الطبيعة الدنسة ويغدق عليها ، ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي في الأرض لوجدنا مُراءاة الحكام قد وطأت أكناف المنكر، وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة، وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي" [2]، لترى أنهم يلازمون الطغاة ويحيطون بهم إحاطةً تامةً، إحاطة

---

[1] الشعراء:41.

[2] الغزالي، محمد أحمد السقا، (ت:1416هـ)، **الإسلام والاستبداد السياسي**، دار الكتاب العربي، (د.ن)، (32/1).

السوار بالمعصم، ما يلبث الطاغية أن يهمس قولاً، أو يومئ إشارة، إلا وكانوا له مطيعين، ولأمره منقادين صاغرين.

المطلب الثالث: دور أعوان الطغاة (الملأ) في الطغيان السياسي

لا تصور لوجود الطغاة دون أعوانهم، من رجال السياسة والدين والاجتماع والاقتصاد والإعلام وغيرهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الفئة، والتي غالباً ما يعبر عنها بلفظ الملأ، وهم "عَيْن الأعيان وأصحاب السلطة والنفوذ في القوم، والذين يضايقهم المنهج الإيماني، ويقضي على مكانتهم، ويقف في وجه طغيانهم وسيطرتهم واستضعافهم للخلق"[1]. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾[2]، كما أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى وجود بطانتين دوماً، تأمر إحداها بالمعروف وتحض عليه، وأخرى تأمر بالشر وتحض عليه، قال عليه السلام: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر، وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى" [3]، فيلاحظ في بعض الآيات التي تحدثت عن فرعون، وجود ارتباط وثيق بينه وبين هؤلاء الملأ من حوله، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية وجودهم، ودورهم الفعال في قيام أنظمة الطغيان. فانظر إلى الطغاة عبر التاريخ، وفي واقعنا المعاصر، هل كان لهم وجود دون بطانة السوء من حولهم، وما هو الدور المناط بهم من قبل هؤلاء السادة؟.

وعادة الملأ أنهم يستكبرون على من هم دونهم، كحال الطغاة الذين يحكمونهم، حيث جبلت نفوسهم على حب الاستكبار والعلو على الآخرين، لأجل ذلك يحرص الملأ المحيطون بالطغاة والمتربعون في قصورهم، على حيازة هذا الخلق الدنيء، مما يسدل عليهم هالة من العظمة بين الناس، تساعدهم على التزلف للطغاة أولاً، وتضفي عليهم هيبة مصطنعة في قلوب الرعية ثانياً، وقد وصف الله تعالى فرعون ومن معه من الملأ بهذا الوصف، قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (10028/16).

[2] القصص:20.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته. رقم الحديث: 7198، (77/9).

فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴾[1]، وذلك لأن الاستكبار والتجبر صفة ملازمة للطغاة، فهم متكبرون على من دونهم، متطاولون بالبغي والظلم على غيرهم [2]. ونسي هؤلاء أنهم كسائر الناس من حيث الأصل، لا يزيدون عنهم في الخلقة شيء، إلا أنهم بسبب طغيانهم يتضخمون ويتوسعون، حتى يأخذوا مكان الآلاف من الناس، متجاوزين حدودهم، ومعتدين على دمائهم وحرماتهم، ومتعرضين لأموالهم وأعراضهم!! فهؤلاء "الطغاة والجبابرة لا يبالون بدماء الناس، ولا يبالون بحقوق الناس، ولا يعبئون بحريات البشر، كل هذا عندهم لا قيمة له من أجل أن يبقى هو في الحكم، ويبقى مسيطراً، ويبقى متحكماً في رقاب الناس، سيظل يُعمل أسلحته ودباباته وطائراته ومدافعه وراجماته في البشر"[3].

وهذه المشاهد والصور من التقتيل والتشريد للأبرياء والمستضعفين من الناس، نراها صباح مساء في أيامنا هذه، فالناس تزهق أرواحهم جماعات جماعات، وتدق مدنهم بالصواريخ والمتفجرات والقاذفات، وتنسف بيوتهم وتحرق أرضهم بالقذائف والغازات السامة، كل ذلك باسم محاربة التطرف والإرهاب، ونشر ثقافة الديمقراطية وحرية العباد!! مع أن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه حال المسؤول أيّاً كان موقعه، هو العدالة واتباع الحق، وحفظ الأمانة وأدائها، ورعاية حقوق الناس والعباد، والقيام على خدمتهم ومساعدتهم، استجابة لأمر الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[4]، وقد حذر عز وجل عباده من الخيانة وعدم أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5]، كما حذر النبي عليه الصلاة والسلام

---

[1] المؤمنون:46.

[2] انظر: الآلوسي، محمود أبو الفضل، (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (18/ 36).

[3] القرضاوي، يوسف عبد الله، من برنامج الشريعة والحياة، مقال بعنوان: **(الطغيان وعاقبة الطغيان)**، الجزيرة نت، انظر: http://aljazeera.net/programs/religionandlife/2013/5/1.

4 النساء:58.

5 الأنفال:27.

من ذلك أيضاً، فقال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»[1].

لذلك يقول محمد الغزالي: "إني لا أعرف ديناً صبّ على المستبدين سوط عذاب، وأسقط اعتبارهم، وأغرى الجماهير بمناوأتهم، والانتقاض عليهم كالإسلام.!! ولا أعرف مصلحاً أدّب رؤساء الدول، وكبح جماحهم وقمع وساوس الكبرياء والاشتهاء في نفوسهم، كما فعل ذلك نبي الإسلام"[2].

ونتيجةً للعلاقة القائمة بين الطغاة والأعوان من حولهم، جعل الله تعالى عقوبته تصيب الفريقين معاً، نظراً لدورهما المشترك في نشر الفساد والعلو في الأرض، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[3]، أي فجمعنا فرعون وجنوده من القبط فألقينا بهم فى البحر، نتيجة كفرهم وعتوهم[4].

من خلال قراءة تاريخ الطغاة السياسيين وحقيقة أمرهم، يرى الباحث وجود دور لا يقل أهمية عن دور الملأ الذين تم التطرق لدورهم ومكانتهم لدى الطغاة، ويمثل هذا الدور طبقة الجنود الذين يشكلون ركناً مهماً في وجود ظاهرة الطغيان السياسي، كيف لا؟ وهم الذين يمثلون الأداة التنفيذية والفعلية لدى الطغاة، فهم الذين يبطشون بالناس ويرهبونهم، وهم الذين يشكلون حجر الأساس في إقامة عروش الطغاة وصروح عليائهم وكبريائهم، وقد بين الله تعالى حقيقة هؤلاء الجنود، والأعمال الموكلة لهم من قبل أسيادهم الطغاة، قال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[5]، وقوله تعالى:﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾[6]، أي الجنود الكثيرة، والجموع الكبيرة، صاحبة المضارب الضخمة ، التي يوتدونها في أسفارهم [7]، فكان لهؤلاء الجند

---

1 مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم:142، (125/1).

[2] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، (65/1).

[3] القصص:40.

[4] انظر:المراغي، **تفسير المراغي**،(61/20).

[5] طه:78.

[6] الفجر:10.

[7] انظر: الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (1200/1).

دورٌ جليٌّ في مشاركة فرعون، وملاحقة المؤمنين الفارين بدينهم ، وهذا الدور الفاعل ما زال حاضراً وبقوة إلى يومنا هذا، فلا يستطيع الطغاة العمل دونهم، ولا يتصور وجود الطغاة بدونهم.

مما سبق يتبين مدى قوة العلاقة بين الطاغية من جهة، وبين الملأ والجنود من حوله من جهة أخرى، وبالتالي فإن ظاهرة الطغيان السياسي تتشكل من هذه الأقطاب الثلاثة مجتمعة، بحيث يؤدي كلٌّ دوره المطلوب، وفق المخطط المرسوم له. ومن هنا فإن حالة الطغيان السياسي التي تعاني منها الأمة اليوم، وسائر أهل الأرض، ليست بالأمر الطارىء والوليد، بل هي ظاهرة متكررة عبر التاريخ، بصور ومسميات وشخوص متنوعة، لها نفس الصفات من العلو والتجبر والاستكبار، ولها نفس النتائج من القتل والتشريد والفساد.

المبحث الثالث

الطغيان الاجتماعي

حرص الإسلام منذ بزوغ فجر الدعوة، على ترسيخ مبادىء العدل والقيم والمساواة بين أفراد المجتمع، التي تحفظ المجتمع وتحفظ أبناءه من كل ما يهدد وجودهم، ويعمل على تشتيتهم ونشر الخلاف والفرقة فيما بينهم، وفـي الوقت نفسه نهى عن كل خلق وسلوك يقود إلى الظلم والجور والطغيان، وذلك بهدف إنشاء مجتمعٍ مسلمٍ متميزٍ عن المجتمعات الأخرى ؛ لكي يقوم بتأدية رسالته التي أنيطت به على أتم وجه، ومن ثم يحقق مفهوم الخلافة في الأرض التي كلفه الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] أي أنهم خير الأمم وأفضلها، وأنفع الناس للناس، وأكثرهم حسناً وإحسانا[2].

لذا فإن متانة المجتمع وخلوه من كل مظاهر الفتن والفساد، وقوة الرابطة بين أبنائه تعُدّ مطالب أساسية لكي يتمكن المجتمع من القيام بتأدية رسالته وواجباته . إلا أن المجتمع قد تعترضه بعض الأحداث، وتسوده بعض السلوكيات، التي تؤثر في تماسكه ووحدته، وتهدد سلامته وتجعله عرضة للمخاطر والمهالك، ويرى الباحث أن تلك الأحداث والسلوكيات التي تقع في المجتمعات تمثل في حقيقتها ظاهرة الطغيان الاجتماعي التي يجب اجتنابها والوقاية منها، وتطهير المجتمع من منابتها، حتى يظل المجتمع طاهراً نقياً من داخله، قوياً متيناً في ترابطه، تسود معاني المحبة والتعاون والإيثار بين أفراده، تحقيقاً واستجابةً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3]، وامتثالاً لقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4].

---

[1] آل عمران:110.

[2] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه** ، مكتبة دار القلم –الرياض، (ط1/1416هـ)، (203/1).

[3] الحجرات:10.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: 2586، (1999/4).

ويرى الباحث أن هناك العديد من مشاهد الطغيان الاجتماعي التي تسود المجتمع، والتي هي عبارة عن صورة من صور الظلم المنهي عنه، وذلك لأن الظلم يعد من الألفاظ ذات الصلة بالطغيان كما مر في فصل سابق، وقد نهى الإسلام عن الظلم وحذر منه، وطالب المسلمين الابتعاد عنه، كما ورد في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا"[1]، فالظلم إذا تسلل للمجتمع فإنه يبدأ بنخر جسده رويداً رويداً، حتى يأتي على كامل الجسد، وقد أصابه الضعف والوهن من كل جانب، فلا عدالة تسوده، ولا استقرار تجده، ولا قوة تحميه وتدافع عنه، ولا يؤمر فيه بمعروف، ولا ينهى فيه عن منكر، ولا رحمة بين أفراده ترجى، ولا رابطة متينة بينهم يمكن لها أن تقام، ومن صور الظلم الناشئة في المجتمع والحاملة على الطغيان الاجتماعي ما يلي:

المطلب الأول: ظلم الأفراد

نهى القرآن الكريم عن جميع حالات الظلم السائدة في المجتمع، والناجمة عن تصرفات أفراد المجتمع تجاه بعضهم البعض، لأنها تعد طريقاً باعثاً على الطغيان الاجتماعي؛ نتيجة التجاوز والخروج عن الحد المشروع في مجموع تصرفات الأفراد، والتي جاء الإسلام لمنعها أو الحدّ منها أو ضبطها بما يتوافق مع حدود الشرع، ومن تلك التصرفات المؤدية للطغيان في حالة وجودها وشيوعها في المجتمع ما يلي:

أولاً: العدوان

نهى الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات عباده المسلمين عن جميع صور العدوان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[2]، وذلك لأن الاعتداء على الناس وظلمهم وأكل حقوقهم، ومصادرة ممتلكاتهم وحرياتهم، أمر لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه، حتى في حالة الاعتداء على المسلمين فإن المشروع لهم رد العدوان بالمثل وعدم التجاوز في ذلك، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[3]، كما نهى رسول

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم:2577، (1994/4).

[2] البقرة:190.

[3] البقرة:194.

الله عليه الصلاة والسلام عن جميع أشكال العدوان، على الدماء والأموال والأعراض، كما جاء في الحديث النبوي :«فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب» [1]، ومنعاً للعدوان وسداً لكل منافذ شيوعه في المجتمع، فقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بضرورة الابتعاد عنه واجتناب كل ما يفضي إلى وقوعه، حتى وإن كان أمراً يسيراً لا يلتفت إليه، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» [2]، وقد تكاثرت النصوص القرآنية والنبوية في هذا الشأن، والغاية من ذلك أن يكون المجتمع والصف المسلم طاهراً نظيفاً وآمناً من كل مظاهر الفتن وأشكال العدوان المختلفة؛ لأن شيوع الفتن وظهور العدوان يُخرج من أبناء المجتمع من يطغى ويتكبر ويتجبر على الضعفاء والفقراء منهم، وهذا الطغيان والتكبر لا يقبله الإسلام ولا يهادنه، بل يقاومه ويحاربه ويقضي على كل مظاهره، ويعمل على تجفيف منابعه.

ثانياً: السخرية والتنابز بالألقاب

حتى تستقيم حياة المسلمين وتسودها أجواء من السكينة والطمأنينة، نهى الشارع الحكيم المسلمين عن جميع مظاهر السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب فيما بينهم؛ لما يترتب على شيوع هذه الأخلاق الفاسدة من مخاطر تهدد بنيان المجتمع، وتضر بسلْم أفراده وترابطهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ [3] أي أن"المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس؛ لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة...وقد

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم: 1679، (1306/3).

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم، حديث رقم: 2617، (2020/4).

[3] الحجرات:11.

يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف... ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!"[1].

وتعدّ هذه الأخلاق السيئة مما يمارسه الكفار والمجرمون والمتكبرون في الأرض، وهذا ما أكدت عليه الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[3]، وقد حذر رسول الله ﷺ أمته من كل عمل أو قول يحمل في خباياه أي صورة من صور السخرية أو التعرض للآخرين بقذفٍ أو شتمٍ أو أكلٍ لحقوقهم أو غير ذلك، وبين أن عقوبة من يقترف ذلك منكرة وشديدة يوم يقوم الناس للحساب بين يدي ربهم، إذ تأتي تلك الأفعال والأقوال على حسناتهم فتأكلها ولا تذر منها شيئا، حتى يطرح في النار، قال عليه الصلاة والسلام : «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[4].

إن شيوع هذه الأخلاق الذميمة بين أفراد المجتمع المسلم، يجعل بعضهم يتعالى على بعض، ويستكبر كبيرهم على صغيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وغنيهم على فقيرهم، وبالتالي يَضْحى المجتمع عبارة عن طبقات تستعلي إحداها على الأخرى، وتبطش بها وتتسلط عليها، وفي هذا السلوك يتجسد التجاوز والطغيان في المجتمع، ومن ثم يفقد الناس الأمن والاستقرار، وتسلب كرامتهم وحريتهم، من قبل من طغى وتكبر عليهم.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3344/6).

[2] الزخرف:7.

[3] المطففين:29-30.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم:2581، (1997/4).

ثالثاً: التجسس والظن والغيبة

من أجل سلامة المجتمع والمحافظة على وحدة وترابط أبنائه، أوصى الإسلام المسلمين بضرورة الابتعاد عن التجسس، واجتناب الظن والغيبة فيما بينهم، وقاية لهم من العذاب، وحفاظاً على نسيج مجتمعهم وكيانهم؛ لأن شيوع هذه الأمراض القاتلة في المجتمع تؤدي إلى تفككه وضعفه، والإضرار بأهله، قال تعالى محذراً عباده المؤمنين من هذه الأخلاق السيئة وضرورة اجتنابها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[1]، وكذلك حذر رسول الله عليه الصلاة والسلام المسلمين من مساوىء هذه الأخلاق ونهاهم عنها، فقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[2]، والأصل في علاقة المسلم بأخيه المسلم أن تكون قائمة على المحبة والألفة، وأن تتحقق فيها توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام القائل: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا_ ويشير إلى صدره ثلاث مرات_ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[3].

والتجسس ينتج الكراهية، ويدفع إلى البطش والانتقام، فإذا ما علم شخصٌ ما أن شخصاً آخر قد تجسس عليه، وتتبعه في أموره الخاصة؛ فإن ذلك يحمله على الانتقام والانتصار لنفسه ممن راقبه وتجسس عليه، وهذا الأمر يقود إلى الطغيان والظلم في المجتمع، كما أن التجسس وسوء الظن والغيبة تفسد على المجتمع حياته، وتنشر الشكوك والاتهامات بين أبنائه، فلا يؤمن أحدهم الآخر، ولا يثق المرء منهم بغيره، وهو طريق مفضية إلى قطع العلاقة فيما بينهم، وبث بذور الخلاف بين الأحبة منهم. أما إذا خلا المجتمع المسلم من الأخلاق الحسنة والكريمة، وحلت

---

[1] الحجرات:12.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها، حديث رقم:2563، (1985/4).

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم: 2564، (1486/4).

مكانها الأخلاق الدنيئة والوضيعة، وخالف أهله توجيهات ربهم ونبيهم، وتجسس بعضهم على بعض، وسرت الغيبة فيما بينهم، فإن حالة الظلم والضنك والطغيان تغشاهم، وتصبح سائدة في المجتمع، وتأتي على كل عوامل القوة فيه، وبالتالي يصبح عرضة للهلاك والخسران والدمار، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

المطلب الثاني: ظلم الأسرة

جاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظم العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة ؛ حتى تكون لبنة صالحة من لبنات المجتمع، تسهم في استقراره وقوته، وتعين على أداء رسالته، إلا أن بعض التصرفات الناجمة عن تعامل أفراد الأسرة فيما بينهم، تؤثر في سلامة المجتمع وترابطه، وتهدد النسيج الاجتماعي الناظم لعلاقاتهم، ومن ثم شيوع البغضاء والكراهية والشحناء فيما بينهم، مما يتيح الفرصة لمن يشاء منهم أن يطغى ويتكبر على الآخرين، مستغلاً تلك الأجواء التي تعدّ أرضية خصبة لظهور حالة الطغيان، ومن تلك التصرفات التي جاء الإسلام لمحاربتها وتطهير المجتمع منها ما يلي:

أولاً: ظلم الأبناء

كرّم الإسلام الأبناء وأوصى الآباء بهم وبحسن رعايتهم، وسنّ من التشريعات ما يضمن سلامتهم، ويحفظهم في صرغرهم وكبرهم، واعتبرهم أمانةً في أعناق الآباء، يتوجب عليهم القيام بواجبهم تجاههم وعدم إهمالهم، و حفظهم ورعايتهم حق الرعاية، وضرورة تعليمهم الخير وتوجيههم بما يعود عليهم بالمنفعة والصلاح، ويصرف عنهم كل سوء ومكروه في الدنيا والآخرة معاً، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا

---

[1] النمل:52.

[2] التحريم:6.

فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» [1]، إلا أن بعض الآباء قد يقصر في حفظ الأمانة ويظلم أبناءه، ويجور عليهم ويتعسف بهم، وكأن الشفقة والرحمة قد انتزعت من قلبه، ومن صور هذا الظلم الذي يمارسه الآباء بحق أبنائهم ما يلي:

الصورة الأولى: عدم التربية السليمة

يتحمل الآباء المسؤولية الكبرى في تربية وتنشئة الأبناء التنشئة السليمة، التي تجعل منهم أبناء صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم، فالأبناء يولدون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لكن المؤثرات الخارجية من آباء ومجتمع وغيرها قد تؤثر في تنشئة الأبناء بشكل سلبي. فالولد في مقتبل حياته تكون لديه قابلية كبيرة لتعلم الخير أو تلقي الشر، وهذا عائد إلى والديه المكلفين بتربيته وتوجيهه نحو الخير والإيمان والرشاد.

وأول أمر ينبغي تعليمه للأبناء وحثهم عليه، بعد إيمانهم بالله تعالى يتمثل في إقامة الصلاة، واتباع شرعه ونهجه، والاقتداء بسنة نبيه الحسنة، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3]، ومن ثم تربيتهم على الأخلاق الحسنة والمكارم الطيبة، والمعاملة الحسنة، حتى يكونوا منارات مضيئة في مجتمعهم، تنشر الخير وتحبب الناس إليه، وتقدم القدوة الحسنة وتدعوا الناس إليها، ولنا في لقمان عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة الحسنة في تربية الأبناء ، وتوجيههم نحو ما يعود عليهم بالخير في الدنيا، والفلاح في الآخرة ، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[4].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم:1829، (1459/3).

[2] طه:132.

[3] الأحزاب:21.

[4] لقمان:17-19.

فإذا أحسن الوالدان تربية الأبناء؛ فإن ذلك يعود عليهم وعلى الأسرة والمجتمع بالخير العظيم في الدنيا والآخرة، أما إذا قصّرا في تربيتهم وتوجيههم، ولم يقوما بواجبهما تجاههم؛ فإن ذلك يكون مدعاة لشيوع الفساد والانحلال وسوء الأخلاق في المجتمع، وجميعها أخلاق تقود في نهاية الأمر إلى طغيان وفسوق أصحابها، وفجورهم وبغيهم على أهلهم ومجتمعهم والناس أجمعين. فإهمال الأبناء وتركهم حيارى تائهين في صحاري الحياة القاحلة، يودي بهم إلى الهلاك والخسران والضياع، فإذا لم يجد الأبناء من يوجههم ويقومهم فإنهم سيكونون عرضةً لمخالب المجتمع الجارحة، من رفقاء السوء والجهلاء والضّلال وأهل النفاق، الذين يقعدون لهم بالمرصاد، ويتصيدون لهم في الخفاء، لا يرقبون فيهم إلّاً ولا ذمّةً؛ ليردوهم هلكى في غيابات الحياة، حيث الظلم والوحشة وفقدان الأنيس، قال تعالى محذراً عباده من هؤلاء الشياطين وكاشفاً كيدهم ومكرهم: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾[1]، فالحذر كل الحذر من ترك الأبناء دون رعاية وتوجيه وإرشاد؛ لأن في ذلك ضياع لهؤلاء الأبناء، وخسارة للمجتمع من جيل الشباب.

الصورة الثانية: التمييز بين الأبناء

إن التفضيل بين الأبناء وعدم المساواة بينهم ينتج عنه مشاكل كثيرة، تعود بالضرر على الأسرة، وعلى عموم المجتمع ثانياً؛ لذا أوصى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام الآباء ضرورة العدل بين الأبناء، وعدم تفضيل بعضهم على بعض في الأعطيات، ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنه قال وهو على المنبر: "أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»، قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، قال: فرجع فرد عطيته"[2].

ونظراً لأهمية العدل في حياة المسلمين، فقد جعل الله تعالى المقسطين على منابر من نور يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن

---

[1] الأنعام:112.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم2587، (3/ 158).

يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا [1]» [2]، فلما كانت العطية لبعض الأبناء دون بعض طريقاً إلى جعل العداوة والشحناء تدبّ فيما بينهم، وتضر بعلاقتهم وتماسكهم، فقد جعلها الإسلام محرمة، ومنعها سدّاً لكل أبواب الخلاف والشقاق، قال عليه الصلاة والسلام: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ »[3]، ويستثنى من تلك الأعطيات ما كان لحاجة تدعو إليها حالة المستثنى من الأبناء.

والمتأمل في أحوال الكثير من الآباء في هذه الأيام، يجدهم يفضلون بعض الأبناء على بعض في الهبات والمنح وغيرها؛ مما يؤدي إلى زرع بذور الخلاف بينهم، فيحقد أحدهم على الآخر، ويحمل ويغلظ عليه في المعاملة، وقد يصل به الحال إلى الانتقام منه والاعتداء عليه، ومن ثم تصبح المفاضلة بين الأبناء في الأعطيات وغيرها سبباً يدفع الأبناء لعقوق والديهم، والحقد عليهم وعدم طاعتهم والإحسان إليهم، إضافةً إلى ذلك فإنها تكون سبباً لأن يتعالى الأخ على أخيه، ويتكبر ويطغى عليه بسبب ما نال من أعطيات وهبات، وكفى بهذا التمييز فرقةً وشقاءً في الدنيا، وإثماً وعذاباً في الآخرة.

ومن صور عدم المساواة بين الأبناء أن يوصي الآباء بزيادة حصة بعض الأبناء دون بعض من نصيبهم الشرعي، أو حرمانهم من حقهم الذي نص عليه الشرع ولا سيما البنات منهم، وهذا واقع يشاهده الجميع في واقعنا المعاصر وللأسف.

والعدل بين الأولاد لا يقتصر على الأمور المادية فحسب، بل يشمل الأمور المعنوية أيضاً، من الاهتمام والرعاية بالأولاد جميعاً، والعطف والشفقة عليهم دون تمييز ولا محاباة؛ لأن المخالفة في ذلك تنشئ جيلاً من الأولاد المحرومين من حنان الوالدين وعطفهما، وبذلك يكون

---

[1] ولوا: كانت لهم عليه ولاية . النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392، (211/12).

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: 1827، (3/ 1458).

[3] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ط)، (د.ن)، كتاب الإجارة، باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل، حديث رقم: 3546، (317/3). قال الألباني: صحيح ، الألباني، محمد ناصر الدين، **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، حديث رقم: 272، بيروت، المكتب الإسلامي، (168/1).

هذا الجيل عرضة للضياع والضلال، تتقاذفه أمواج الجاهلية من كل صوب وحدب، وتلقي به في مهاوي الردى، ولنا في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام العظة والعبرة في ذلك، إذ كانت محبة يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه سبباً لعداوتهم وحسدهم من قبل إخوتهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾[1]، مع أن يعقوب عليه السلام كان عادلاً في معاملته مع أبنائه، إلا أن محبته القلبية كانت السبب في ذلك الحقد والكراهية، التي دفعتهم للتآمر على أخيهم والبغي عليه، بهدف قتله أو إلقائه في أرض خالية، إلى أن استقر بهم الأمر لإلقائه حيّاً في الجبّ، تأخذه القوافل المارة، قال تعالى: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾[2]، فكانوا بهذا الفعل والكيد، طاغين ومتجاوزين للحد.

من أجل ذلك كله وجب على الآباء أن يتقوا الله تعالى في أولادهم، وأن يعدلوا بينهم ويحسنوا إليهم، ولا يفرقوا بينهم في الأُعطيات والصدقات، حتى لا يكونوا سبباً في ضياعهم وانحرافهم، فالأبناء غرسٌ يجني حصاده الآباء، وثمار يقطفونها، وعماد به يتفاخرون، وبقوتهم وسندهم يصولون ويجولون، يقول زيد بن معاوية: "أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك"[3].

ثانياً: ظلم الزوجة

أرسى الإسلام مجموعة من الأحكام والتشريعات، التي تحفظ حقوق الزوجة وتصونها من كل ما من شأنه أن يعود عليها بالضرر والإجحاف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام:

---

[1] يوسف:8.

[2] يوسف:9.

[3] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (2/ 218).

[4] النساء:1.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا»[1]، فالزوجة تحتل مكانة رفيعة في الأسرة والمجتمع، لذا تعددت النصوص التي تحض على رعايتها وصونها ومنحها كامل حقوقها، وعدم ظلمها وإلحاق الضرر بها في أي صورة كانت.

ولكن هناك من يظلم الزوجة ويعتدي عليها، ويمنعها حقوقها ويسيء إليها، ويخدش كرامتها ويجرح مشاعرها، بقصد أو بدون قصد، فلا يمتنع بعض الأزواج وللأسف من الاعتداء على زوجاتهم، وضربهن بشكل عنيف، يلحق بهنّ الضرر، فتجده يقوم بضربها بصورة مستهجنة، يؤذي الجسد، ويمزق الشعر، ويسيل الدم، وكأنه في ساحة مواجهة مع خصم لدود، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2]، وقال عليه الصلاة والسلام ناهياً المسلمين عن ضرب المرأة بطريق مؤلمة: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»[3]، فمن فعل ذلك فقد خالف هدي النبي عليه الصلاة والسلام في معاملته لأهله، فقد وصفت عائشة رضي الله عنها حال رسول الله ﷺ مع أهله قائلة: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[4].

ومن صور طغيان الزوج الاعتداء على الزوجة من خلال منعها حقوقها المالية، من مهر ونفقة وسكنى وميراث وغيرها، فمن الرجال من يسلب زوجته حقوقها المالية، ويصادر ماجعله الشرع لها، ومنهم من يعتدي عليها بحرمانها من برّ والديها ومنعها من زيارتهم، فإذا تزوج الرجل المرأة فإنها تكون حبيسة عنده في البيت، ولا يسمح لها أن تتواصل مع والديها والقيام على خدمتهم، لا سيما إذا كانا بحاجة إلى من يقوم على شؤونهما ورعايتهما، ولا يوجد

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم:1468، (2/ 1091).

[2] النساء:19.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب ما يكره من ضرب النساء، حديث رقم:5204، (32/7).

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، حديث رقم:2328، (1418/4).

لهما سوى ابنتهم المتزوجة للقيام بذلك. وقد أجاز النبي عليه الصلاة والسلام للزوجة القيام بخدمة ورعاية والديها، حيث سمح لأسماء أن تصل أمها رغم أنها مشركة، فقد قالت "قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي ﷺ، مع ابنها، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة؟ أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»"[1]. ومنهم من يسلب الزوجة حقها في حضانة ورضاعة وليدها، ويحرمها عطفها وحنانها على ابنها الرضيع، وتركها تتلوى ألماً وحسرةً على فلذة كبدها، لذلك أعطى الإسلام الحق للمرأة في الحضانة والرضاعة، لما امتازت به من خصائص لا توجد لدى الرجال، فعن عبدالله بن عمر "أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكحي»"[2].

فعدم الإحسان للزوجة واللطف في معاملتها ومعاشرتها، وحرمانها من حقوقها المالية، ومنعها من برّ والديها، ورعاية وحضانة وليدها، وغيرها من الحقوق، كل ذلك طغيان يؤثر في نفسية الزوجة بشكل كبير، وقد يغير من سلوكها نحو الأسوأ، وهذه المعاملة الخشنة تدفعها إلى الحقد والكراهية لزوجها، وقد يصل بها الأمر أحياناً إلى أبعد من ذلك، فتحاول الانتصار لنفسها، برد العدوان الذي تعرضت له، ومقابلته بوسائل وطرق لا تحمد عقباها، وبالتالي يكون لدى الزوجة القابلية لأن تثأر لنفسها، وتنتقم ممن ظلمها وأضر بها وطغى بحقها، وهذا التجاوز والتعدي في معاملة الزوجة يسهم بدون أدنى شك في إيجاد حالة من الطغيان في المجتمع ويعزز من وجوده؛ لذا وجب وقاية المجتمع منه وسدّ جميع منافذه، وإنصاف المرأة ومنحها كامل حقوقها.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، حديث رقم:5979، (4/8).

[2] أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد، حديث رقم:2276، (283/2)، قال عنه الألباني حسن.

المطلب الثالث: ظلم المجتمع

تسود المجتمع بعض حالات الظلم التي ينتج عنها آثاراً سيئة تصيب عموم أفراد المجتمع، وتلقي بظلالها على صفو المجتمع ومتانة العلاقة بين أفراده، ومن هذه الحالات ما يلي:

أولاً: عدم الوفاء بالعهود والمواثيق

أوصى الإسلام المسلمين بضرورة الوفاء بالعهود والمواثيق وعدم نقضها أو الإخلال بها، وشدّد على أهمية حفظها وإنفاذها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[2]، وهنا يخاطب الله تعالى المسلمين بالوفاء بالعقود التي بينهم وبين الناس في الحرب والسلم وفيما بينهم أيضاً، من بيوع وأشربة وإجارات وغيرها، لأنه تعالى سائلهم عن نقض العهود، فلا يجوز لهم نقض العهود الجائزة بينهم، وبين من عاهدوهم من الناس، ولا يجوز لهم أن يغدروا أحداً من الناس بينهم وبينه أيّاً من العقود[3]. وقد عدّ النبي عليه الصلاة والسلام عدم الوفاء بالعهد علامة من علامات النفاق، على المسلم اجتنابها والبعد عنها، قال عليه الصلاة والسلام: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[4].

فالعهود والمواثيق واجب على المسلمين إنفاذها؛ لأن نقضها والتراجع عنها يتناقض مع الإيمان، بل هو صفة من صفات الفاسقين، كما بيّن ذلك الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾[5]، كما أن نقضها يؤدي إلى تبعات سيئة تضر بالأفراد والمجتمع ات، وتورث بينهم الخلاف والنفاق والشقاق، وتكون سبباً للنزاعات والأحقاد، ويفقد المجتمع بسببها الأمن والاستقرار، وتهتز الثقة بين الأفراد، ويحقد بعضهم على

---

[1] المائدة:1.

[2] الإسراء:34.

[3] انظر:الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (17-444).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم 34، (16/1).

[5] الأعراف:102.

بعض، وينشأ العدوان بينهم، وبالتالي يسود الظلم والطغيان في المجتمع، وتأكل النار من جسده، وتأتي على كلّ عناصر قوته وترابطه، لأجل ذلك كانت العقوبة على ناقضي العهود والمواثيق قاسية عند الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[1]، فماذا بعد الطرد من رحمة الله وقساوة القلوب عقوبة يستحقها من يخلّ بالعهود والمواثيق، وما بعد ذلك من خسران وشقاء، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2]، فالذي ينقض العهد مع الله تعالى، وينشر الفساد في الأرض، فإن صلتهم بالله تعالى مقطوعة "وإن فطرتهم المنحرفة لا تستقيم على عهد ولا تستمسك بعروة ولا تتورع عن فساد. إنهم كالثمرة الفجة التي انفصلت من شجرة الحياة، فتعفنت وفسدت ونبذتها الحياة.. ومن ثم يكون ضلالهم بالمثل الذي يهدي المؤمنين وتجيء غوايتهم بالسبب الذي يهتدي به المتقون"[3].

ومن العقوبات العاجلة التي تنزل بالمجتمعات حين تنتشر فيها ظاهرة نقض العهود والمواثيق، القتل وسفك الدماء، قال عليه الصلاة والسلام محذراً: "ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر"[4]، فإذا ترتب على نقض العهود وعدم الوفاء بالعقود، تفشي القتل واستباحة الدّم في المجتمع، فماذا بعد هذا القتل من فساد وبغي وطغيان، يشقى المجتمع ويتلظّى بلهبه الحارق، ويتجرع مرارته القاتلة، ويذوق حسرته الأليمة.

ثانياً: أكل أموال الناس بالباطل

نهى الإسلام عن أكل أموال الناس بالباطل، والتعدّي عليها وغصبها من أهلها عنوةً وقسراً عن إرادتهم ورغبتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[5]، فالأمر الذي

---

[1] المائدة:13.

[2] البقرة:27.

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (51/1).

[4] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: 458هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 1424هـ، (386/9). ذكره الشيخ الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة بعد أن ذكر الشواهد وناقشها حيث قال:"وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب".

[5] البقرة:188.

يجب أن يدركه الناس جميعاً، أن المال في أصله مال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1] ويجب أن يكون هذا المال متداولاً بين الناس جميعاً، وأن لا تستأثر به فئة قليلة وتحرم منه أغلبية الناس، ومن ثمّ تتحكم في مصائرهم وحاجياتهم، قال تعالى: ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[2]؛ لأن وجود المال لدى فئة قليلة من الناس يكون مدعاة لتفشي الجريمة ونموها في المجتمع، وانتشار السرقة بين الناس، ومن هنا يستعلي ويتكبر الأغنياء على الفقراء؛ لأن من طبيعة الغنى أن يحمل صاحبه على الطغيان، إذا كان قلبه خالياً من الإيمان والإحسان، قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[3].

فالوضع السليم الذي ينبغي أن يكون عليه المال في المجتمع أن يكون متداولاً بين الجميع، وأن لا يحرم منه أحد، ومن اعتدى على أموال الناس فقد ارتكب الحرام، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[4]. ويعدّ المال من الضروريات الخمس التي جاء الشرع لحفظها وحمايتها من أي اعتداء وانتهاك، وقد عاقب الله تعالى بعض عباده ممن اعتدوا على أموال الناس وأكلوها بالباطل، بحرمانهم من الطيبات التي أحلت لهم، قال تعالى:
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[5]، كما توعد الرهبان والأحبار منهم بالعذاب الأليم على ما أقدموا عليه من أكل لأموال الناس بغير حق،

---

[1] النور:33.

[2] الحشر:7.

[3] العلق:6-7.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم:2564، (1986/4).

[5] النساء:160-161.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

ومن صور التعدي على المال وأكله بغير حق مشروع، التعدي على مال اليتيم ونهبه، واستغلاله والتصرف فيه بعيداً عن مصلحة ورعاية اليتيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[2]، فالذين يعتدون على أموال اليتامى ويأكلونها بأي طريق وبغير حق، فكأنما يأكلون في بطونهم ما يكون سبباً لدخول النار، وبالتالي يحرقون بنار حامية مسعرة وقودها من الناس والحجارة[3].

فالاعتداء على أموال الناس عموماً، وعلى أموال اليتامى خصوصاً، أمر منهيّ عنه يتوجب على المسلم أن يتجنبه وأن يبتعد عنه؛ لأن شيوع مثل هذه المخالفة في المجتمع، ينتج عنه عداوات بين الناس، ويكون سبباً للفرقة والنزاع، ويحمل بعضهم على بعض، وكلّها أسباب تقود للعدوان والطغيان، والبغي والاستعلاء.

ثالثاً: الغش وتطفيف الكيل والميزان

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين بالعدل والإنصاف في سائر الأمور، ونهاهم عن الغش، وتطفيف الكيل والميزان؛ لما في ذلك من آثار سيئة وانعكاسات سلبية، تصيب الأفراد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾[5]، فالغش وتطفيف الكيل والميزان من الأخلاق الذميمة التي نهى الإسلام عنها، وأمر المسلمين اجتنابها والابتعاد عنها، وحذر أشد التحذير من المخالفة في ذلك والبغي على المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ

---

[1] التوبة:34.

[2] النساء:10.

[3] انظر:حجازي، **التفسير الواضح**، (243/1).

[4] الشعراء:181-183.

[5] المطففين:1-3.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1]، فمن أقدم على اقتراف تلك الأعمال السيئة فليس من المسلمين في شيء، وليس هذا العمل من أخلاقهم ولا من طباعهم وعاداتهم، قال عليه الصلاة والسلام: «من غشنا فليس منا»[2].

فواجب المسلم أن يكون صادقاً عادلاً في جميع معاملاته، وأن يبتعد كل البعد عن جميع صور الغش وتطفيف الميزان؛ لأن ذلك الفعل من صفات المنافقين؛ ولأن الغش فيه خداع وغرر، وهذا قريب من الكذب، والمسلم صادق لا يكذب ولا يرضاه لغيره من المسلمين. كما أن المسلم أمين في تعامله مع غيره من المسلمين، لا يظلمهم ولا يغشهم، ولا يأكل حقوقهم ولا يعتدي عليها، ويحفظ الأمانات ويؤديها إلى أهلها على أكمل وأتمّ وجه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3]، لذا فإن الغش وعدم الأمانة في الكيل والميزان، يعدّ من الأسباب المؤدية إلى الطغيان، وإلى زرع بذور الفتنة والخلاف بين أفراد المجتمع الواحد، فلا يُقبل من أيّ منهم أن يمارس بحقه الغش، أو أن يسلب من حقوقه في المعاملات وغيرها، قال تعالى محذراً عباده من طغيان الميزان، والإخلال في المكيال، وتجاوز العدل والإنصاف: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾[4]، أي لكي لا تعتدوا وتتجاوزوا ما ينبغي أن يكون عليه الحال من العدل والإنصاف، وأن تجري الأمور وفق ما شرع الله تعالى وسن من الموازين، وبذلك ترتقي شؤونكم، وتنتظم سائر أعمالكم وأخلاقكم وأحوالكم[5].

فإذا ساد الغش أوساط المجتمع، وطغى الناس في الميزان والمعاملات، فكيف سيكون عليه الحال، وكيف يمكن للعلاقة أن تدوم بين الأفراد، وعلى أي أساس سيتعاملون ويلتقون؟ لا شك أن الصورة التي سيظهر عليها المجتمع ستكون صورة مظلمة دامسة، تخفي في طياتها معالم الشر ومنابت الخلاف، وتسهم بشكل كبير في نشر الفرقة، وقطع أواصر الوفاق والوئام.

---

[1] الأحزاب:58.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا"، حديث رقم: 101، (99/1).

[3] النساء:58.

[4] الرحمن:8.

[5] المراغي، **تفسير المراغي**، (107/27).

المبحث الرابع

الطغيان المالي

ينتج الطغيان المالي عادة في المجتمعات والدول من قبل الشخصيات التي تملك الثروات الهائلة، والأموال الضخمة التي لا تعد ولا تحصى، وتتحكم في مقدرات الدول انطلاقاً من مكانتها وسياستها الجاثمة على صدور الناس، وتسعى جاهدةً لفرض سيطرتها وأجندتها على الشعوب من خلال ما تملك من السلطة والجاه والمال، مستغلةً حاجة الناس لهم وعوزهم لما في أيديهم من كنوز وأموال وخيرات ؛ لأن من عادة الفقراء والبسطاء الإلتفاف حول الأغنياء والميسورين من حولهم، متوددين لهم، ومتزلفين لقربهم، وساعين لرضاهم، طمعاً في نيل بعض ما يملكون من ثراء ورغد العيش.

المطلب الأول: حقيقة المال

يعدُّ المال في حقيقته الأولى مال الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1]، ونعمة يمتن بها الله على من يشاء من عباده، ويجعلهم مستخلفين في هذا المال، مؤتمنين عليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[2]، فلا يعقل أن يرزق الإنسان من المال والنعيم، دون هدف، ولا غاية، بل لا بد من رسالة يؤديها ويقوم بها من خلال ما رزق في هذه الحياة الدنيا، فقد أنيطت به خلافة الأرض وعمارتها دون سائر المخلوقات، نظراً لما أكرمه الله به من عقل وإرادة دون غيره من المخلوقات. إلا أن سعة الرزق التي يتفضل بها الله تعالى على بعض عباده، قد تقودهم إلى الاستعلاء والطغيان بسبب استغنائهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[3]، يخبر الله تعالى أن الإنسان ذو فرح وبطر وعلو وطغيان، إذا حاز المال والرزق الكبير، ووجدت نفسه الاستغناء بما لديها من نعمة وسعة من الله تعالى[4].

---

[1] النور:33.

[2] الحديد:7.

[3] العلق:6-7.

[4] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (422/8).

وفي مقابل ذلك يوسع الله سبحانه وتعالى على بعض عباده بالرزق، فيغدق عليهم من نعمه وفضله وإحسانه، فلا ينسى هذا العبد حق الله في هذا المال والفضل، فيشكر ولا يبطر، ويحمد الله ويثني عليه ولا يكفر، وينفق ويتصدق ولا يمسك ويقتر، فالمؤمن أن هذا العطاء هو منّة من الله تعالى أغدق بها عليه من غير استحقاق منه، بل هو صدقة تصدق الله بها على عبده، وله أن لا ينعم عليه، ولا يكون في ذلك قد منعه شيئاً هو له يستحقه عليه، أما إذا رآى نفسه تستحق هذا العطاء، وأعجب به وطغى بسببه واستطال على غيره من خلاله، فلم يكن له من هذه المنح إلا الفرح والبطر[1].

المطلب الثاني: الناس والمال

بيّن سيد قطب أن الناس في نظرتهم إلى المال على قسمين، أحدهما تستهويه زينة الدنيا ومتاعها الزائل، وآخر متصل بالله تعالى لا تفتنه ولا تغريه الأموال مهما بلغت وكثرت، فيقول: "وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه. ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها. فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع ، وهم أعلى نفسا، وأكبر قلبا من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعا. ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد"[2].

وقد تحدث القرآن الكريم عن ثلة من هؤلاء العباد المتصلين بالله تعالى والشاكرين له على نعمه، فذكر منهم سليمان عليه الصلاة والسلام، الذي آتاه الله من ملكه، وعظيم فضله، ووسع عليه في رزقه، فشكر المُنعم، وحفظ النعمة، وأدرك الحكْمة من وراء هذا الملك، قال

---

[1] انظر: الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، مكتبة الرشد- السعودية، (ط1/1415هـ)، (199/1).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2713/5).

تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[1]، أي أن سليمان رأى ما أعطاه الله تعالى من فضله ومنته عليه ليبتليه بذلك، فشكر الله وحمده على ما آتاه[2].

فمجرد الغنى لا يؤدي إلى الطغيان، وقد كان من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام الكثير من الأغنياء، من أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما الكثير، إلا أنهم لم يطغوا ولم يستكبروا، بل جعلوا كل ما بين أيديهم لصالح الإسلام وخدمة المسلمين. وهذا الواقع غير مقتصر على زمن الصحابة رضوان الله عليهم، بل هو واقع متجدد نلمس آثاره، ونجد نتائجه إلى يومنا الحالي، فترى كثيراً من أغنياء المسلمين يسخرون معظم ما لديهم نصرةً للإسلام، ودعماً للفقراء والمحتاجين، وعوناً للمعوزين والمنكوبين. أما إذا استغنى الإنسان بعد نيله للمال أو السلطان أو الجاه أو تقلد المناصب العليا، واستغنى كذلك عن خالقه جلّ وعلا، وعن حاجته للناس، وغيرها من النعم، فهذا الذي يؤدي به إلى الطغيان، وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة قارون الذي تجلت في حياته ظاهرة الطغيان المالي، فاستغنى عن الله وعن الناس من حوله بعد ما أغدق الله عليه بالمال الكثير، والكنوز الضخمة التي يصعب على الرجال الأشداء حملها، فكانت هذه النعمة التي نالها مبعث فرح وبطر واستعلاء على قومه، ولم يشكر الله عليها، ولم يؤد حق الله فيها كما أمر، حتى أصبح قارون مضرب مثل، فما أن يذكر اسمه، حتى يتبادر إلى الذهن مباشرةً، الأموال الكثيرة، والثراء اللامحدود، والكنوز العظيمة، وحالة البطر والغرور والخيلاء التي لازمته، وما حلّ به من عقوبة، وبداره من خسف ودمار.

المطلب الثالث: نماذج من الطغيان المالي

النموذج الأول: قارون

وقصة قارون باختصار أنه كان "من قوم موسى، فهو إسرائيلي وليس قبطياً، وأرسل الله موسى إليه مثل ما أرسله إلى فرعون وهامان. وقد أعطى الله قارون أموالاً عظيمة، وكنوزاً وافرة، تملأ خزائن عديدة. ويثقل حمل هذه الكنوز والخزائن، بحيث تنوء بحملها العُصبة من

---

[1] النمل:40.

[2] انظر: الشيخ حسن، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، (199/1).

الرجال الأقوياء الأشداء. وقد استخدم قارون هذه الأموال في البغي والظلم والعدوان، وفي التكبر والبطر والخيلاء. وكان فتنة للفقراء الضعفاء من بني إسرائيل"[1].

وتظهر الآيات الكريمة التي تحدثت عنه بأنه ليس مجرد شخص عادي، شأنه شأن بقية الناس من قوم موسى عليه السلام، بل كان يشغل مكانة رفيعة في نظام الطاغية فرعون، وأحد أهم أركان حكمه، الذين سخرهم فرعون لخدمته، والعمل على تنفيذ خططه ومشاريعه الظالمة بحق أفراد مجتمعه، وجعل منهم يده التي يبطش بها الناس ويذيقهم الموت الزؤام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴾[3]، فاقتران اسم قارون مع فرعون في أكثر من موضع في القرآن الكريم، يدل بوضوح على المكانة التي كان يشغلها لدى نظام فرعون، وقد بين الدكتور يوسف القرضاوي مكانة فرعون وهامان وقارون في الدولة الطاغية قائلاً: "الحاكم المتجبر في بلاد الله ويمثله فرعون، والسِّياسيّ الوصولي الذي يسخر ذكاءه وخبرته في خدمة الطَّاغية وتثبيت حكمه وترويض شعبه للخضوع له ويمثله هامان، والرأسمالي أو الإقطاعي المستفيد من حكم الطَّاغية، فهو يؤيده ببذل بعض ماله، ليكسب أموالاً أكثر من عرق الشعب ودمه ويمثله قارون"[4].

فقد كان قارون من قوم موسى عليه السلام، وكان عليه أن يؤمن ويصدق بما جاء به النبي موسى عليه السلام، إلا أنه بغى وطغى بما أوتيه من مال وكنوز؛ لأن المال يهوي بصاحبه إلى الطغيان إذا خلا قلبه من الإيمان، وهذا ينطبق على قارون الذي وصفه الله تعالى بأنه: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[5]، أي أنه كان منهم، عاش معهم وسكن بينهم، إلا أنه لم يحفظ تلك الصلة والعلاقة، ولم يصنها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه،

---

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم- دمشق، (ط1428/5هـ)، (571/1).

[2] غافر:23-24.

[3] العنكبوت:39.

[4] القرضاوي، يوسف، **من فقه الدولة في الإسلام**، دار الشُّرُوق-القاهرة، (ط1417/1هـ)، (1/ 133).

[5] القصص:76.

فما كان منه إلا أن طغى وتكبر وبغى عليهم، بعد أن جمع المال الكثير [1]. ولم يفصل القرآن صورة البغي "ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم- كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان- وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال. حق الفقراء في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة. وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب"[2].

ويتساءل الدكتور صلاح الخالدي عن السر في اقتران اسم قارون مع فرعون وهامان وهو ليس بقبطي مثلهم، وقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى الثلاثة معاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [3]، ويجيب على التساؤل بقوله: "فرعون مصري. وهامان مصري. وقارون إسرائيلي. ويبدو أن الجامع بينهم هو الطغيان والبغي والفساد والكفر والتكذيب، وبعدما جمعهم هذا الجامع، اختلف السبب الذي حمل كلاً منهم على جريمته: فطغيان فرعون بسبب ملكه وسلطانه، ولهذا دعا قومه إلى عبادته، وقال لهم: ما علمت لكم من إله غيري. وطغيان هامان بسبب وزارته ووظيفته عند فرعون، وتنفيذه لأوامره. وطغيان قارون عن طريق الثراء والغنى والمال والكنوز. فهم طواغيت ثلاثة. وإن اختلفت أسباب طغيانهم. إنها أسباب ثلاثة للطغيان: السلطان. والوظيفة. والمال. وهذه الأسباب مستمرة على مختلف فترات التاريخ البشري. وكم من الطغاة من يكون أسرى هذه الأسباب!. كم من الناس من يكون طغيانه بسبب ملكه وسلطانه! وكم من الناس من يكون طغيانه بسبب وظيفته ومركزه واتباعه للكبراء! وكم من الناس من يكون طغيانه بسبب ماله وثرائه!. تعددت الأسباب والحكم واحد، والطغيان طغيان!"[4].

إنه قارون الذي يمثل الطغيان المالي في زمن موسى عليه السلام، والذي تتكرر نماذجه عبر التاريخ في صورة أشخاصٍ أو شركاتٍ إقتصادية أو دولٍ رأسمالية أو غير ذلك من الصور

---

[1] انظر: حجازى، **التفسير الواضح**، (848/2).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2711/5).

[3] غافر:23-24.

[4] الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن**، (576/1).

والمسميات، والتي تجسد حالة الطغيان المالي الذي يقوض المجتمعات، ويفسد الحياة، ويجعل الناس طبقات متصارعة، ويغري بعضهم قتال بعض، وتنشب بينهم الصراعات والحروب، بهدف الاستيلاء على الخيرات، ونهب منابع الثروات، ووضع اليد على مقدرات الضعفاء من الناس، ليجعل منهم أيتاماً على موائد الطغاة اللئام. فما من ناحية من نواحي الأرض إلا ويثير فيها الطغاة العصاة الحروب والخصومات، سعياً منهم للحفاظ على كراسيهم، وتحصيناً لعروشهم التي شيّدت على حساب المال العام، وعلى حساب الشعوب المستضعفة والمقهورة، وتحقيقاً للمغانم والمطامع والمكاسب، سواء كان ذلك من خلال الشركات الخاضعة لنفوذهم وسيطرتهم، كشركات السلاح أو النفط وغيرها، أو من خلال إضعاف الدول الفقيرة أصلاً لتبقى تدور في فلكها، وحتى لا تقوى وتخرج عن طوعها وأمرها وسيادتها.

من أجل ذلك فإن القرآن الكريم عندما يحدثنا عن شخصية قارون، يتوجّبُ على كل مسلم أن ينظر إلى كل القارونيين الجدد، مهما كانت شخوصهم ومسمياتهم، فهم صور متنوعة لظاهرة واحدة، تظهر فيها حالة الطغيان المالي بكل جوانبه وتفصيلاته؛ لأن "الشخصيات التي يقدمها القرآن في قصصه ليست شخصيات موقوتة بزمان محدد، وإنما هي نماذج إنسانية عامة. تظهر في فترات مختلفة من التاريخ، ويلحظها أولو العلم والبصيرة، ويلحظون انطباقها على بشر آدميين يعيشون معهم، تختلف الأسماء والأماكن في النماذج الإنسانية، في الحالات المكررة وتبقى السمات والقواعد والخصائص والحقائق. فقارون والذين لم يخدعوا به، والذين خدعوا فتمنوا مكانه، لا يخلو من هؤلاء زمان ولا مكان!"[1].

وهذا واقع مشاهد للناس جميعاً، فما من دولة ولا مجتمع إلا ويوجد فيه من القارونين الذين يطغون بمالهم، ويفسدون بكنوزهم، وينشرون الفساد بغناهم، وهم الذين بسبب طغيانهم وترفهم وفسوقهم تُهلك القرى بأمر الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[2]، أي أن المترفين"في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل

---

[1] الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن**، (582/1).

[2] الإسراء:16.

نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها"[1].

النموذج الثاني: صاحب الجنتين

ومن القصص التي سطرها الله تعالى في كتابه العزيز، قصة الرجل الذي آتاه الله جنتين من أعناب وزروع وثمار، والمذكورة في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾[2]، حيث تتجلى في هذه القصة ظاهرة الطغيان المالي بشكل واضح وبيّن، كما تجلت من قبل في قصة قارون، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾[3]، فيعظ الرجل المؤمن الكافر بأن يشكر نعمة الله تعالى، وما أفاء عليه من خيرٍ عظيم، وأن يتبرأ من قوته وحوله، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾[4] إلّا أنّه رفض واستكبر، واغتر بما بين يديه من الزرع والثمار والأشجار والأنهار، واستبعد زوال جنتيه وقيام الساعة، كما اغتر قارون بما بين يديه من كنوز، ولم يتبرأ أيضاً من قوته وحوله، بل قال مدعياً: أنه أوتي هذه الكنوز والأموال على علم من عند نفسه، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾[5]، وهذا حال الطغاة دوماً، لما يرواْ ما بين أيديهم من نعمٍ كثيرة، وهذا ما حكاه القرآن الكريم على لسان فرعون عندما أعلن قائلاً: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[6]،

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2217).

[2] الكهف:32.

[3] الكهف:34.

[4] الكهف:37.

[5] القصص:78.

[6] الزخرف:51.

إلا أنّ صاحب الجنتين اغتر بما أوتي من أموال، وما وهبه الله تعالى من أولاد وعشيرة وأقارب، وكثرة أنصار وخدم وعبيد، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[1]، وهذا جهل وغباء منه، لأن أي افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة وحسنة نفسية، ولا صفة معنوية تحمل في جوهرها نشوة الإعتزاز، فإنما هو سراب، لا قيمة له ولا اعتبار، وهو بمنزلة فخر الصبي بالأمنيات، التي لا أثر لها، ولا حقائق تقوم عليها[2].

وقد مضت سنة الله تعالى في هذا الكافر الطاغية، كما مضت في غيره من الطغاة، فأتت الصواعق على ثمار جنتيه وأهلكته، وجعلت بعضه على بعض، ولم يتبقَ له بعد ذلك من رزق يتغنى به، أو مال يبطر من خلاله. فلما رأى ما حلّ به من عذاب الله تعالى، أخذ يبدي أسفه وندمه على ما قدّم وعمل، ويتمنى أن لا يكون قد أشرك بربه أحداً، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[3]، إلا أنّ ندمه وحسرته لم تنجياهُ من عذاب الله تعالى، كما أنّ ندم فرعون وإعلان إيمانه لمّا رأى العذاب لم يغنه من الله شيئا ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[4]. فكان صاحب الجنتين نموذجاً صارخاً للرجل الغني، صاحب الثراء الفاحش، والأموال الكثيرة، تذهله ثروته، وتبطره النعمة، فينسى القوة الحقيقية التي تتصرف في أقدار الناس وسنة الحياة، ويحسب بأنّ النعمة التي بين يديه خالدة لا تزول، وعليه فلن تخذله القوة ولا الجاه [5]. وبهذا فقد بلغ صاحب الجنتين ما بلغ من الكفر والطغيان، عندما ترك صاحبه المؤمن، ودخل جنته بكل كبر وخيلاء وهو ظالم لنفسه؛ بسبب حالة الكفر والجحود والغرور التي كان عليها، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ

---

[1] الكهف:34.

[2] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (476/1).

[3] الكهف:42.

[4] يونس:90-91.

[5] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (2270/4).

جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[1]، فهل بعد ظلم الإنسان لنفسه، والورود بها إلى مهاوي الردى من طغيان وخسران؟

فيظهر من خلال قصة صاحب الجنتين، نموذج الطغاة المتغطرسين بأموالهم، المتجبرين بثرواتهم، المتنعمين نعيم الحيوان ليس أكثر ، فتبرز حقيقة نفوسهم المريضة، وفطرهم الملوثة بحب المال والثراء، وحرصهم الشديد لدرجة القداسة لكل مالٍ وغنى، فغدت شخوصهم منقادة للنعيم والزينة ووجوه الترف، فلا قدرة لهم على مخالفة شهواتهم ونزواتهم، ولا مناعة لديهم تحميهم من بريق المال الخادع، وشعاع الغنى الفاتن، وسحر الثراء القاتل ؛ لأن أجسادهم غدت تتقلب على بساط الثراء الفاحش، فلا تقدر على مفارقته، ولا يمكنها هجره، فلا همّ لهذه الأجساد والنفوس المريضة، إلا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا، دون وجود هدف سامٍ تسعى لتحقيقه، ولا غاية نبيلة تحرص على نيلها، إن هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلا.

وإزاء ما ذكر فإنه يتوجب على المسلم الغني، أن لا يبغي ولا يطغى، وأن يستجيب لتوجيه المولى سبحانه وتعالى، في كيفية التعامل مع حالة الغنى ووجود المال، الوارد في قصة قارون، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، فيلاحظ في هذا التوجيه الرباني لعباده المؤمنين الآتي:

أولاً: لفت أنظارهم وربط قلوبهم بالحياة الآخرة، وعدم انشغالها المفرط في الحياة الدنيا، وذلك لأن الدار الآخرة خير وأبقى، قال تعالى: ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[3].

ثانياً: ليس من صفات أهل الإيمان الذين يريدون الآخرة ويسعون لرضوان الله، العلو والإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

---

[1] الكهف:53.

[2] القصص:77.

[3] الأعلى:17.

[4] القصص:83.

ثالثاً: بلوغ المؤمن درجة التقوى، سبيل فوزه وطريق نجاته في الدارين معاً.

رابعاً: على المؤمن جعل الدنيا طريقاً للآخرة، ومزرعة يجني ثمارها الطيبة في الآخرة.

خامساً: الإحسان إلى الناس عموماً، والفقراء والمحتاجين خصوصاً، من صفات أهل الإيمان.

سادساً: قيام المؤمن بواجبه المتمثل في مخاطبة أهل المال وتوجيههم نحو ضرورة التصرف فيه كما أراد الشرع.

الفصل الرابع

آثار الطغيان

المبحث الأول: آثاره على الطغاة

المبحث الثاني: آثاره على المجتمع

المبحث الأول

آثاره على الطغاة

يترتب على وجود الطغيان آثار سيئة، وعواقب وخيمة تصيب الطغاة أنفسهم في الدنيا والآخرة، وذلك لما للطغيان من مفاسد جمّة تمسّ العقيدة أولاً، وسائر أحكام الإسلام ثانياً، ومن ضمن تلك الآثار الوخيمة ما يلي:

المطلب الأول: الضلال

لقد حقّ من الله تعالى على الذين يطغون في الأرض، ويعيثون فيها الفساد وسوء الأخلاق، ويتعالون على الناس ويبغون عليهم، ويرفضون الخضوع لعبادة الله تعالى، الضلال والخسران عقوبة لهم لزيغهم عن دين الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[1]، أي أن الرسل كانت تأمرهم بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطاغوت الذي هو اسم لكل معبود من غيره سبحانه وتعالى، فمن الأمم من كان يستجيب لدعوة الأنبياء فينال الهدى من الله، ومنهم من حقّت عليه الضلالة لعدم إيمانه وتصديقه بدعوة الأنبياء، فوجب عليهم من الله تعالى الضلالة في قضاء الحق السابق في اللوح المحفوظ إلى أن مات على الكفر والضلال[2].

فنتيجة عدم الإيمان والتصديق، حلّت عليهم الضلالة عقوبة لهم من الله تعالى، ولا شكّ في أنّ الطغاة يرفضون الإيمان بالله تعالى، ويعصون أمره، ويخالفون نهجه، ويعادون شرعه، لذلك فإنّ الضلال يكون أثراً بادياً عليهم، ومن ثمّ فإن المولى سبحانه وتعالى يذرهم في طغيانهم يتيهون ويتحسرون، قال تعالى:﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3].

وممّا لا ريب فيه أن الضلال ناشيء عن عدم الإيمان بالله تعالى، والتحاكم إلى الطاغوت وعدم التحاكم إلى شرع الله تعالى، تصديقاً لقوله جلّ في علاه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ

---

[1] النحل:36.

[2] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (76/3).

[3] الأعراف:186.

أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [1]، فإذا طغى الإنسان فإنه يكون من الضالين؛ نتيجة تنكبه عن الصراط المستقيم، واتباعه لسبل الشيطان التي أمرنا المولى سبحانه وتعالى اجتنابها، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[2].

فعندما يزيغ الإنسان عن دينه، ومنهج ربه، وسنة نبيه، فإنه سيكون عرضةً لأن يطغى ويتكبر، ومن ثمّ تكون عاقبة هذا العبد الطاغي الضلال والخسران، لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[3].

أي: "رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم "[4].

وهذا ما عليه حال الطغاة، من تركهم للهداية والإيمان والتصديق، وسعيهم للضلالة والكفر والتكذيب، فبئس ما هم عليه من الضلال، وبئس المثوى والمصير.

المطلب الثاني: ظلم النفس

عدّ الإسلام حفظ النفس من المهالك والمخاطر، وما يودي بها إلى الهلاك والخسران، من الواجبات التي ينبغي على المسلم القيام بها، والتوقف عندها والحرص على تحقيقها، لذلك جاء الخطاب من الله تعالى لعباده المؤمنين ، بضرورة وقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، حتى لا يكونوا ظالمين لأنفسهم، بطغيانهم وفسقهم وعلوهم وتجبرهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[5]. فواجب على المؤمن حفظ نفسه، وعدم ظلمها، وضرورة رعايتها،

---

[1] النساء:60.

[2] الأنعام:153.

[3] البقرة:16.

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (43/1).

[5] التحريم:6.

وذودها عن كل ما من شأنه أن يلحق بها الضرر، أو يؤذيها في الدنيا والآخرة ، وأن يبتعد عن كل مظاهر الطغيان والعصيان.

قد يظلم الإنسان نفسه، ويلحق بها العذاب يوم القيامة، إذا حاد عن طاعة ربه، وأعطى لنفسه العنان أن تسلك طريق الضلال والشقاء، وأن تلهث خلف كل سراب وغثاء، قال تعالى مبيناً أنّ الإنسان ظالم لنفسه، إذا أصابها الانحراف، وإذا لم تعد تبصر النعمة، ولا تنفعها العظة والعبرة، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1]، أي أنّ"النفس المنحرفة تبطرها القوة فلا تذكر، وتعميها النعمة فلا تنظر. وما تنفع عظات الماضي ولا عبره إلا من تتفتح بصائرهم لإدراك سنة الله التي لا تتخلف، ولا تتوقف، ولا تحابي أحداً من الناس. وإن كثيراً ممن يبتليهم الله بالقوة وبالنعمة لتغشى أبصارهم وبصائرهم غشاوة، فلا يبصرون مصارع الأقوياء قبلهم، ولا يستشعرون مصير البغاة الطغاة من الغابرين. عندئذ تحق عليهم كلمة الله، وعندئذ تجري فيهم سنة الله، وعندئذ يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. وهم في نعمائهم يتقلبون، وبقوتهم يتخايلون. والله من ورائهم محيط"[2].

وهذا ما قاله القرآن الكريم عن صاحب الجنتين الذي كان ظالماً لنفسه، نتيجة طغيانه بعد أن أغناه الله تعالى، ورزقه من الزروع والثمار والأموال والأولاد، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[3].

فالإنسان يعدّ ظالماً لنفسه، إذا لم يسمح لها أن تتعظ بمن سبقها، ولا أن تعتبر بمن حولها، ولا أن تتعظ بسنن الله تعالى في خلقه، بمن ضلّ وطغى وتجبر. ولا شكّ في أنّ الطغيان يعدّ معصية ومخالفةً وخروجاً عن شرع الله سبحانه وتعالى، ويلحق بالنفس البشرية الشّر والذلّ والهوان، ويصيبها على إثر ذلك الطغيان العذاب الأليم وخيبة المصير، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾[4]، فإذا كانت عاقبة الطغيان أن يخسر الإنسان نفسه، وأن يكون

---

[1] التوبة:70.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (1674/3).

[3] الكهف:35.

[4] ص:55.

مصيرها النار والعياذ بالله تعالى، فماذا بعد ذلك من ظلم وخسارة للنفس؟ فالطاغي ظالم لنفسه أيّما ظلم، لأنه تنحى بها بعيداً عن فطرتها التي فطرها الله عليها، وسلك بها طريق الكفر والشرك والعصيان، وليس بعد هذا من ذنب وظلم ؛ لأن أعظم يذنبه الإنسان هو ظلم النفس بالإشراك بالله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [1]. فالطاغية قد يكون كافراً أو مشركاً أو عاصياً لدرجة كبيرة، وذلك بحسب الحالة التي يبلغها من ظلم وبغي وعدوان. كما أن الطاغية أيضاً يعدّ من الظالمين لأنفسهم، لأنه تجاوز حدود الله تعالى، وخالف شرعه، ولم يأتمر بأمره، ولم يتوقف عند نهيه، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [2].فمجرد أن يتخطى المرء حدود الله تعالى فقد ظلم نفسه، واعتدى على حمى خالقه جلّ في علاه، بارتكاب محارمه واقتراف معاصيه، قال تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[3]، أي أن "من يتجاوز حدود الله التي حدها لعباده، بأن أخل بشيء منها، فقد حمل نفسه وزرا، وأكسبها إثما، وعرضها للعقوبة والعذاب"[4].

وما الطغيان إلا مجاوزة الحد، ومخالفة الشرع، وخروج عن أوامر المولى عزّ وجلّ، وتعدٍّ على حدود الله تعالى، وفي هذا كله ظلم كبير للنفس ليس بعده ظلم. فالطاغية المتكبر عندما يحلّ به عذاب الله تعالى ونقمته، وتمضي فيه سنة الله في الظالمين، لا تنفعه الأموال حينها وإن كثرت، ولا تحميه الجنود وإن عظمت، ولا يغنيه مكره وإن كان لتزول منه الجبال، قال تعالى:﴿ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]، وما كان الله ليظلمهم، ولكن كان هذا العذاب بسبب ظلمهم لأنفسهم، فجازاهم الحقّ سبحانه وتعالى

---

[1] لقمان:13.

[2] البقرة:229.

[3] الطلاق:1.

[4] الطبري، **جامع البيان**، (441/23). وانظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (137/28). طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (446/14).

[5] القصص:40.

على هذا الظلم، فأخذهم أخذاً أليماً شديداً، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

المطلب الثالث: الغضب واللعنة.

الغضب صفة ثابتة للمولى عز وجل في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]، وقوله عليه السلام: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي» [3]، فالله تعالى خلق الإنسان وكرمه، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، وأمره بعبادته وعدم الكفر به، وجعل الغاية من خلقه العبادة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4]، فإذا استجاب الإنسان لأمر ربه، وآمن به واستقام على دينه، وعمل صالحاً، فله من الله البشرى والفلاح: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[5]، وأما إن خالف وأعرض عن دين ربه، فقد خاب وخسر، وعاش حياةً ضنكا: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[6]، وبذلك الإعراض والجحود والنكران يستحق العبد من الله تعالى الغضب وال لعنة؛ لأن عذابه وغضبه تعالى يصيب الذين كفروا وأعرضوا وطغواْ وتجبروا، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[7]. فالطغاة ينالهم غضب الله تعالى ولعنته بما كفروا وأساؤوا واقترفوا من المعاصي والآثام، وبما أفسدوا في الأرض، وطغواْ في البلاد، وتكبروا على العباد. فالله تعالى خاطب

---

[1] هود:102.

[2] النور:9.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، حديث رقم:3194، (106/4).

[4] الذاريات:56.

[5] النحل:97.

[6] طه: 124.

[7] الفجر:6-13.

وحذّر الناجين من الغرق من بني إسرائيل، حتى لا ينسوا فضل الله عليهم، وحتى لا يبطروا ويطغوا من بعد أن أنجاهم الله تعالى، فيصيبهم الغضب والعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾[1]، فحذرهم الله من الطغيان، ومن إحلال غضبه عليهم، وذكرهم بفضله بعد أن "جازوا منطقة الخطر، وانطلقوا ناجين ناحية الطور. وتركوا وراءهم فرعون وجنده غرقى: وإنجاؤهم من عدوهم واقع قريب يذكرونه اللحظة فلم يمض عليه كثير. ولكنه إعلان التسجيل. والتذكير بالنعمة المشهودة ليعرفوها ويشكروها... وهو يذكرهم بهذه النعم ليأكلوا من الطيبات التي يسرها لهم ويحذرهم من الطغيان فيها. بالبطنة والانصراف إلى لذائذ البطون والغفلة عن الواجب الذي هم خارجون له، والتكليف الذي يعدهم ربهم لتلقيه. ويسميه طغيانا وهم قريبو العهد بالطغيان، ذاقوا منه ما ذاقوا، ورأوا من نهايته ما رأوا... ولقد هوى فرعون منذ قليل. هوى عن عرشه وهوى في الماء.. والهوى إلى أسفل يقابل الطغيان والتعالي"[2].

وقد غضب الله تعالى على اليهود الذين اتخذوا الطواغيت وعبدوها من دونه، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3]، أي "تطالعنا سحنة يهود، وتاريخ يهود! إنهم هم الذين لعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير. إنهم هم الذين عبدوا الطاغوت"[4]. فالطغاة قتلوا والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾[5].

فماذا بعد الطغيان وتجاوز أوامر الله وتعالى من مخالفة ومعصية، يستحق أهلها وأصحابها الغضب واللعنة من الله تعالى؟.

---

[1] طه:81.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2345/4-2346).

[3] المائدة:60.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (926/2-927).

[5] النساء:93.

المطلب الرابع: كره العباد للطغاة

عانت البشرية ومنذ القدم وما زالت تعاني إلى يومنا الحالي، من ظلم الظالمين، وبغي الطاغين، وعلو المتجبرين، ففسدت الأرض من إجرامهم، وعانت الإنسانية من ظلمهم وتسلطهم، فكان حقّاً على العباد أن يحملوا في أنفسهم على هؤلاء الطغاة الظالمين، وأن يدعوا عليهم بالهلاك والزوال، وأن لا تبكيهم السماء والأرض إذا مضت فيهم سنة الله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾[1]. فالبشرية كلها قد ذاقت من بطش وعدوان الطغاة والقتلة والظالمين، وتجرعت كأس المرارة وال حنظل من غيهم وفسادهم، وأصبحت غاية المظلومين والمستضعفين من الشعوب، أن ترى في هؤلاء يوماً عبوساً قمطريرا، لا رحمة ولا شفقة لهم في هذا اليوم. بل غدت تتمنى زوالهم، وطهارة الأرض من رجسهم ولوثتهم بأسرع ما يكون، حتى تحمد الشعوب رب العالمين أخذه لهؤلاء المجرمين، قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وهل يحمد الله تعالى على منّةٍ ونعمةٍ، أجلّ وأعظم من نعمة زوال الظالمين، وتطهير الأرض من خبثهم وبغيهم، أو على رحمة هي أسمى وأعلى من رحمة الله لعباده بهذا الزوال والتطهير للظالمين؟ [3]. وهكذا أمر الله تعالى نبيه نوح عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين بالحمد والثناء بعد أن نجاهم من القوم الظالمين ؛ لما في ذلك من رحمة بالمؤمنين، وكراهية للظلمة الطاغين، قال تعالى:﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]. ويوم القيامة ترى المؤمنين يجأرون بالدعاء إلى الله تعالى، يسألونه البعد عن القوم الظالمين، كراهية لهم وبغضا لما كانوا عليه في الدنيا من ظلم وطغيان، وللعذاب الأليم الذي ينتظرهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]، ففي مثل هذا المشهد العصيب ، فإن المؤمنين "عندما يرون النار متأججة في الأجسام البشرية يأخذهم الهول، فيتجهون إلى الله تعالى قائلين: ربنا الذي خلقتنا

---

[1] الدخان:29.

[2] الأنعام:45.

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1090/2).

[4] المؤمنون:28.

[5] الأعراف:47.

وكونتنا، وقمت في الوجود علينا وأنت الحي القيوم لَا تجعلنا مع القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم وظلموا الحق وكذبوا طاغين بالآيات، واستكبروا عن اتباع الأنبياء، وأنغضوا رءوسهم عن الحق إذ دعوا، لا تجعلنا مع هؤلاء، لَا تجعلنا في هذه النار مثلهم فقد عَتَوْا عُتُوًّا كبيرا، ودخلوا في عذاب أليم اللهم قنا غضبك"[1].

وكره العباد للطغاة المتكبرين، غير مقتصرة على عامة الناس أو الأبعدين منهم، بل إن أقرب الناس للطغاة، وألصقهم صلة بهم وأكثرهم قرابة لهم، تجدهم يتبرؤون منهم ومما يفعلون، ويكرهونهم كرها شديدا لما اكتسبوا من السيئات والآثام. وقد قصّ الله علينا في القرآن الكريم، نبأ امرأة فرعون التي تبرأت من فعل فرعون وبطشه وطغيانه، وسألت الله تعالى أن يبني لها عنده بيتا في الجنة، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، فليس غريبا على أهل الإيمان، وعلى كل من فيه ذرة كرامة وإباء، أن يتبرأ من الطغاة العصاة، ومما يفعلون من قتل وإجرام وسفك للدماء، "وها هي ذي امرأة فرعون، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه.. في قصر فرعون.. عن طلب النجاة وحدها.. وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتا في الجنة. وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه. وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به... وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم... ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره. فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ. في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي.. ولكنها استعلت على هذا بالإيمان. ولم تعرض عن هذا العرض فحسب، بل اعتبرته شرا ودنسا وبلاء تستعيذ بالله منه، وتتفلت من عقابيله، وتطلب النجاة منه! وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية.. وهذا فضل آخر عظيم. فالمرأة- كما أسلفنا- أشد شعورا وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته. ولكن هذه المرأة.. وحدها.. في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك، وضغط الحاشية، والمقام الملوكي. في وسط هذا كله رفعت

---

[1] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (2850/6).

[2] التحريم:11.

رأسها إلى السماء.. وحدها.. في خضم هذا الكفر الطاغي! وهي نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف. ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد. الذي تتردد كلماته في جنبات الكون وهي تتنزل من الملأ الأعلى"[1].

المطلب الخامس: حمل أوزار الأتباع يوم القيامة

أقر الإسلام تشريعاً ينص على أن الإنسان مسؤول عن نفسه وعن عمله، وغير مسؤول عن غيره من الناس، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2]، وأنه يحاسب على ما اقترفت يداه وجوارحه، قال تعالى:﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[3]، وهذا من العدل الإلهي والإنصاف الذي أكرم الله به الإنسان، فلم يكلفه حمل أوزار الآخرين. إلا أن بعض الناس من يحمل يوم القيامة وزر عمله وعمل غيره من الناس، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۚ ﴾[4]، ويزاد له في ثقله بحمل أثقال الآخرين، لقوله تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[5]، وهذا حال دعاة الكفر والضلال والعصيان يوم القيامة، الذين سيتكلفون حمل أوزارهم وسيئات أعمالهم، يضاف إليها أوزار وسيئات من أضلّوا من الناس وكانوا سبباً في غوايتهم، دون أن ينقص من أوزار وآثام من أُضِلّ شيئا [6]. فجميع الطغاة وقادة السوء والظلم من الحكام والزعماء والرؤساء والملوك، الذين ضلّوا الطريق وكانوا سبباً في ضلال غيرهم، سيتحملون تبعات وآثار أعمالهم وبلا شك، قال تعالى:﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾[7]، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان لا يحاسب على ما قدم فقط، بل إن الحساب يتعدى ذلك إلى مسافات بعيدة كان له أثر فيها. وحمل هؤلاء الطغاة الظالمين لأوزار وأثقال غيرهم من الناس؛ لأنهم كانوا السبب في ضلالتهم وغوايتهم، وأنهم

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3621/6-3622).

[2] الأنعام:164.

[3] طه:15.

[4] النحل:25.

[5] العنكبوت:13.

[6] انظر:المراغي، **تفسير المراغي**، (122/20).

[7] يس:12.

غرروا بهم وزينوا لهم طاعتهم في ارتكاب المعاصي والآثام، واتخذوهم أداةً يحققون من خلالها مكاسبهم وأطماعهم، ويمررون من خلالهم خططهم ومكرهم آناء الليل والنهار، كما وصف حالهم سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[1]، فكان من عدل الله تعالى أن يتحمل هؤلاء الطغاة المسؤولية يوم الحساب، عمّا كانوا سبباً في وقوعه في الدنيا. وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام أن المرء ينال أثر عمله، إما حسناً وأجرا، وإما سيئةً وإثما، قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» [2]، ولا شك في أن الطغاة يدعون إلى الضلالة وعدم الهدى، ويسعون في الأرض فساداً من خلال أقوالهم وأفعالهم وما يملكون، فليسوا مصدر هداية ونور ونعيم، بل مصدر ضلالة وظلم وجحيم.

ويوم القيامة يقوم الناس لرب العالمين، وتنصب الموازين لمعرفة أعمال العباد، وتحين لحظة الحساب، فيتبرأ الطغاة المستكبرون من الأتباع، حتى لا يحملوا من آثامهم شيئا، واصفين إياهم بالإجرام، ظناً منهم أن ذلك طريق الخلاص والنجاة من الحساب، فيرد عليهم الضعفاء من الأتباع مذكرين إياهم بمكر الليل والنهار، وأمرهم لهم بالكفر واتخاذ الأنداد، ونشر الرذيلة وسوء الأخلاق وعيث الفساد، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾[3]، فلا نجاة لهم من العذاب، ولا فرصة تعطى لهم للتبرؤ من الأتباع، بل تمضي فيهم سنة الله في الحساب، قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[4]، "انضموا إلى زملائكم وأوليائكم من الجن والإنس.. هنا في النار... فادخلوا إذن

---

[1] سبأ:33.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدي أو ضلالة، حديث رقم: 2674، (2060/4).

[3] سبأ:32-33.

[4] الأعراف:38.

جميعاً.. ادخلوا سابقين ولاحقين.. فكلكم أولياء.. وكلكم سواء! ولقد كانت هذه الأمم والجماعات والفرق في الدنيا من الولاء بحيث يتبع آخرها أولها ويملي متبوعها لتابعها"[1].

وبهذا ينال كل من الأتباع والمتبوعين نصيبه من النار، وهكذا يسدل الستار عليهم في العذاب الأليم.

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (1290/3).

المبحث الثاني

آثاره على المجتمع

لا تقتصر آثار الطغيان السيئة على الطغاة أنفسهم، بل تتخطاهم لتصيب المجتمع عموماً، وذلك لأنّ عاقبة الطغيان وخيمةً، وتبعاته موحشة في الدنيا والآخرة، ولا يستثنى منها أحد من أفراد المجتمع، ومن تلك الآثار:

المطلب الأول: وقوع الظلم على الناس

نهى الله سبحانه وتعالى عن الظلم عموماً، وكل فعل وقول يقود إلى الظلم، ويلحق الأذى والضرر بالناس؛ لما للظلم من آثار سيئة، ونتائج مهلكة ومفسدة. ويعدّ الطغيان من أعظم الأسباب التي توقع الظلم على الناس، وتلحق بهم العنت والمشاق؛ لذا جاءت الآيات صريحة وحاسمة في التحذير من الطغيان والنهي عنه، وضرورة اجتنابه والابتعاد عن جميع صوره وطرقه المؤدية إليه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، أي "أبعدوا عن أنفسكم الطاغوت، أي جانبوه، والطاغوت فعلوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويشمل مجاوزة الحد في العقول فيعبد ما لَا ينفع ولا يضر، ويشرك مع اللَّه غيره وتتحكم فيه الأوهام، فيرى الباطل حقا والحق باطلا، ويشمل ظلم العباد، والطغيان عليهم، ويشمل الطغيان في المعاملات والظلم، وغير ذلك"[2].

ولا شك أن الطغيان مصدرٌ أساس لانتشار الظلم في المجتمعات، ففيه مجاوزة للحد، وخروج عن الشرع، وبمجرد وقوع التجاوز والخروج عن المشروع، فإن الظلم سيقع لا محال، وسيصطلي الناس بناره الحارقة؛ لذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من الظلم، وحرم ظلم المسلم لأخيه المسلم، قال عليه الصلاة والسلام: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[3].

---

[1] النحل:36.

[2] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (4175/8).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم: 2442، (128/3).

ورغم تحريم الإسلام للظلم والتحذير من عواقبه، إلا أنه وللأسف الشديد، منتشر بين المسلمين اليوم كانتشار النار في الهشيم، يسلب المجتمع سكينته، ويفقده استقلاله، ويلحق بكثير من المسلمين المشاكل والأمراض والأزمات النفسية وغيرها، كنتيجة طبيعية لوجود الظلم وكثرة شيوعه.

والظلم الواقع على الناس يكون على ثلاثة أقسام: " أحدهما: أكل المال بالباطل، وثانيها: ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، وثالثها: ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف"[1]، والأقسام الثلاثة متحققة في حياة الطغاة وبدون أدنى شك، فأكلهم لأموال الناس والاعتداء عليها بالمصادرة والحرمان والابتزاز، سياسة ينتهجها الطغاة دوماً، لضمان بقاء عروشهم المصطنعة، وحفاظاً على ممالكهم المزيفة، كما أن ظلمهم للناس بالقتل والتعذيب والتشريد سمة بارزة لدى الطغاة على مر العصور، فقد حكى القرآن الكريم عن فرعون كيف كان القتل والتعذيب والاضطهاد معلماً بارزاً في نظام حكمه، قال تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾[3]، وهذا نهج الطغاة دون استثناء، فالمجازر التي ترتكب بحق الأبرياء والمستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها اليوم، والنفوس التي تزهق ظلماً وعدواناً، والدماء التي تنزف دون انقطاع، والملايين التي تهجر في فيافي الأرض ولا مأوى لها، كل هذا ناتج عن إجرام الطغاة وعلوهم، وإفسادهم وتجبرهم وبغيهم.

أما ظلم العباد بالشتائم والسباب والقذف، فحدث عنه ولا حرج في حياة الطغاة عبر التاريخ، فما من طاغية إلا ولجأ إلى اتهام مخالفيه ومعارضيه بأبشع الأوصاف وأذمّ الأخلاق، حتى إنّ النبي عليه الصلاة والسلام أتهم من قبل طغاة وعتاة قومه بالسحر والجنون والكهانة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[4]، وموسى عليه السلام اتهمه فرعون بالسحر

---

[1] الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، (ت : 748هـ)، **الكبائر**، دار الندوة الجديدة-بيروت، (94/1).

[2] طه:71.

[3] القصص:4.

[4] الدخان:14.

والجنون كذلك، قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[1]، وهذا ديدن طغاة هذا الزمان، فإنهم لا يتوانون لحظة في اتهام الدعاة والمخالفين لهم، الرافضين لحكمهم وطغيانهم، وظلمهم وفسادهم، بأنهم جماعة إرهابية خارجة عن القانون والنظام، لا بد من محاربتها ومحاسبتها وإنزال أشد العقوبات بها، واجتثاثها من الأرض، وتطهير المجتمع منها. لأجل ذلك كله، ولبشاعة الطغيان وعاقبته، فإن الله تعالى يصيب الظالمين بعذاب مهين، ويأخذهم أخذاً أليماً شديداً، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2]، وعقوبة الطغيان وما ينتج عنها من ظلم وقهر للعباد ليس بالأمر الهيّن، بل إن الله تعالى توعد الظالمين بعذاب أليم وعقاب شديد، يوم ينقلبون إلى مصيرهم المحتوم، قال تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[3]، و " السين هنا لتأكيد الفعل في المستقبل، والعلم الذي سيعلمونه هو علم المعاينة، إذ سيرون العذاب، وسيحسونه نازلا بهم، إذ يكونون في جهنم، وبئس المهاد، والتعبير بالموصول لبيان أن الصلة هي سبب ما ينزل بهم من عذاب شديد، لَا يعرفونه الآن، وسيعرفونه من بعد، وقد ظلموا أولا بالشرك، وثانيا بتكذيب الرسل، وثالثا بإنكارهم للقرآن، ورميهم له بأنه تنزل به الشياطين، وأنه كأقوال الكهان، وغير ذلك مما ظلمت به العقيدة، والحقائق، وقد أضافوا إلى ذلك ظلم العباد، والصد عن سبيل الله تعالى، والمنقلب هو انقلابهم من الطغيان إلى المهانة، ومن رغد العيش إلى شدته، وقد أبهم هذا المنقلب، تأكيدا للتهديد، والإنذار الشديد"[4]، حتى إنّ السماوات يتفطرن تأثراً من ظلم العباد وقهرهم، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾[5]، أي أن السماوات يتشققن من الظلم الذي يسببه العباد[6].

---

[1] الذاريات:39.

[2] هود:102.

[3] الشعراء:227.

[4] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (5421/10).

[5] الشورى:5.

[6] انظر: الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، (ت: 1402هـ)، **أوضح التفاسير**، المطبعة المصرية، (ط 6/ 1383ه)، (590/1).

وهل أفعال الطغاة وسياساتهم المتبعة إلا قائمة على الظلم وتجاوز الحدود، والبغي على الناس والاستعلاء عليهم بالحديد والنار؟ وهل عانت البشرية على مر العصور من ظلم تجاوز في بشاعته ظلم الطغاة؟! فكم من نفوس أزهقت، وكم من نساء رملت، وكم من أطفال يتمت، وكم من الأجساد حرقت ومزقت وشوهت، وعلى أعواد المشانق علقت، وفي غياهب السجون والمعتقلات لعشرات السنين غيبت، وكم من حرائر المسلمين اغتصبت، وكم من الأموال والأملاك صودرت ونهبت، وكم من الوعود أخلفت، وكم من المواثيق والعهود ضيعت، وكم من الآمال وبشائر الخير أحبطت، وكم من الأحرار عن ديارها هجرت وأبعدت، وكم من مؤسسات الخير ودعم الفقراء والمحتاجين أغلقت، وبالشمع الأحمر دمغت، وكم من الدعاة شوهت سيرتهم من خلال الكذب والافتراءات، وكم من مواطن الطهر والعفاف دنست، وكم وكم وكم ظلم الطغاة وتجبروا، وعبر الزمان أفسدوا.

المطلب الثاني: إفساد المجتمع وهلاك الأمم

يسود الفساد وينتشر في المجتمع بما كسبت أيدي الناس، وبما صنعته أنفسهم، وصاغته عقولهم، من مفاهيم وأفكار وأعمال تتنافى وتتعارض مع ما جاء به الإسلام، بل وتقف على النقيض منه، لذلك عمّ الفساد أرجاء المعمورة كلها، برها وبحرها وجوها، قال تعالى :﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾[1]، وهذا الفساد ولا شك في أنه ثمرة خبيثة من ثمار الطغيان القائم في المجتمعات، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾[2]. فكثرة انتشار الفواحش والفساد، وارتكاب المعاصي والآثام، وانتهاك محارم الله تعالى، يقف وراءها الطغاة والمستكبرون ؛ لأن"الطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء. كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة ، ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف، المعمر الباني، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال.. إنه يجعل الطاغية أسير هواه، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت، ولا يقف عند حد ظاهر، فيفسد هو أول من يفسد ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف وكذلك قال فرعون.. «أَنَا

---

[1] الروم:41.

[2] الفجر:11-12.

رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» عندما أفسده طغيانه، فتجاوز به مكان العبد المخلوق، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح، وهو فساد أي فساد. ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء، مع السخط الدفين والحقد الكظيم، فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية، وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية. والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن، وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة. وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك. وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد"[1].

وأعظم فساد ينتشر في الأرض ويصيب أهلها، فساد الجاهلية وطغيانها؛ لأن الفساد الواقع على الأرض ناجم عن طغيان واستكبار الجاهلية على الإسلام، وطغيان وعلو ألوهية الناس على ألوهيته سبحانه وتعالى، وعودة الناس عبيداً لأمثالهم من العباد مرة أخرى، وليس وراء ذلك من فساد[2].

ووقوف الطغاة وراء كل رذيلة وفساد، سببه أنهم "ينتفعون بالفساد والاستبداد، ويريدون أن تظلَّ لهم سيادتهم ومكانتهم، وأنْ يظل الناسُ عبيداً لهم، يأكلون خيراتهم ويستذلونهم. وهؤلاء الذين استعبدوا الناس، وجعلوا من أنفسهم سادةً بل آلهة، ويعلمون أن الرسول ما جاء إلا للقضاء على سيادتهم وألوهيتهم الكاذبة، هؤلاء لا بُدَّ أن يصادموا الدعوة، لا بُدَّ أنْ يكفروا بها، وأن يحاربوها، حِفَاظاً على سيادتهم وسلطتهم الزمنية"[3].

ولخطورة الآثار المترتبة على انتشار الفساد وشيوعه في المجتمعات، وجب على الدعاة من المصلحين أن يواجهوا هذا الفساد، ويطهروا المجتمعات منه ومن جميع آثاره السيئة، وذلك من خلال محاربتهم ومواجهتهم للطغاة وأصحاب الفتن والمنكرات، وحماية المجتمعات من شرهم وبغيهم وسوئهم ؛ لأن "طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفا مصطلحا عليه وأن يصبحا سهلا يجترئ عليه كل من يهم به.. وعندما يصبح فعل الشر أصعب من فعل الخير في مجتمع من المجتمعات ويصبح الجزاء على الشر رادعا وجماعيا تقف الجماعة كلها دونه وتوقع العقوبة الرادعة عليه.. عندئذ ينزوي الشر، وتنحسر دوافعه. وعندئذ

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3904/6).

[2] انظر: الشحود، علي بن نايف، **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**، (ط1433/1هـ)، (240/1).

[3] المرجع السابق، (12170/1-12171).

يتماسك المجتمع فلا تنحل عراه. وعندئذ ينحصر الفساد في أفراد أو مجموعات يطاردها المجتمع، ولا يسمح لها بالسيطرة وعندئذ لا تشيع الفاحشة"[1].

أما إذا قصّر الدعاة من القيام بواجبهم، ومنحوا الطغاة فرصة يتحركون من خلالها وفق أهوائهم ورغباتهم، فإنهم سيزرعون بذور الفساد في كل مكان، ويغرسون شجرة الرذيلة في كل أرض طاهرة دون حياء، وسيهدمون كل معالم ومعاني الخير والبناء في الأمة دون عناء، وسيقضون على كل منابت الخير ومعاني العزة والإباء، وهذا حال معظم قادة وزعماء ورؤساء الأمة ولا خفاء، فإنهم "نماذج للقيادات الظالمة الطاغية التي لم تترك وراءها أي معلم من معالم البناء الحقيقي للأمة سوى الهزائم المتكررة في مجال الحرب العسكرية والحرب الثقافية، والحرب الأخلاقية والتي جميعها أثقلت كاهل الأمة في حاضرها ومستقبلها، إن البناء في مفهوم تلك القيادة الضالعة في موالاة أعداء الإسلام وتبعيتهم هو نشر الفساد الأخلاقي والانهيار الاجتماعي، وقتل عشرات الآلاف من أبناء المسلمين في الحرب العشوائية، وداخل السجون والمعتقلات الرهيبة نماذج للقيادات الظالمة الطاغية التي لم تترك وراءها أي معلم من معالم البناء الحقيقي للأمة سوى الهزائم المتكررة في مجال الحرب العسكرية والحرب الثقافية، والحرب الأخلاقية والتي جميعها أثقلت كاهل الأمة في حاضرها ومستقبلها، إن البناء في مفهوم تلك القيادة الضالعة في موالاة أعداء الإسلام وتبعيتهم هو نشر الفساد الأخلاقي والانهيار الاجتماعي، وقتل عشرات الآلاف من أبناء المسلمين في الحرب العشوائية، وداخل السجون والمعتقلات الرهيبة"[2].

وفي مقابل ذلك يحرص الطغاة دوماً على الحفاظ على وجودهم وعروشهم، والاستمرار في بغيهم وعدوانهم، لأجل ذلك يسخرون كل الإمكانات والطاقات في سبيل تحقيق مسعاهم، ولا يتورعون عن أي فعل لنيل مبتغاهم، حتى وإن بلغ الأمر مبلغه من القتل والتشريد والتعذيب والتهجير، فإنهم لا يبالون في سفك الدماء، وهتك الأعراض، وسح ق الشيوخ والنساء والأطفال، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن

[1] انظر: الشحود، علي بن نايف، **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة** ، (230/1).

[2] الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، (356/1).

﴿ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[1]، فماذا بعد هذا الطغيان من فساد، وماذا بعد قتل الأنبياء والدعاة من أخلاق، وهل هناك مثل هذه الطرفة يمكن أن تقال بحق نبي مرسل من رب العالمين، ومن القائل؟ إنه فرعون. الطاغية المتكبر المفسد، وهي الكلمة نفسها التي يرددها كل طغاة الأرض بحق الدعاة المصلحين؛ لإثارة وتهييج خواطر وهواجس المستضعفين، والوقوف في وجه دعوة الحق المبين. إنه الأمر نفسه، يتكرر في كل جولة يلتقي فيها أهل الحق والصلاح، في مواجهة أهل الباطل والطغيان، على مدار التاريخ والزمان[2].

وما المآسي التي تعانيها الأمة، من دمار وخراب للبلاد، وقتل وإراقة دماء الأبرياء، وسجن واعتقال الدعاة، وإصدار أحكام المؤبد والإعدامات بحقهم، وتشريد الشيوخ والنساء والأطفال، في مشارق الأرض ومغاربها، إلا من أجل بقاء الطغاة في مواقعهم، وحرصاً منهم على إذلال الشعوب، وإبقائها تخدم مصالحهم، حتى يتسنى لهم نهب خيراتهم، والتحكم في مصائرهم. فليس غريباً ولا طارئاً إذن أن يصدر عن فرعون هذا الإدعاء، وأن يهمّ بقتل موسى عليه السلام، بحجة حماية الدين، ومحاربة الفساد، قال تعالى: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[3]، فالإفساد في نظر الطغاة، هو تبليغ رسالة الله تعالى للناس، ودعوتهم للإيمان والهداية ودرب الرشاد؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى، تحمل في ثناياها هدم كل معالم الطغيان في الأرض، ونشر عقيدة التوحيد، وتعني القضاء على كل أشكال عبودية البشر للبشر، وبالتالي زوال عروش الطغاة القائمة على تعبيد الناس للناس، وهذا في رأي الطغاة المستكبرين جوهر الفساد.

ليس من الغريب أن يوسم الدعاة إلى الله تعالى بالمفسدين في الأرض من قبل الطغاة. وليس بعيداً عن ادعاء فرعون، ما قيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام من قبل قومه، عندما أقدم على تحطيم أصنامهم، التي كانوا يعبدونها من دون خالقهم عزّ وجل، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]، فاتهموه عليه الصلاة والسلام بأنه من الظالمين؛ لأنه هدّم أصناماً لا تضر ولا تنفع، اتخذوها آلهةً من دون الله تعالى، فكان هذا الأمر برأيهم من قبيل عمل الظالمين، أما كفرهم بالله تعالى، وعبادتهم لتلك الأصنام فلا ظلم فيه!!!.

---

[1] غافر:26.

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (3078/5).

[3] غافر:26.

[4] الأنبياء:59.

الفصل الخامس

طرق الوقاية من الطغيان

المبحث الأول: حماية الفرد لنفسه من الطغيان

المبحث الثاني: حماية المجتمع لذاته من الطغيان

المبحث الأول

حماية الفرد لنفسه من الطغيان

يعدّ حفظ المسلم لنفسه من الطغيان ومن جميع مظاهر المخالفة والعصيان أمراً يجب على المسلم القيام به، وعدم التغافل عن ذلك أو التساهل فيه مهما بلغت الظروف. ومن ضمن الأمور التي يتوجب على المسلم القيام بها والحرص على تحقيقها في حياته، لضمان سلامته من الطغيان ونجاحه وفوزه في الدنيا والآخرة ما يلي:

المطلب الأول: توحيد الله عز وجل

يعتبر توحيد الله تعالى بإفراده بالعبادة هي غاية خلق الله للجن والإنس، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وهدف بعثة الرسل جميعاً، وأنهم ما أرسلوا إلى أقوامهم وأممهم إلا لتحقيق هذه الغاية، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[2]، "أي ليس لكم على الحقيقة إله غيره، إذ الإله الحق من يخلق ويرزق ويدبر ويحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويضر وينفع، ويسمع ويبصر فأين هذا من آلهة نحتموها بأيديكم، ووضعتموها في بيوتكم عمياء لا تبصر صماء لا تسمع بكماء لا تنطق فكيف يصح أن يطلق عليها اسم الإله وتعبد"[3]. فليس عجباً إذاً أن تكون جهود الأنبياء جميعا منصبة في الدرجة الأولى على غرس عقيدة التوحيد في النفوس، حتى تتجه إلى خالقها بالعبادة وحده، قال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[4].

وقد جاء الأمر بعبادة الله تعالى وتوحيده، واجتناب الطاغوت وعبادته واضحاً في جميع دعوات المرسلين. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[5]، أي اعبدوا الله تعالى وأفردوه بالوحدانية، وتخلوا عن جميع الأوثان والأصنام

---

[1] الذاريات:56.

[2] الأعراف:59.

[3] أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (ط5/1424هـ)، (188/2).

[4] الأعراف:59.

[5] النحل: 36.

التي تعبد من دونه، واجتنبوا كل الاجتناب عبادة الطواغيت، وما يصدر عنها مما يتنافى والشرع، مهما كانت طبيعة الطواغيت ومسمياتها، شياطين كانت أو كهنة أو أصنام حجرية أم بشرية[1]. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصاً محمد ﷺ، وهذا القرآن الكريم فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه، فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال"[2].

لذا فإن حقيقة التوحيد تتنافى بشكل كامل مع الطغيان، ولا لقاء بينهما أبداً، بل على العكس من ذلك تماماً، فإن الإيمان بالله تعالى والإستسلام المطلق لجلاله سبحانه وتعالى لا يكون ولا يتحقق في حياة المسلم إلا إذا أعلن كفره بالطاغوت، واعتقد ذلك جازماً في قلبه، واستقر في حياته قولاً وعملاً، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾[3]، أي أن"الكفر ينبغي أن يوجه إلى ما يستحق الكفر، وهو «الطاغوت». وإن الإيمان يجب أن يتجه إلى من يجدر الإيمان به وهو «اللَّهُ». والطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله. فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا.. وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها"[4].

---

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (128/14).

[2] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن ، **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة** ، مكتبة الرشد ـ الرياض، (ط1418/11هـ)، (151/1).

[3] البقرة:256.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (292/1).

ومن خلال هذا الاعتقاد الجازم وبهذا الإعلان الصريح، يخرج المسلم من ظلمات الحياة الدنيا وسائر مشاقها ومتاعبها التي يكابدها الطغاة وأولياؤهم، وينتقل إلى حياة ملؤها النور والسعادة والسكينة النابعة من إيمانه بالله تعالى، وتمسكه بدينه وشرعه ومنهاجه، ويضرب حول نفسه سياجاً منيعاً يدفع عنه كل مظاهر الشرك والطغيان والعصيان، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾[1]، أي:"يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر. وحاصل ذلك: أنه يخرجهم من ظلمات الشرور المتنوعة، إلى ما يرفعها من أنوار الخير العاجل والآجل"[2].

أما الذين كفروا بربهم ولم يؤمنوا به فأولياؤهم الطواغيت الذين هم عبارة عن "الأنداد، والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، وكلٌّ من عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، وهذه الطواغيت تُخرج من عَبَدَها من نور الإيمان إلى ظلمات الجهل، والكفر، والنفاق، والغفلة"[3].

فشتان شتان بين من قضى حياته في رحاب الإيمان، فاستنار بضيائه واهتدى بنوره، وبين من تقلب في ظلمات الكفر والطغيان، فاكتوى بنيرانه وتلظى بلهيبه، يقول سيد قطب رحمه الله: "إن الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينبثق في ضميره. تشرق به روحه فتشف وتصفو وتشع من حولها نوراً ووضاءة ووضوحاً.. نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش، بينة بغير لبس، مستقرة في مواضعها بغير أرجحة فيأخذ منها ما يأخذ ويدع منها ما يدع في هوادة وطمأنينة وثقة وقرار لا أرجحة فيه.. نور يكشف الطريق إلى الناموس الكوني فيطابق المؤمن بين حركته وحركة الناموس الكوني من حوله ومن خلاله ويمضي في طريقه إلى الله هيناً ليناً لا يعتسف ولا

---

[1] البقرة:257.

[2] آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، (ت: 1376هـ)، **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، دون معلومات نشر، (85/1).

[3] القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط)، (د.ن)، (640/2).

يصطدم بالنتوءات، ولا يخبط هنا وهناك. فالطريق في فطرته مكشوف معروف. وهو نور واحد يهدي إلى طريق واحد. فأما ضلال الكفر فظلمات شتى منوعة.. ظلمة الهوى والشهوة. وظلمة الشرود والتيه. وظلمة الكبر والطغيان. وظلمة الضعف والذلة. وظلمة الرياء والنفاق. وظلمة الطمع والسعر. وظلمة الشك والقلق... وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق الله، والتلقي من غير الله، والاحتكام لغير منهج الله.. وما يترك الإنسان نور الله الواحد الذي لا يتعدد. نور الحق الواحد الذي لا يتلبس. حتى يدخل في الظلمات من شتى الأنواع وشتى الأصناف.. وكلها ظلمات..!"[1].

وحسب المؤمن من خلال توحيده لله تعالى وإيمانه به، وكفره بالطاغوت وكل ما عبد من دونه سبحانه وتعالى حالة الأمن والاستقرار التي يجدها في حياته وآخرته، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[2].

المطلب الثاني: التمسك بالكتاب والسنة

لقد امتن الله تعالى على أمة الإسلام أن أنزل إليهم كتابه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى يكون لهم برهاناً هادياً ونوراً على الطريق مرشداً، وحافظاً لهم من الوقوع في الخطايا والمعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[3]، كما امتن عليهم أيضاً بأن بعث فيهم نبياً من أنفسهم يعلمهم ويرشدهم إلى كل ما فيه خيرهم وصلاحهم في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[4] فإذا تمسكت الأمة بهذين المصدرين، وعملت بما جاء فيهما من أحكام وأوامر وتوجيهات، فقد حافظت على وجودها أمةً قويةً عزيزةً بين الأمم، وأمنت الوقوع في الضلال والطغيان، قال عليه الصلاة والسلام: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب،

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (293/1).

[2] الأنعام:82.

[3] النساء: 174.

[4] آل عمران: 164.

وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به... وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

فعندما أحسن المسلمون التمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم خلال عصور مضت، كان للأمة مجدها وعزتها، وعندما كانت مقبلة بالكلية إلى خالقها وبارئها في جميع أمور حياتها؛ فعبدته حق العبادة، وأخلصت له في القول والعمل، ولم ينفذ الشرك أو الطغيان أو الضلال إلى جسد الأمة، وبقي جسدها طاهراً نقياً سليماً من كل ما يلوثه من أمراض داخلية وخارجية، ومن أعراض خطيرة وفتاكة، على خلاف غيرها من الأمم التي انحرفت وتاهت، وحادت عن المنهج وأضلت الطريق، فأصابها ما أصابها من المعاصي والآثام، وحلّ بها الطغيان، فعلَت في الأرض وتجبرت، حتى أهلكت الحرث والنسل، وعاثت الفساد في البر والبحر، فلوثت المعمورة بفجورها وبغيها، فحقّت عليها سنة الله تعالى، فتركهم في طغيانهم يعمهون، بعد أن أضلهم الله تعالى جزاء ضلالتهم ابتداءً، قال تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2].

ولقد خاطب الله تعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين الموحدين باجتناب الطغيان، وحذرهم أشد التحذير من الوقوع فيه، لأن وقوعهم في مثل هذا الطغيان يعد مخالفاً ومنافياً لما جاء به القرآن الكريم وحفلت به سنة النبي الكريم، فلا يستقيمان ولا يستويان ولا يلتقيان، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3]، أي أن "الله يأمر بالاستقامة التي هي الاعتدال، والمضي على النهج دون انحراف، ويعقب هذا بالنهي عن الطغيان، مما يفيد أن الله سبحانه يريد الاستقامة، كما أمر بدون غلوّ ولا مبالغة تحيل هذا الدين من يسر إلى عسر"[4].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه..حديث رقم: 2408، (4/ 1873).

[2] الأعراف:186.

[3] هود:112.

[4] اللهيميد، سليمان بن محمد، **شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب**، رابط الكتاب على الانترنت: www.almotaqeen.net، (150/1).

فالاستقامة هنا لا تكون إلا من خلال التمسك بالكتاب والسنة، لأنهما هدي الله تعالى ووحيه المنزّل، والعمل بهما والامتثال لما ورد فيهما دون زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [1]. وما حالة الطغيان التي نشهدها اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، في بلاد المسلمين وغيرهم من الأمم، إلا بسبب البعد عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [2]، فنتيجة إعراض الأمة إلا من رحم ربي عن دين الله تعالى وهجرها لسنة نبيها، أصابتها حالة الضنك والعيش الوخيم، فانطفأ نور الأمة، وخيم عليها الظلام، ودهمتها المصائب والنوازل العظام، فاندلعت بينها الحروب، وأزهقت الأرواح والنفوس، وقطعت الأجساد وشوهت الوجوه، وقصفت المدن ودمرت البيوت، وشرد الشيوخ والنساء والأطفال وتجاوزت أعدادهم الملايين، يبحثون عن مأكل ومشرب ومسكن فلا يجدون!!!.

من هنا وجب على الأمة أن تتمسك بما يحفظ أمنها وسلامتها واستقامتها، حتى لا تقع في الطغيان، وحتى لا تعلو في الأرض وتفسد فيها وتنشر الدمار الخراب، وحتى ترزق من ربها الحياة الطيبة الكريمة، التي لا تقدر ولا تشترى بأي ثمن كان، بل هي منحة ربانية يجزلها المولى لعباده الصالحين المصلحين من أمة المسلمين، المستقيمين على أمر الله تعالى غير طاغين ولا مفسدين، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [3].

---

[1] النساء:65.

[2] طه:124.

[3] النحل:97.

المبحث الثاني

حماية المجتمع لذاته من الطغيان

يتوجب على المجتمع المسلم القيام بما يحفظ وجوده وقوته، ويضمن سلامة أفراده وقوة العلاقة فيما بينهم، بحيث لا يطغى ولا يتكبر أحدهم على الآخر، ويجعله شامة بين غيره من المجتمعات، متميزاً ومتقدماً في شتى المجالات، ولا يقوى على مواجهة مظاهر الطغيان والعصيان التي قد تنشأ فيه إلا من خلال الآتي:

المطلب الأول: التربية الصحيحة لأفراد للمجتمع

تشكل التربية الصحيحة لأفراد المجتمع الضمان الأساس لمنع نشوء وظهور الطغيان في المجتمع، لأن هذه التربية تعد أهم وسيلة يمتلكها المصلحون في مواجهة الطغيان وكل ما يؤدي إليه، مهما كانت طبيعة الطغيان، ومهما بلغ مداه، ومهما كان مصدره، سواء أكان مصدره الحاكم أم الملأ أم الرعية، قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[1] فالخطاب هنا موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين، ليشمل بعد ذلك كل من جاء بعده عليه الصلاة والسلام من الحكام والمحكومين، ولا شك في أنّ الاستقامة تعدّ ثمرة طيبة من ثمار التربية الصالحة، التي يمكن من خلالها مواجهة الطغيان ومنع ظهوره بين أبناء المجتمع المسلم، لذا ليس من الغريب أن ينصبّ جهد النبي عليه الصلاة والسلام لسنوات طويلة على تربية الصحابة التربية الصحيحة، بدءاً بتوحيد الله تعالى ومن ثم تعليمهم الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة، حتى يكون مجتمع المسلمين صاحب رسالة خالدة، يستطيع تبليغها ونشرها في ربوع العالمين، وقادراً على مواجهة كل المخاطر الداخلية والخارجية التي قد تعترضه.

فمن خلال التربية الصالحة نضمن سلامة المجتمع وأمنه من الطغيان وكل مظاهر الفساد، لما للتربية الصالحة من أثر كبير في تحقيق ذلك، وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية بالعديد من الأحكام والتوجيهات التي تخاطب كل من الحاكم والملأ والرعية بما يحقق للمجتمع

[1] هود:112.

سلامته، ويحفظ وجوده، ومن ضمن تلك التوجيهات التي تمنع من الطغيان وتحد من انتشاره في المجتمع ما يلي:

أولاً: التوجيهات المتعلقة بالحاكم

1 – تحريم الفساد وتجفيف منابعه، لأن من طبيعة الطغاة الإفساد في الأرض، ونشر الجريمة بين الناس، قال تعالى :﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾[1].

2 – تحريم العلو في الأرض الذي هو من شأن الطغاة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّۢا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2].

3 – تحريم مصادرة حريات الناس، ومنعهم من إبداء الرأي، قال تعالى مستنكراً قول فرعون لقومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[3].

4 – تحريم قتل الناس بغير حق الذي أصبح سمة بارزة على مدار التاريخ لدى أنظمة الطغاة، قال تعالى:﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[4].

5 – تحريم نشر الفرقة بين أبناء المجتمع وجعلهم شيعا، قال تعالى ذاماً ما كان يقوم به فرعون بهذا الخصوص: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[5].

ثانياً: التوجيهات المتعلقة بالملأ

1 –تحريم مساندة الطغاة والظالمين والركون إليهم، قال تعالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾[6].

2 –تحريم الاستجابة لأوامر الطغاة المشتملة على المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾[7].

---

[1] الفجر:10–12.

[2] القصص:83.

[3] غافر:29.

[4] القصص:4.

[5] القصص:4.

[6] هود:113.

[7] الكهف:28.

3 -مواجهة الطغاة وبيان عاقبة طغيانهم، وعدم مجاراتهم في الإفساد، أو السكوت عن جرائمهم وعدوانهم، بل لا بد من إظهار باطلهم ولو أدى ذلك إلى القتل أو السجن أو التعذيب، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[1].

ثالثاً: التوجيهات المتعلقة بالرعية

1 - تربيتهم على الإيمان الصادق الذي يمنعهم من المخالفة وتجاوز الحدود، ويشكل لهم حصناً منيعاً يعينهم على رفض الطغيان ومواجهة الطغاة دون خوف ولا وجل، ويقبلون على مواجهته لا يخشون في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2].

2 -تربية أبناء المجتمع على المحبة والتآلف والتآخي، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3]، وتحذيرهم من الفرقة والتنازع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4]، لأن وحدتهم وعدم تنازعهم يشكلان عاملاً أساسياً في مواجهة كل الأخطار التي قد تحدق بالمجتمع، من طغيان واستكبار وعدوان وغيرها.

3 -تربيتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك من واجبات الأمة المسلمة، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[5]، فمواجهة الطغاة ومنع الطغيان من الظهور والشيوع، يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان مخاطر ذلك على المجتمع وعلى قوته واستمرار وجوده، لأجل ذلك أرسل الله تعالى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وأخيه هارون إلى فرعون، ليأمرانه بعبادة الله تعالى، ونهيه عن طغيانه وعصيانه، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[6].

---

[1] طه:72.

[2] آل عمران:173.

[3] الحجرات:10.

[4] الأنفال:46.

[5] آل عمران:110.

[6] طه:43.

فمن خلال التربية السليمة لأركان المجتمع الثلاثة(الحاكم، الملأ، الرعية) يضمن المجتمع سلامته وأمنه واستقراره، فلا يَظلم ولا يَطغى فيه أحد، ولا يَبغي بعضهم على بعض، ولا يَظهر فيه الطغاة، ولا يسمح لهم بذلك.

المطلب الثاني: الحوار والجدال مع الطغاة

شرع الله لعباده من الأنبياء والمرسلين والدعاة محاورة الطغاة ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وذلك من أجل دعوتهم إلى عبادة الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم على الرغم مما هم هليه من الكفر والبغي والطغيان، ولا أدلّ على ذلك من أمر الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون رغم حالة الطغيان التي بلغها، ودعوته إلى العبادة والهداية وتزكية النفس، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[1]، أي "اذهب له وعظه، فإنه تجاوز الحد وتكبر على الله وكفر به، وتجبّر على بنى إسرائيل، واستعبدهم حتى بلغ من أمره أن ذبح أبناءهم واستحيا نساءهم. ثم طلب إلى موسى أن يلين له القول ليكون ذلك أنجع فى الدعوة 000 فقل له: هل ترغب أن تطهّر نفسك من الآثام التي انغمست فيها، وتعمل بما أدلك عليه من طرق الخير، وتبعد عما أنت فيه من اجتراح السيئات، وتخشى عاقبة مخالفة أمر ربك، حتى تأمن من عقابه، إذا أديت ما ألزمك به من فرائضه، واجتنبت ما نهاك عنه من معاصيه"[2].

وهذا الأمر من الله تعالى لنبيه الكريم موسى عليه السلام يدلل على أهمية الموعظة الحسنة ليس مع المسلمين فحسب، بل حتى مع غيرهم من الكفار الطاغين، لما لهذه النصيحة والمحاورة بالتي هي أحسن من أثر كبير في تهيئة الجو بين الداعية والمدعو من جهة، وفي بيان قيمة اللين والتلطف وأثرهما على المدعو من جهة أخرى، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في بيان طلب الله تعالى من موسى وأخيه هارون عليهما الصلاة والسلام بضرورة التلطف واللين في مخاطبة فرعون، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3]، وذلك "حين ناداه ربه

---

[1] النازعات: 17-19.

[2] المراغي، **تفسير المراغي**، (28/30).

[3] طه:44.

بالوادي المطهر المبارك من طور سيناء من برية الشام بعد مضي وقت من الليل، فقال له: اذهب إلى فرعون وعظه، فإنه تجاوز الحد، وتكبر على الله، وكفر به، وتجبر على بني إسرائيل، واستعبدهم حتى بلغ من أمره أن ذبح أبناءهم، واستحيى نساءهم، ثم طلب إلى موسى أن يلين له القول؛ ليكون ذلك أنجع في الدعوى، فقال: فقل له هل ترغب أن تطهر نفسك من الآثام التي انغمست فيها، وتعمل بما أدلك عليه من طرق الخير، وتبعد عما أنت فيه من اجتراح السيئات، وتخشى عاقبة مخالفة أمر ربك، حتى تأمن من عقابه إذا أديت ما ألزمك به من فرائضه، واجتنبت مما نهاك عنه من معاصيه"[1].

وفي هذا يقول الإمام الرازي: "فكأنه تعالى رتب لهما ذلك الكلام اللين الرقيق وهذا يدل على أنه لا بد في الدعوة إلى الله من اللين والرفق وترك الغلظة...ويدل على أن الذين يخاشنون الناس ويبالغون في التعصب كأنهم على ضد ما أمر الله به أنبياءه ورسله"[2].

ولم يكن هذا الأسلوب من الرفق واللين مقتصرٌ على دعوة موسى عليه السلام لفرعون فقط، بل هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً في مخاطبة أقوامهم المكذبين الطاغين، فها هو شعيب عليه الصلاة والسلام يخاطب قومه قائلاً: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾[3]، وكذلك الحال في مخاطبة نوح عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[4]، والأمر نفسه يتكرر مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مخاطبته ومحاورته لأبيه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[5].

فلنا في سيرة هؤلاء الأنبياء الكرام وفي هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة والطريقة المثلى في محاورة ومجادلة الطغاة، فقد أمر الله تعالى نبيه محمد عليه الصلاة

---

[1] الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن** ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، (ط1/1421هـ)، (81/31).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (37/31).

[3] الأعراف:93.

[4] الأعراف:59.

[5] مريم:42.

والسلام أن يتلطف في مخاطبة عتاة قومه الكافرين، وأن يجادلهم بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، كما أمر عباده المؤمنين مخاطبة الكافرين من أهل الكتاب بالتي هي أحسن أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[2]، وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى تطلب الوعي والمعرفة والحكمة في تبليغها للآخرين، لأنها تهدف إلى امتلاك القلوب وهدايتها وعمارتها بالإيمان، لا إلى امتلاك الرقاب وجزها، وتقطيع الأوصال والأبدان، كما هو حال بعض الجهلة من الدعاة في هذا الزمان، الذين لا يخدمون بأفعالهم وممارساتهم سوى أعداء الأمة، من خلال تشويههم حقيقة الدين ودعوة الإسلام 0 ففي تودد الأنبياء لأقوامهم في الدعوة إلى الله تعالى، ومخاطبتهم لهم بقولهم:(يا قوم)، ورفق المؤمنين بغيرهم من المدعوين والإحسان إليهم في الدعوة، مدعاة لاستجابة المدعوين، وإبراز الإهتمام بهم والحرص على هدايتهم، قال ابن عاشور:"وافتتاح دعوته قومَه بالنداء لطلب إقبال أذهانهم ونداؤهم بعنوان: أنهم قومه، تمهيد لقبول نصحه إذ لا يريد الرجل لقومه إلاّ ما يريد لنفسه"[3].

أما الغلظة والخشونة في دعوة الآخرين ومعاملتهم، فإنها لا تجدي نفعاً، ولا تؤتي ثماراً، ولا تحقق غايةً، لأنه لا مكان للخشونة والعنف في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ولم تذكر الغلظة والشدة إلا في موضعين في كتاب الله تعالى:

"1- في قلب المعركة ومواجهة الأعداء، حيث توجب العسكرية الناجحة، الصلابة عند اللقاء، وعزل مشاعر اللين حتى تضع الحرب أوزارها، وفي هذا يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾[4].

2- في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها، حيث لا مجال لعواطف الرحمة في إقامة حدود الله في أرضه:﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[5] "[6].

---

1 النحل:125.

2 العنكبوت:46.

3 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (188/29).

4 التوبة:123.

5 النور:2.

6 القرضاوي، مقال بعنوان "**الخشونة والغلظة**"، الموقع الرسمي للدكتور يوسف القرضاوي، http://qaradawi.net/new/library2/291-2014-01-26-18-54-35/3924

وبالتالي فإن محاورة ومجادلة الطغاة والمعاندين بالتي هي أحسن، والرفق في مخاطبتهم، واللين في معاملتهم، والحرص على هدايتهم و إرشادهم للخير والفلاح، تعدّ وسيلة مهمة لتجفيف منابع الطغيان، ومنع ظهوره في المجتمع، كما أنها طريقة مثلى لثني الطغاة عن طغيانهم، وإنقاذهم مما هم فيه من الزيغ والضلال.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة المسلمين من علامات الإيمان، التي تمتاز بها أمة الإسلام عن غيرها من الأمم، وتمنحها مهمة فريدة لا تستطيع الأمم الأخرى القيام بها، نظراً لثقل وتبعات هذه المهمة العظيمة التي قام بها وضحى في سبيلها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن سار على دربهم من الدعاة والمصلحين والمجاهدين على مدار التاريخ، قال تعالى مبيناً وصية لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[1]، فلم تكن هذه الوصية من هذا النبي عليه السلام لابنه عبثاً، بل جاءت جامعة مانعة لما اشتملت عليه من إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على تبعات ذلك مهما بلغت ومهما عظمت، وقد وصف الله تعالى مهمة نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام لأمته بأنه: ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[2].

ويعلق ابن تيمية رحمه الله على هذه المهمة بأنها: كشف صفة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من قبل ربه عز وجل، فيه بيان لكمال رسالته عليه السلام وعظم شأنها، وأنه عليه السلام دعا لكل معروف وفضيلة، ونهى عن كل منكر ورذيلة، وأحل كل طيب وحث عليه، وحرم كل خبيث وحذر منه[3].

---

[1] لقمان:17.

[2] الأعراف:157.

[3] انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: 661ه)، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: د.صالح المنجد، دار الكتاب الجديد-بيروت، (ط1، 1936ه-)، (10/1).

فمن خلال هذه المهمة النبيلة نالت أمة الإسلام الأفضلية، واستحقت دون سواها من الأمم لقب الخيرية، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]، وهي الصفة التي تميز المسلم عن المنافق، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾[3]، ويعتبر القيام بهذا الواجب وظيفة المؤمنين رجالاً ونساءً على حد سواء، ولا يجوز لهم التقصير في هذا الواجب، بل هو أمانة في أعناق أفراد المجتمع جميعاً، ليتحقق لهم التمكين في الأرض، واستمرار هذا التمكين والاستقرار لمجتمعهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[4]، لأجل ذلك كله دعاهم نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام إلى تحمل هذه المسؤولية قائلاً: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[5]. فواجب المسلم أن يمتثل لهذا الحديث، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن لا يكون إنساناً سلبياً تجاه ما يقع وينتشر في مجتمعه من الجرائم والمنكرات، بل عليه أن يقاوم كل أشكال الفساد والمنكر والجريمة، ويسعى لتغييرها بيده إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وإلا فبلسانه وإنكار ذلك وبيان عواقبه، والتحذير من وجوده وشيوعه بين أفراد المجتمع، فإن عجز عن الإنكار بلسانه فلا أقل من إنكار المنكر والعمل على تغييره من خلال قلبه وذلك أضعف الإيمان. وهنا لا بد من الإشارة إلى فهم خاطئ قد يقع فيه بعض الناس، فيظن أن إنكار المنكر بالقلب يعد أمراً سلبياً وهذا غير صحيح، وقد نبه الدكتور القرضاوي حفظه الله إلى ذلك عندما اعتبر أن انكار المنكر بالقلب ليس أمراً سلبياً محضاً، بدليل أن الرسول عليه الصلاة والسلام سماه تغييراً بالقلب "لأنه تعبئة نفسية وشعورية ضد المنكر

---

[1] آل عمران:110.

[2] التوبة:71.

[3] التوبة:67.

[4] الحج:41.

[5] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم:49، (69/1).

وأهله وحُماته، وهذه التعبئة ليست أمراً سلبياً محضاً كما يتوهم، ولو كانت كذلك ما سماه الحديث "تغييراً"لها، وهذه التعبئة المستمرة للأنفس والمشاعر والضمائر لا بد أن تتنفس يوماً ما في عمل إيجابي قد يكون ثورة عامة أو انفجاراً لا يبقي ولا يذر، فإن توالي الضغط لا بد أن يولد الانفجار... وإذا كان هذا الحديث سمى هذا الموقف تغييراً بالقلب فإن حديثاً نبوياً آخر سماه جهاد الطلب، وهي آخر درجات الجهاد كما أنها آخر درجات الإيمان وأضعفها"[1].

مما تقدم يتضح أهمية قيام المسلمين بهذا الواجب العظيم، وضرورة إحيائه والوقوف عنده لمواجهة كل المنكرات والمخالفات التي قد تنشأ وتنتشر في المجتمع، سواء أكانت هذه المنكرات منكرات شرعية كانتشار الزنى أو الربا، أم كانت منكرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك مما يصدر عن الطغاة وأعوانهم، لأن من الخطأ الجسيم أن نحصر المنكر في الأمور الشرعية فقط وما في معناها، ونغمض العين عن سائر المنكرات التي تجتاح أمتنا اليوم، بسبب وجود الطغاة من الحكام والمسؤولين وغيرهم الذين يمسكون بزمام مقاليد الأمة كلها، وفي هذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله:"إن الاستهانة بكرامة الشعب منكر أي منكر وتزوير الانتخابات منكر أي منكر، والقعود عن الإدلاء بالشهادة في الانتخابات منكر أي منكر لأنه كتمان للشهادة. وتوسيد الأمر إلى غير أهله منكر أي منكر، وسرقة المال العام منكر أي منكر، واحتكار السلع التي يحتاج إليها الناس لصالح فرد أو فئة منكر أي منكر، واعتقال الناس بغير جريمة حكم بها القضاء العادل منكر أي منكر، وتعذيب الناس داخل السجون والمعتقلات منكر أي منكر، ودفع الرشوة وقبولها والتوسط فيها منكر أي منكر، وتملق الحكام بالباطل وإحراق البخور بين أيديهم وموالاة أعداء الله وأعداء الأمة من دون المؤمنين منكر أي منكر. وهكذا نجد دائرة المنكرات تتسع وتتسع لتشمل كثيراً مما يعد الناس في صلب السياسة، فهل يسع المسلم الشحيح بدينه الحريص على مرضاة ربه أن يقف صامتاً؟ أو ينسحب من الميدان هارباً أمام هذه المنكرات وغيرها خوفاً أو طمعاً أو ايثاراً للسلامة؟ إن مثل هذه الروح إن شاعت في الأمة فقد انتهت رسالتها، وحكم عليها بالفناء لأنها غدت أمة أخرى غير الأمة

---

[1] القرضاوي، **إصلاح الفساد السياسي واجب شرعاً** ، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، http://qaradawi.net/new/all-fatawa/5476-2011-11-20-01-41-26.

التي وصفها الله بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1][2].

أما إذا فقدت الأمة دورها وقصرت في أداء هذا الواجب، فإنها تستحق من الله تعالى اللعنة والعذاب الشديد، كما استحق بنو اسرائيل هذه اللعنة من قبل نتيجة تركهم القيام بهذا الواجب، ويسلط عليها من الطغاة من لا يرقب فيها إلّاً ولا ذمّة، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3].

وهذا حال أمتنا اليوم وللأسف الشديد، فبعد أن تخلت عن وظيفتها، وقصرت في القيام بواجبها، سلّط الله تعالى عليها من الطغاة والجبابرة العتاة، الذين ولغوا في دماء العباد، ولم يراعوا حرمة الشيوخ والنساء والأطفال، وعاثوا في الأرض الفساد، فنشروا الموبقات وشجعوا على المنكرات، فغدت أمة لا يحسب لها حساب، ولا يشار إليها ببنان !!!

المطلب الرابع: الشجاعة والمبادرة في مواجهة الطغاة

بهدف الوصول إلى مجتمع آمن ومستقر، وخال من كل مظاهر الطغيان والفساد، ذكر الباحث أنه لا بدّ من التربية الصالحة للمجتمع، ومن ثم مجادلة ومحاورة الطغاة إن وجدوا في المجتمع بالتي هي أحسن، إضافة إلى ضرورة القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما لها من أثر كبير في تبصرة الناس بحقيقة الطغيان والتحذير منه، وبيان عاقبة الطغاة ومصيرهم المشؤوم. وفي حالة عدم استجابة الطغاة لنداء الحق، واستمرارهم في طغيانهم وعدوانهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى، فلا بدّ حينئذ من مواجهتهم بكل شجاعة وإصرار، والتصدي لهم وزجرهم وردعهم عما هم فيه، وعدم ترك المجال متاحاً لهم والباب مفتوحاً

---

[1] آل عمران:110.

[2] القرضاوي، **إصلاح الفساد السياسي واجب شرعاً** ، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، http://qaradawi.net/new/all-fatawa/5476-2011-11-20-01-41-26

[3] المائدة:78-79.

أمامهم، يعيثون من خلاله الفساد في الأرض، وينشرون سوء الأخلاق بين الناس، ويسفكون دماء الأبرياء بدون وجه حق.

من هنا وجب على الدعاة والمصلحين ضرورة الوقوف في وجه الطغاة، وأخذ زمام المبادرة لثنيهم عن طغيانهم بكل حكمة واقتدار، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم من خلال قصة مؤمن آل فرعون، الذي امتلك الشجاعة والجرأة الواعية في مخاطبة ومواجهة طغاة قومه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1]، أي:"وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه منهم خوفا على نفسه: أينبغي لكم أن تقتلوا رجلا ما زاد على أن قال: ربي الله وقد جاءكم بشواهد دالة على صدقه؟ ومثل هذه المقالة لا تستدعي قتلا ولا تستحق عقوبة فاستمع فرعون لكلامه، وأصغى لمقاله وتوقف عن قتله"[2].

فمن خلال ما تقدم من الآيات برزت شجاعة هذا المؤمن الذي لم يخش في الله لومة لائم، فصدع بكلمة الحق بكل جرأة وثبات، فلم يرهبه بطش فرعون وسطوته، ولم تثنه عداوة قومه وبغيهم، بل تحداهم وواجههم بكل قوة وصلابة واصرار، غير آبهٍ لطغيان كافر، أو تهديد باغ، أو عدوان ظالم. فمن خلال هذه الشجاعة والجرأة والإقدام، أرسى مؤمن آل فرعون طريقاً واضح المعالم في مواجهة الطغاة، والتصدي لجرائمهم وعدوانهم وعلوهم، على الدعاة أن يتمسكوا بهذا الطريق البين المضيء، وأن يستفيدوا منه في مواجهة الطغاة والبغاة من أقوامهم.

ولم تكن قصة مؤمن آل فرعون القصة الوحيدة التي ذكرها القرآن الكريم، بل هناك غيرها من القصص كما هو الحال مع قصة مؤمن آل ياسين، والتي يظهر من خلالها الإرادة القوية والبسالة الحكيمة في مواجهة الطغاة، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3]، فلما علم هذا

---

[1] غافر:28.

[2] المراغي، **تفسير المراغي**، (63/24).

[3] يس:20-21.

الرجل المؤمن إعراض قومه عن الإيمان بالله تعالى، وتكذيبهم لأنبيائهم الثلاثة الذين أرسلوا فيهم، وتطيرهم بهم وعدم تصديقهم، وتماديهم في الطغيان والضلال، جاء من أقصى المدينة مسرعاً، دفاعاً عن دينه، وتمسكاً بعقيدته، ونصرة لرسل ربه، وشجاعة وجرأة في مواجهة الطاغين المكذبين من قومه، غير مكترث بما يلاقي من عقوبة، أو ينال من مصير، ولو كان القتل أو التعذيب أو التشريد أو التهديد . وفعلاً كان مصيره القتل كما ألمحت إلى ذلك الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، وهنا يصور سيد قطب المشهد والموقف الجريء قائلاً: "وهكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة. وأشهدهم عليها. وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها. أو أنه لا يبالي بهم ماذا يقولون! ويوحي سياق القصة بعد ذلك أنهم لم يمهلوه أن قتلوه. وإن كان لا يذكر شيئا من هذا صراحة. إنما يسدل الستار على الدنيا وما فيها، وعلى القوم وما هم فيه ويرفعه لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق، متبعا صوت الفطرة، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل. نراه في العالم الآخر. ونطلع على ما ادخر الله له من كرامة. تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد... وتتصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة. ونرى الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء. وخطوة يخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة. ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق. ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم. ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين. ونرى الرجل المؤمن. وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة، يذكر قومه طيب القلب رضي النفس، يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة، ليعرفوا الحق، معرفة اليقين. هذا كان جزاء الإيمان. فأما الطغيان فكان أهون على الله من أن يرسل عليه الملائكة لتدمره. فهو ضعيف ضعيف"[2].

ومصير هؤلاء الطغاة ولا شك إلى زوال واندثار، مهما طغوا وتجبروا وعاثوا في الأرض الفساد، وقد نظم الدكتور يوسف القرضاوي أبياتاً من الشعر يبين من خلالها مصير الطغاة، فقال:

---

[1] يس: 26.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2964/5).

قل للطغاة الحاكمين بأمرهم إمهال ربي ليس بالإهمال

إن كان يومكمو صحت أجواؤه فمآلكم والله شر مآل

سترون من غضب السموات العلا حتماً، ويؤذن ظلمكم بزوال

وتزلزل الأرض التي دانت لكم يوماً، وما أعتاه من زلزال!

البغي في الدنيا قصير عمره وإن احتمى بالجند والأموال

يا جند فرعون الذين تميزوا ببذيء أقوال، وسوء فعال

لا تحسبوا التعذيب يخمد جذوتي ما ازددت غير تمسك بحبالي[1]

من هنا وضح السبيل أمام الدعاة الموحدين، في كيفية مواجهة الطغاة المكذبين، من أجل دعوة الناس إلى الخير والنور المبين، وفي سبيل إصلاحهم وهدايتهم وإنقاذهم من كل متكبر ومتعال مهين، لأن الطغاة لا ينتهون عن غيهم ولا يتراجعون، إلا إذا وجدوا من الدعاة من ينهاهم ويصدهم عن بغيهم وغيهم، ويفضح حقيقة أمرهم أمام الجماهير المخدوعة عادةً بزيف وأوهام وسراب الطغاة، والتحذير منهم وعدم الركون إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[2]، ودعوة الناس لمقاومتهم، لما لهذه المقاومة والمنازلة من منزلة عظيمة عند الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: "..سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله "[3].

فما أحوج أمتنا اليوم وقد ظهر فيها الطغيان، وعلا وتكبر فيها الطغاة، إلى دعاة صادقين مخلصين، لديهم من الشجاعة والحكمة والقدرة على أخذ زمام المبادرة، للتصدي للطغاة والوقوف في وجوههم، بعد أن ابتليت الأمة بهم، فقطّعوا أوصالها، وتحكّموا في شؤونها، ونهبوا

---

[1] القرضاوي، **ديوان الشعر: المسلمون قادمون**، مكتبة وهبة–مصر، ط1، 1422هـ، (11/1).

[2] هود:113.

[3] الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوي النيسابوري، (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1411هـ، حديث رقم: 4884، (551/4). قال الشيخ الألباني"صحيح"، الألباني، محمد ناصر الدين، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض، حديث رقم، 374، (648/1).

خيراتها، واستأثروا بمقدراتها، وأمتلكوا مصير أبنائها، فقتلوا من قتلوا منهم، وعذبوا من عذبوا، وسجنوا من سجنوا، وأبعدوا من أبعدوا، حتى غدت أمتنا أمة ضعيفة لا مكان لها بين الأمم، ولا أمل يرتجى في نهضتها وتقدمها، إلا إذا سارع المخلصون من أبنائها لأنقاذها ونجدتها والذود عن حياضها، وتخليصها من أيدي الظالمين الغاصبين لها.

الفصل السادس

نماذج من الطغيان وردت في القرآن الكريم

المبحث الأول: طغيان فرعون

المبحث الثاني: طغيان قوم نوح

المبحث الثالث: طغيان بني إسرائيل

الفصل السادس

نماذج من الطغيان في القرآن الكريم

تمهيد

يتناول الباحث من خلال هذا الفصل ثلاثة من نماذج الطغيان التي وردت في القرآن الكريم، الأول يتحدث عن الطغيان الفردي ممثلاً بطغيان فرعون، والثاني يتحدث عن طغيان قوم نوح، والثالث يتحدث عن طغيان بني اسرائيل.

المبحث الأول

طغيان فرعون

يتناول الباحث من خلال هذا المبحث نموذجاً من نماذج الطغيان الفردي المتمثل بطغيان فرعون، مظهراً طبيعة هذا الطاغية ونفسيته من خلال بعض الصفات التي كان يتمتع بها، وطبيعة كل الطغاة الذين جاؤوا من بعده، وسلكوا النهج نفسه في الاستكبار والعدوان، والبغي والطغيان، والظلم والاستبداد، فكانوا سواسية في قهر الناس وإذلالهم، وسلب إرادتهم والاستخفاف بعقولهم، وتشابهوا في غلظة القلب والكبر والاستعلاء، فكانوا مصدراً لنشر الفساد وسوء الأخلاق.

ملامح شخصية فرعون

امتلك فرعون صفات جعلته يمتاز بها على غيره من الناس، وكان لهذه الصفات الدور العظيم التي جعلته يطغى في الأرض ويعلو على الناس، بل وجعلت منه نموذجاً لكل طاغية يأتي من بعده، يتجاوز الحد، ويخالف شرع الله تعالى، ويتنكر لسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك؛ لأن ملامح الطغاة واحدة على مر العصور، لا تتغير في مضمونها، ولا تتبدل في حقيقتها؛ لأن الطغاة قديماً وحديثاً ما هم إلا وجوه متعددة ومتجددة لحالة الظلم والطغيان التي تقع في الأرض، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين للناس من خلال قصة فرعون المبثوثة في كثير من سور القرآن الكريم، أن صفات الطغاة نفسها لا تختلف من طاغية لآخر، فسماتهم ووسائلهم ومصائرهم واحدة. يذكر الباحث بعض هذه الصفات من خلال ما امتازت بها شخصية

فرعون، حتى تبصرها العيون، وتدركها العقول، وتحذرها النفوس، وتعي خطورتها الشعوب، وهي على النحو التالي:

أولاً: الطغيان

يعدّ الطغيان من أبرز الصفات التي امتاز بها حكم فرعون عليه لعنة الله تعالى، وأظْهر صفة لفرعون أنه طاغية، حيث تكرر ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[2]، أي: "اذهب له وعظه، فإنه تجاوز الحد وتكبر على الله وكفر به، وتجبّر على بني إسرائيل، واستعبدهم حتى بلغ من أمره أن ذبح أبناءهم واستحيا نساءهم"[3]. يقول الدكتور الخالدي: "وقد برز طغيان فرعون وتعدّيه وتجاوز حدّه في أقبح صورة، وذلك عندما ادعى أنه إلهٌ وربٌّ لقومه، ودعاهم إلى عبادته. وتولَّد عن هذا الطغيان الفرعوني القبيح كلُّ مظاهر الطغيان الأخرى، من ظلمه وعدوانه وبغيه وفساده، وتكبُّره واستعلائه"[4].

ولا شك في أن أمر الطغيان ليس بالأمر اليسير، الذي يمكن قبوله والرضا به، أو التعايش معه في أي زمان أو أي مكان، وذلك؛ لأن "الطغيان أمر لا ينبغي أن يكون ولا أن يبقى. إنه أمر كريه، مفسد للأرض، مخالف لما يحبه الله، مؤد إلى ما يكره.. فمن أجل منعه ينتدب الله عبدا من عباده المختارين. ينتدبه بنفسه سبحانه؛ ليحاول وقف هذا الشر، ومنع هذا الفساد، ووقف هذا الطغيان.. إنه أمر كريه شديد الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبدا من عباده ليذهب إلى الطاغية، فيحاول رده عما هو فيه، والإعذار إليه قبل أن يأخذه الله تعالى نكال الآخرة والأولى"[5]. فالطغيان مخالف لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها، قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾[6]، ومصدر جميع الفتن والظلمات، ورأس كل خطيئة وآفة، وعدو كل فضيلة وحسنة، ومنبع الجرائم والمصائب والهزائم التي أصابت العباد، وحلّت بالبلاد، وهذا ما

---

[1] طه:43.

[2] النازعات:17.

[3] المراغي، **تفسير المراغي**، (28/30).

[4] الخالدي، **القصص القرآني**، (373/2).

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (3814/6).

[6] الروم:30.

يشهد به الواقع الذي نحياه، والذي كثر فيه الطغاة، وتعالى فيه المفسدون، وتجبر من خلاله الظالمون.

والطغيان صفة بارزة في واقعنا الحالي بشكل جلي وواضح، في كثير من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وتكاد تكون هي الصفة الأبرز لكثير من القادة والزعماء والمسؤولين في عالمنا المعاصر إلا من رحم الله وقليل ما هم، لأن أمثال هؤلاء القادة يقتفون أثر أسلافهم الذين سبقوهم من الطغاة، من أمثال وفرعون وقارون، الذين استغلوا سلطانهم وملكهم وقوتهم فى هضم حقوق الناس والتعالي عليهم، واغتروا بعظيم قدرتهم، فبطشوا وبغوا وكانوا سببا فى إفساد البلاد وإذلال العباد، ذاك أن من اغتر بنفسه وسلطانه، وتهاون بحقوق غيره فاستحلها لنفسه واعتدى عليها، وأخذ ما ليس له دون وجه حق، ولم يعط الذي عليه من حقوق، يكون سبباً في تفكيك أمر الجماعة وإضعافها، فيختل نظام العمران ويصبح آيلاً للسقوط، ويقف دولاب التعامل ولا يقوى على المسير، ويوجس كل امرئ من أبناء المجتمع خيفة من بني جلدته لفقدان الأمان، وانعدام الثقة، ولا شك أن أمما هذه حالها وأحوال أبنائها، تكون عاقبتها وحتمية نهايتها الخراب والدمار[1].

فماذا بعد إذلال الناس وهضم حقوقهم، ونهب خيرات البلاد والاستئثار بها، ونشر الفساد بين العباد والتعالي عليهم من طغيان؟.

ثانياً: العلو في الأرض

والعلو في الأرض من صفات فرعون التي ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3]، أي أن "فرعون تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان"[4]، وذلك لأنه كان يرى نفسه فوق مستوى البشر، وأنه في موضع لا يجاريه فيه أحد، ولا يحق لأي كان أن يبلغ المستوى الذي بلغ، وهذا من الاعتداء والكبر الذي كان عليه، قال

---

[1] انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (144/30).

[2] يونس: 83.

[3] القصص: 4.

[4] الآلوسي، **روح المعاني**، (42/20).

تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1]، قال الطبري رحمه الله:"وقوله: (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرا"[2].

ولا شك في أن العلو من صفات الطغاة، وأنهم بهذه الحالة يكونون سبباً في إبعاد كثير من الناس عن الإيمان، وحرمانهم من الهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[3]، أي أنه "لم يؤمن لموسى، مع ما أتاهم به من الحجج والأدلّة (إلا ذرية من قومه) خائفين من فرعون وملئهم"[4]، فإحجام الكثير من الناس عن الإيمان مرده إلى حالة العلو التي يكون عليها الطغاة؛ لأنهم من خلال هذا العلو يمثلون حالة الفوقية والدكتاتورية التي يهابها معظم الناس، ويخشون بأسها وجحيمها، ويحسبون لها ألف حساب.

من أجل ذلك ذم الله تعالى هذه الصفة، وحرّم على أهلها دار النعيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5]، أي أن الجنة يجعلها الله تعالى للمتقين، الذين لا يريدون رفعة في الأرض، ولا تكبراً على أهل الإيمان، ولا يبغون في الأرض الفساد [6]، وبالتالي فإن الله تعالى هو "المتفرد بالعلو، المتفرد بالعظمة. وما يتطاول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخفض والهون؛ وإلى العذاب في الآخرة والهوان... يقول عن فرعون في معرض الهلاك: { إنه كان عالياً } ويعلو الإنسان ما يعلو، ويعظم الإنسان ما يعظم، فلا يتجاوز مقام العبودية لله العلي العظيم. وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان؛ فإنها تثوب به إلى مقام العبودية وتطامن من كبريائه وطغيانه؛ وترده إلى مخافة الله ومهابته؛ وإلى الشعور بجلاله وعظمته؛ وإلى الأدب في حقه والتحرج من الاستكبار على عباده. فهي اعتقاد وتصور. وهي كذلك عمل وسلوك"[7].

---

[1] النمل:14.

[2] الطبري، **جامع البيان**، (436/19).

[3] يونس: 83.

[4] الطبري، **جامع البيان**، (163/15). وانظر: الزمخشري، **الكشاف**، (345/2).

[5] القصص: 83.

[6] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (320/13).

[7] قطب، **في ظلال القرآن**، (269/1).

وعليه لا يجوز ولا ينبغي العلو في الأرض والاستعلاء على الآخرين؛ لأن هذا العلو والنظرة الفوقية للناس هي من صفات الطغاة الظالمين في كل زمان ومكان، وهي سمة ملازمة لهم قديماً وحديثاً.

ثالثاً: الاستكبار

وصف الله تعالى الطاغية فرعون بالاستكبار في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ليدلل على أن هذه الصفة كانت من طباعه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[2]، فالاستكبار من قبل فرعون ومن معه من الجنود ليس بالأمر الغريب، لأنهم رأواْ العظمة والكبرياء لأنفسهم فقط، كما يقول الآلوسي واصفاً حالهم بأنهم: "رأوا كل من سواهم حقيراً بالاضافة اليهم ولم يروا العظمة والكبرياء إلا لأنفسهم، فنظروا إلى غيرهم نظر الملوك إلى العبيد في الأرض"[3]. ولا منازع في أن استكبار فرعون وجنوده لم يكن بحق؛ لأن الاستكبار بحق لا يكون إلا لله تعالى دون سواه، فهو المتكبر على وجه الحقيقة، وله عظيم الشأن والعلو، أما غيره من المخلوقات فيعد استكباره بغير حق مهما بلغ من الكثرة، ومهما امتلك من القوة ومهما أوتي من الجاه والسلطان[4].

ولا شك أن الاستكبار صفة مذمومة قد حرمها الله تعالى، ونزع محبته عن أصحابها، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[5]، أي أنه سبحانه وتعالى "لا يحب الاستكبار، ولا يليق لأحد من الخلائق أن يتكبر على غيره من الخلق؛ لأن الخلق كلهم أشكال وأمثال، ولا يجوز لكل ذي مثل وشكل أن يتكبر على شكله ومثله؛ لأن تكبر بعضهم على بعض كذب وزور؛ إذ

---

[1] المؤمنون:45-46.

[2] القصص:39.

[3] الآلوسي، **روح المعاني**، (82/20).

[4] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، (415/3).

[5] النحل:23.

جعل كلهم أمثالا وأشكالا؛ لذلك كان زورًا وكذبًا، وقد حرم اللَّه الكذب والزور، وجعله قبيحًا في العقول"[1].

وقد وصف ابن عاشور استكبار فرعون بأنه"تكبر تكبراً شديداً إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصول الغالب أو القرين... فاستكباره هو الأصل واستكبار جنوده تبع لاستكباره لأنهم يتّبعونه ويتلقون ما يمليه عليهم من العقائد "[2].

ونظراً لآثار الاستكبار السيئة في الأرض، وعواقبه الوخيمة على البشر، أنزل الله تعالى العذاب الأليم على المستكبرين، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، وهكذا تمضي سنة الله تعالى في الظالمين المستكبرين، من أمثال فرعون ومن سار على دربه من الطغاة المكذبين، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[4]، فلا عجب إذن أن نرى بين الفينة والأخرى هلاك بعض هؤلاء الطغاة، وزوال ملكهم، وذهاب عروشهم، وانكسار قوتهم، جرياً على سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

رابعاً: القتل والإجرام والتهديد بالسجن

لقد طغى فرعون في الأرض وأكثر فيها الفساد، حيث بلغت ذروة طغيانه وفساده القتل وسفك الدماء، وهي الصفة ذاتها لدى سائر أنظمة الطغاة كما وصفه صاحب الظلال بقوله: "إنه الطغيان في كل مكان وفي كل زمان. لا فرق بين وسائله اليوم ووسائله قبل عشرات القرون والأعوام..!"[5]، قال تعالى واصفاً ما كان عليه فرعون من طغيان: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾[6]، فما كان منه إلا أن " يذبح أبناءهم، حتى يقطع نسلهم، ويستحيي نساءهم، أي يمتهنهن، ويفضح سرهن، فلا يرعى لهن حرمة، ولا يبقي لهن على حياء!"[7].

---

[1] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، (ت: 333هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)** ، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426ه، (492/6).

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (124/20).

[3] القصص:40.

[4] الأحزاب:62.

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (1355/3).

[6] القصص:4.

[7] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (309/10).

فذبح الأطفال دون ذنب أو جريرة كانت من أبرز صفات فرعون، التي أراد من خلالها تدعيم أركان سلطانه، وترسيخ قواعد حكمه، وإغلاق طريق الدعوة أمام الناس، وصدهم عنها من خلال خشيتهم على مصير أبنائهم ونسائهم إن هم آمنوا، حيث يظن الطغاة دوماً أن مواجهة الدعاة من خلال الضغط على عائلاتهم، واستهداف أسرهم هي النقطة الضعيفة التي يمكنهم النفاذ من خلالها.

أما لماذا يقتلون الأبناء ويستحيون النساء؟ فإنهم يفعلون ذلك كما يقول الخالدي:"ليقفوا في طريق الدعوة، ويوقفوا انتشارها بين الآخرين، حيث سيفكر هؤلاء الآخرون طويلاً قبل انضمامهم للدعوة؛ خوفاً على أبنائهم ونسائهم. وهم يفعلون هذا ليضغطوا على المؤمنين ضغطاً مؤلماً، ومن النقطة التي تؤلمهم أكثر من غيرها، والتي يظنونها نقطة الأسرة والعائلة، والأولاد والبنات. وهي نقطة ضعف حقاً، والضغط عليها مؤلم جداً، قد يفضي بأناس إلى التخلي عن الحق فعلاً"[1].

ولا جدال في أن قتل الأبناء واستهداف النساء للخدمة وغيرها، تؤثر بشكل كبير على الدعاة، لذا يحرص الطغاة على اقتراف هذا الجرم العظيم، لثني الدعاة عن القيام بواجبهم الدعوي، ومحاولة إنزال الذل وإلصاق العار بهم. يقول الشوكاني: "لا يخفى ما في قتل الأبناء واستحياء البنات للخدمة وغيرها من إنزال الذل بهم وإلصاق الأهانة الشديدة بجميعهم؛ لما في ذلك من العار"[2]. لذلك كله كان الأمر بالقتل واستحياء النساء صادراً من رأس الهرم الذي يمثله فرعون"[3].

فهل بعد استهداف الأطفال بالقتل، والنساء بالاستحياء من قبل أنظمة الطغيان من فساد وإجرام، يسعون من خلاله إلى تهديد الدعاة إلى الله تعالى وإرهابهم وتخويفهم. فها هو فرعون يهدد موسى عليه السلام ويتوعده بالسجن والانتقام، إن هو آمن بإله غيره، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[4]، أي"لأجعلنّك فى زمرة الذين فى سجونى على ما

---

[1] الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن**، (102/1).

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (98/1).

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (373/21).

[4] الشعراء:29.

تعلم من فظاعة أحوالها، وشديد أهوالها، وكانت سجونه أشد من القتل ؛ لأنه إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت، وكان يطرحه فى هوّة عميقة تحت الأرض وحده"[1].

فيلاحظ من خلال هذه الآية مدى تضخم الذات لدى فرعون، فأصبح هو الإله، وهو الدولة، وهو الذي يتهدّد ويتوعّد.

ولا يدل هذا التهديد بالسجن إلا على حالة الضعف والعجز التي يكون عليها الطغاة؛ لأنهم لا يملكون من الحق والجرأة ما يواجهون به الدعاة، ولا يتقنون سوى لغة التخويف والوعيد، ولا يجيدون إلا مهارة التهديد التي يقول عنها سيد قطب رحمه الله: "التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين. فليس السجن عليه ببعيد. وما هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع. وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد!"[2].

ويصف الخالدي هذا التهديد قائلاً:"وهذا هو الأسلوب الذي يتقنه فرعون الطاغية، أسلوب التهديد والوعيد، أسلوب البطش والتعذيب، البطش بالمخالف وتعذيبه، ولو كان الحق معه! وهذا هو نفس الأسلوب الذي يتقنه الطغاة في كل زمان ومكان، فعندما ينهزمون في المواجهة الفكرية، وتتلاشى مزاعمهم أمام منطق الحق الواضح، فإنهم يستخدمون سلاح البطش والعدوان، والسجن والتعذيب.

ثم هم لا يسمحون لمن يخالفونهم بالحرية أو الحركة، فمكانهم ليس الحياة مع الناس، وإنما مكانهم في أقبية السجون وظلام الزنازين. وإلا فلماذا يضع فرعون موسى في السجن إن أصر على مخالفته؟ ولماذا لا يدعه يعيش بين الناس؟ وليدع إلى دينه إن شاء! وليسمع الناس حجته وحجة فرعون، ثم يتبعون الحجة الصحيحة! وإذا كان فرعون على حق فلماذا يخشى حجة موسى؟

إن هذا أمر لا يقبله فرعون الطاغية، ولا يقبله أي طاغية، حتى لو زعم الموضوعية وسعة الصدر وقبول المخالف و"الديمقراطية"ولذلك هدد موسى بوضعه في السجن!!"[3].

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي**، (55/19).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (2593/5).

[3] الخالدي، **القصص القرآني**، (420/1).

كما أنه هدد كل من يؤمن بموسى عليه السلام وكل ما جاء به بالصلب وتقطيع الأيدي والأرجل، قال تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[1]، وهذا التهديد والوعيد يتكرر كل يوم على ألسنة الطغاة الظالمين، الذين ما يفتأون عن تسخير كل طاقاتهم، وتوجيه ماكنات وأبواق إعلامهم، لإرهاب الناس وتخويفهم. ولا شك أن لهذه التهديدات أثرها البالغ في ثني الناس عن الاستجابة لنداء المصلحين ودعوة المرسلين، وزجرهم عن المطالبة بحقوقهم التي استأثر بها الطغاة المجرمين، قال تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[2]، وهو السبب نفسه الذي وقف خلف خروج موسى عليه السلام من وطنه وترك أهله، قال تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[3]، وهو السبب الذي يتكرر مع الدعاة في أيامنا هذه، فمغادرة كثير منهم لأوطانهم، وهجرهم لبلدانهم، وتركهم لأهلهم، سببه كان وما يزال حماية أنفسهم، والفرار بدينهم، خوفاً من بطش طغاة أقوامهم، الذين لاحقوهم في البلاد، وضيقوا عليهم في الحركة وكسب الأرزاق، ومنعوهم من الاحتكاك والتعامل مع الناس، فأذاقوهم سوء العذاب، وأنزلوا بهم أشد العقاب.

خامساً: الاستبداد بالرأي

أوضح القرآن الكريم أن فرعون قد بلغ من الاستبداد، والشعور بتضخم الذات، إلى درجة استخفافه بقومه جميعاً، وإلى اعتبار رؤيته للأمور كلها هي الهداية بعينها، والرشاد بذاته، وما كان فرعون مهتدياً، وما كان أمره برشيد، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[4]، فهنا يتحدث فرعون"عن نفسه حديث المخلص لقومه الساعي لمصلحتهم فيقول: إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابًا وأعتقده نافعًا، وهل يرى الطغاة أفعالهم إلا أنها الخير والرشاد؟ فالخير والرشاد في مفهوم أولئك المجرمين، أن ينالوا شهواتهم وملذاتهم كاملة دون نقص، ولو فنيت الأمة كلها، أما لو كانوا يسعون في مصلحة الأمة كما يدعون، لسمحوا للأمة أن تقول لهم أنتم مخطئون، وأنتم غير صالحين للقيادة فتنحوا عنها، وأعطوا

---

[1] طه:71.

[2] يونس:83.

[3] الشعراء:21.

[4] غافر:29.

القوس باريها ولكن الحاصل من الطغاة من فرعون الغابر إلى فراعنة العصر الحاضر، أنهم لا يسمحون لأحد أن يرى رأيا يخالف رأيهم، أو أن يقول كلاما يخالف قصدهم، ولو لم يكونوا بهذا الوصف لما كانوا طغاة مستبدين وفراعنة مجرمين"[1]. وذلك لأن الاستبداد يعني: "تفرد فرد أو مجموعة محدودة بالقرار العام وبالتحكم في مصائر العباد دون شرعية حقيقية أو وجه حق ولتحقيق مصالح ذاتية ضيقة على حساب مصالح الناس"[2].

ويصف القرآن الكريم فرعون بأنه لم يكن يملك من المعرفة والصواب شيئا، وأنه لم يكن من الراشدين ولا المستبصرين، قال تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾[3]. يقول سيد قطب رحمه الله "إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صواباً، وأعتقده نافعاً. وإنه لهو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأياً؟ وإلا فلم كانوا طغاة؟!"[4]. وهذا ما عليه الطغاة دوماً، وما يلمسه الجميع في طغاة هذا العصر، الذين يستأثرون المعرفة والهداية لأنفسهم، وينزعونها عن غيرهم. فلا يجوز لأحد أن يسألهم عن أفعالهم، ولا يحق لأي كان أن يعترض على أقوالهم، فهم يمتلكون عقولاً لا يمتلكها غيرهم، وشفافية قلوب لا ينازعهم فيها أحد، يقول الشيخ القرضاوي: "فليس لأحد من حق أن يسأله: لم؟ بله أن يقول له: لا، فليس في الشعب أحدٌ مثله ذكاء وعقلاً، وشفافية قلب، وحسن إدراك للعواقب، وإحاطة بالأمر من جميع الجوانب، فهو العلامة في كل فن، والفهامة في كل شيء، وأما من حوله فمهمتهم أن يؤمنوا إذا دعا، وأن يصدقوا إذا ادّعى، من اجترأ واعترض فيا ويله ماذا يلقى، لأنه باعتراضه يصبح عدو الحرية، ولا حرية لأعداء الحُرّيّة"[5].

فإذا شاع الاستبداد في المجتمع فإن الحقوق التي كفلها الله تعالى للعباد تضيع، وتذوب كل قواه، ومن ثم يتحكم في أمور المجتمع قلة قليلة من الجبابرة والعتاة، الذين جاؤوا على حين

---

[1] الجلعود، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، (232/1).

[2] عودة، جاسر، مقال بعنوان: **مقاصد الشريعة لكسر تحالف الاستبداد السياسي والاستبداد الديني** ، يقظة فكر، http://feker.net/ar/2015/06/15/7586

[3] هود:97.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (256/6).

[5] القرضاوي، **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي**، مكتبة وهبة–القاهرة، (ط2/1417هـ)، (130/1).

غفلة من وعي الجماهير وادراكها، فأخلّوا بالموازين، ونقضوا العهود والمواثيق، وتجاوزوا كل القيم والأعراف، وبثوا الخوف والرعب في القلوب، وغرسوا الوهن في النفوس، وذلك لأن الحكم الاستبدادي "تهديم للدين وتخريب للدنيا، فهو وباء يصيب الإيمان والعمران جميعاً. وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج..!!"[1] ومع استمرار وجود حالة الاستبداد"تلتوي فطرة الناس.. وتفسد نفوسهم وتتراجع إرادتهم.. ويصبح همهم هو النجاة من القتل.. والعذاب.. والترويع.. والسجن"[2]، فماذا بقي بعد تهديم أركان الدين التي فيها نجاة المسلم، وتخريب أعمدة الدنيا التي فيها حياة الإنسان، من ظلم وبغي واستبداد؟!.

ويصف عبد الرحمن الكواكبي الطاغية المستبد فيقول: "ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي، يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافاً قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم"[3]. فهو يريد لرعيته من الشعب أن تظل تسكن الظلام، غافلة عما يدور حولها من مجريات وأحداث، جاهلة بمصيرها ومستقبل البلاد. وهذا هو حال الشعوب التي تعيش تحت الاستبداد، فهي "لا تنظر إلا بإذن، ولا تسير إلا بأمر، وطواغيتها يكرهون أن يُفتح مصراع واحد من نوافذ المعرفة"[4]

فالهم الوحيد الذي يسعى المستبدون من الطغاة لتحقيقه يتمثل في حفظ مصالحهم، وبقاء عروشهم، واستمرار نفوذ سلطانهم، واتساع رقعة حكمهم، وهذا ما يحققه الاستبداد السياسي الذي سبب للأمة على مدار تاريخها الهزائم والمصائب والويلات، وجعلها في أدنى الدرجات؛ لأن"الإشكالية الكبرى التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي هي الاستبداد السياسي. الاستبداد السياسي هو أس الفساد ومصدر البلاء، وهو السبب الرئيس وراء الحروب والاختلاس واستغلال

---

[1] الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة**، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دون معلومات نشر، (39/1).

[2] بهجت، أحمد **فرعون والطغيان السياسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع–بيروت، (ط1408/1هـ)، (11/1).

[3] الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (36/1).

[4] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، (83/1).

النفوذ والعنف الأهلي وضياع الحريات وانتهاكات حقوق الإنسان والتخلف الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وغير ذلك من أشكال الطغيان والظلم والفساد في عالمنا"[1].

فليس من العجب والغريب إذن أن يكون الاستبداد هو العقبة الكؤود في إعاقة النمو والتقدم العقلي والروحي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع.

"فمن الناحية العقلية، يطرح المستبد نفسه على أنه المانح المانع، وأنه المسؤول عن كل خيرات ونعم البلاد. فأول ما يقتل في الناس شعورهم بالمسؤولية. فالمواطن في المجتمع الاستبدادي لا يشعر بأية مسؤولية تجاه المجتمع وقضاياه الصغرى والكبرى، لكونه بالأصل يعيش على الهامش، ولا رأي له، واعتاد على كلمة (نعم) دائما. مما يقتل عنده روح المحاكمة العقلية، ويتبلد ذهنه، لوجود من يتخذ القرارات عوضا عنه ... أما من الناحية الاقتصادية، فقد برهن التاريخ على أن الإنسان الحر ينتج أكثر من العبد، في جميع مجالات العطاء والإنتاج. والإنسان الذي يعمل في ظل نظام ديموقراطي يحفظ عليه كرامته ولا يضطهد رأيه، ينتج أكثر من الذي يعمل في ظل نظام مستبد لا توجد فيه حرية رأي. .. وأما من الناحية الاجتماعية، فالاستبداد السياسي يعيق تقدم وتعميق العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع. فلا أحد يأمن جانب أحد، وتنتشر ظاهرة غياب الضمير (قول الحق بدون خوف) حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، ويقل فعل الخير بين الناس، وتتشوه المثل العليا للمجتمع، ويصبح الذي يحصل على المال دون أن يعمل (فهلويا)، والذي يتحايل على القانون (شاطرا)، والذي يحتكر ويغش المواصفات (تاجرا ماهرا)... يزيد من نمو الأحقاد بين الناس"[2].

سادساً: التكذيب بآيات الله تعالى

يظهر من خلال سيرة الطغاة أنهم يكذبون بآيات الله تعالى، معرضون عنها غير ناصتين لها، فلا يسمعونها ولا يبصرونها، كأنّ في آذانهم وقراً، وعلى أعينهم غشاوة،، وذلك لأن الإيمان والطغيان لا يلتقيان ولا يجتمعان، بل هما على النقيض من ذلك تماماً، من هنا كان التكذيب

---

[1] عودة، جاسر، مقال بعنوان: **مقاصد الشريعة لكسر تحالف الاستبداد السياسي والاستبداد الديني** ، يقظة فكر، http://feker.net/ar/2015/06/15/7586

[2] شحرور، محمد، مقال بعنوان: **الاستبداد السياسي** ، الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور، http://www.shahrour.org/?page-id=589

بآيات الله تعالى وعدم التصديق بها من صفات الطغاة المجرمين، وهذا ما أوضحه القرآن الكريم عن فرعون والذين من قبله من الطغاة، قال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾[1]، أي أن الله تعالى يعني بذلك "أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا عند حلول عقوبتنا بهم، كسنة آل فرعون وعادتهم، والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا، فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا حين جاءهم بأسنا كالذي عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم"[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾[3]، أي كذب فرعون ما جاء به موسى عليه السلام من الآيات البينة والمعجزات الواضحة، وعصاه فيما أمره به من القيام بطاعة الله، وخشيته والخوف منه عز وجل[4].

وقد بين الله تعالى أن السبب في إغراق فرعون ومن كان معه في اليم وانتقامه منهم، كان بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى وغفلتهم عنها، قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾[5]، أي أننا فعلنا بهم ما فعلنا من العذاب، وانتقمنا منهم وأغرقناهم في البحر، بسبب تكذيبهم لحججنا التي بيناها لهم، لكي تكون عليهم حجة ودليلا[6].

كما أوضحت آية سورة النبأ أن ما أصابهم من عذاب، وما حلّ بهم من عقاب، كان مرده إلى تكذيبهم، وعدم إيمانهم بما نزل من آيات، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾[7]، أي أن هؤلاء الطغاة لم يكونوا في حياتهم الدنيا يخافون حساب الله تعالى، ولا يخشونه ويسقطونه من حسابهم، وفعلوا من القبائح الكثير، واجترحوا من السيئات

---

[1] آل عمران:11.

[2] الطبري، **جامع البيان**، (235/5).

[3] النازعات:20-21.

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (202/24). القرطبي، **تفسير القرطبي**، (202/19).

[5] الأعراف:136.

[6] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (74/13-75).

[7] النبأ: 27-28.

ما شاءت لهم أهواؤهم ورغباتهم وشهواتهم، وكانوا أيضاً يكذبون بكل ما جاء به أنبياء الله تعالى من الآيات والمعجزات تكذيباً منكرا، والنتيجة إنهم فعلوا سائر المنكرات والمحرمات، ولم ينتهوا عن ارتكاب المعاصي والأثام، وأنكرت قلوبهم الإيمان، واتبعت نفوسهم الباطل، وهوت في مصائد الشيطان[1].

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجدها زاخرة بالحديث عن تكذيب الطغاة وعصيانهم، ومن ضمن تلك الآيات، قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾[3].

وإزاء كثرة حديث القرآن الكريم عن تكذيب الطغاة بآيات الله تعالى، يثار سؤال من عوام الناس مفاده:أننا نجد بعض الطغاة يقيمون شعائر الإسلام أمام الناس، ويساهمون في إقامة مشاريع الخير ويشجعون عليها، ويفتتحون حديثهم دوماً بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم، فكيف يتوافق هذا الأمر مع تكذيبهم بآيات الله تعالى؟

يرى الباحث أن الجواب على هذا التساؤل يتمثل في النظر في سلوك هؤلاء الطغاة، الذي يكشف حقيقة أمرهم، ويزيح الستار عن كذب دعواهم، التي يحاولون من خلالها خداع شعوبهم؛ لأنهم لا يبتغون من وراء هذه الأعمال سوى الرياء وتأليف قلوب الأتباع "إذ يحب هؤلاء السادة أن يمهدوا لزعامتهم ورياساتهم بأعمال تزرع في القلوب هيبتهم، وتجعل لجاههم في الأرض دعائم مكينة، فيفعلون الخير لا لوجه الله تعالى ولا لحب الخير، بل ليلفوا بهم الجماهير المعجبة، ويلفتوا نحوهم الأعناق المشرئبة"[4]، وهذا ما بينه القرآن الكريم عند حديثه عن فرعون الذي برر مطلبه قتل موسى عليه السلام أمام قومه مخافة أن يبدل دينهم، أو أن يظهر في الأرض الفساد، قال تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[5] ، فكل ما يقوم به الطغاة من أعمال ظاهرها الصلاح، لا قيمة لها عند الله تعالى؛ لأنهم "قد يقرؤون القرآن، لا قربى إلى الله ولكن لينتفعوا به

---

[1] انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (14/30).

[2] الحج:42.

[3] الفرقان:36.

[4] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، (40/1).

[5] غافر:26.

في تدعيم أثرتهم، وقد يتصدقون لا عطفاً على محروم، ولكن ليراهم الناس وأيديهم هي العليا، فلو خلو برجل يموت جوعاً ما أطعموه.

وقد يقاتلون عن وطنهم أو عن مبدئهم، لا ليفتدوا الوطن أو المبدأ، فإن ما تركز في طباعهم أن الأوطان والمبادىء فدىً لهم أنفسهم"[1].

فمن طبيعة الطاغية إذن عدم الإيمان بالله تعالى، والتكذيب بما أنزل الله عز وجل، مهما بلغت هذه الآيات من الوضوح والبلاغة والبيان، وهذا ما سطره كتاب الله المجيد عند حديثه عن تكذيب فرعون، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾[2]، فإذا"كان فى آيات الله تبصرة لأولى الأبصار، فإن هناك من لا يهتدى بها، ولا يجد فيها هاديا يهديه إلى الله.. ومن هؤلاء أو على رأس هؤلاء- فرعون الذي أراه الله آياته كلها.. فأراه من المحسوس آيات، وأراه من المعقول آيات.. فكذب وأبى أن يستجيب لما دعي إليه من هدى وإيمان.. والآيات المحسوسة هي ما كان بين يدى موسى من معجزات، والآيات المعقولة هي ما حدّثه به موسى عن ربّه، الذي أعطى كل شىء خلقه ثم هدى"[3].

فكيف بشخص من أمثال فرعون أن يؤمن بآيات ربه ويصدق بها، بعد ما بلغه من الطغيان والعصيان حتى ادّعى الألوهية والربوبية !!! ولا شك في أن الطغاة على مر التاريخ وحتى يومنا هذا، يكذبون بآيات ربهم ولا يؤمنون بها، وهذا ما تنبىء به سيرتهم وتؤكده أفعالهم، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما تبطنه قلوبهم وتخفيه نفوسهم.

سابعاً: الفساد

وصف الله تعالى فرعون في القرآن الكريم بأنه كان من المفسدين، وذلك لأن الطغيان والتكبر على الآخرين يلازمه الفساد والظلم، قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾[4]، أي أن هذه الأقوام التي تم ذكرها من أمثال قوم عاد وثمود

---

[1] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**.(42/1).

[2] طه:56.

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (800/8-801).

[4] الفجر:10-12.

وفرعون وغيرهم قد استغلوا ما بين أيديهم من السلطة والقوة لسلب حقوق الناس والاستيلاء عليها، كما أعجبوا بما لهم من قوة ومنعة، فكانوا بذلك سبباً في إفساد البلاد، وإهلاك العباد. [1].

فوجود الفساد في حياة الطغاة قائم على مر العصور، ولا يخلوا عهد من حياتهم إلا وقد امتلأ بالفساد والجريمة، وكأنها البيئة المناسبة لنشوء الطغيان، وتغذيته بما يسمح له بالاستمرار والبقاء. وكأن الطغيان والفساد متلازمان تلازماً متيناً يحقق أحدهما وجود الآخر، وقد جاء ذكر الفساد ملازماً للعلو في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وهي الحالة التي يكون عليها الطغاة دوماً من العلو والاستكبار، وهذا ما كشفته آيات القرآن التي تحدثت عن حالة الطغيان والعلو والفساد التي بلغها فرعون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [2]، فماذا بعد قتل الأطفال وسلبهم نعمة الحياة، واستحياء النساء ومصادرة كرامتهن ومنعهن حقهن في العيش الكريم، وجعل الناس شيعاً وأحزاباً، من فساد لا يصدر إلا عن نفس طاغية قد انحرفت عن الصراط المستقيم، وأصبحت أسيرة الأهواء والشهوات؟؟.

فالطاغية المفسد يدرك بأنه "لا استعباد ولا اعتساف ما لم تكن الرعية حمقاء تتخبط في ظلامة جهل وتيه عماء، فلو كان المستبد طيراً لكان خفاشاً يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، ولو كان وحشاً لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل "[3]. فإذا كانت الرعية على هذه الحالة من الجهل والتيه والظلام، فكفى بذلك فساداً، ينبت في بيئته الطغيان ويعيش في أجوائه الطغاة.

والغريب في شأن فرعون وشأن كل الطغاة من بعده، أنهم يصنعون الفساد ويروجون له، بل ويسنون من الأنظمة والقوانين ما يحفظ ويحمي المفسدين، وفي الوقت نفسه يلصقون صفة الفساد بالدعاة والمصلحين ويسيمونهم بها، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [4]. وللأسف فإن هذا

---

[1] انظر:المراغي، **تفسير المراغي**، (144/30).

[2] القصص:4.

[3] الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (36/1).

[4] غافر:26.

الادعاء ينطلي على الفاسقين الذين استخف بهم الطغاة، وذلك لأن الفساد حينما يكون بيّناً جليّاً "فإنّه لا يَخفى عوراه إلا على القوم الفاسِقين؛ لأنهم انغمسوا في الفِسق! والواقع في أصل بئر لا يَرى فوّهة البئر، والغارق في ظُلمات البحر لا يَرى سَطح البحر، والجالس في أصل جَبَل لا يَرى أوكار النسور، ولا مخابئ الوحوش ! أما الجالس على شَفير البئر، فإنه يَرى أبعادَها.والواقف على ساحل البحر يَرى سطح البحر الممتدّ أمامه.والصّاعد على قمّـــة جَبل يَرى ما حوله، بل يَرى ما يُحيط به.[1]"

ثامناً: مصادرة وقمع الحريات

تجلت هذه الصفة في شخصية فرعون من خلال العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[2]، أي ما "أريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا... وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد"[3]. وهو بهذا الزعم والادعاء بمعرفة الهداية والرشاد، أغلق الباب أمام قومه، فلم يمنحهم الحقّ في التعبير، ولا الحرية في إبداء الرأي والتعليق. وهذا ال نموذج من الناس"تجدهم في كل عصر، وفي كل طبقة اجتماعية مُعينة، وتجدهم بين أصحاب الحرف كما تجدهم في طبقة المُشتغلين بالعلم، ولكن أشدهم وطأة وأكثرهم بطشا أصحاب السلطان السياسي من الحُكام المستبدين بشعوبهم، والذين لا يرضيهم من الشعوب إلا أن يكونوا قطيعا من الغنم حتى وإن أوردهم ساستهم موارد الهلاك والدمار، فلا يرضى السلطان إلا بالخضوع المُطلق، فلا يسمع بين الناس إلا صوته ولا يقبل أن يسأل عما يفعل وهم يسألون. إنه المنطق الفرعوني الذي يتكرر على مدار التاريخ"[4]. ومن الآيات التي برزت فيها هذه الصفة أيضاً قوله تعالى:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ

---

[1] السحيم، عبد الرحمن بن عبدالله، مقال بعنوان: **صار فرعون واعظاً** ، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/assuhaim/276.htm

[2] غافر:29.

[3] الطبري، **جامع البيان**، (378/21).

[4] الجليند، **الوحي والإنسان**، (20/1).

أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾[1]، أي قال لهم فرعون: "أتؤمنون به قبل أن تستأذنوا، وقد كان ينبغي أن تفعلوا ذلك، وألا تفتاتوا عليّ، فإني أنا الحاكم المطاع؟"[2]، فإذا كان الإيمان بالله تعالى والتصديق بدعوة المرسلين بحاجة إلى موافقة الحكام والمسؤولين، فأي قمع هذا للحريات ومصادرة للحقوق؟.

إن ظاهرة مصادرة وقمع الحريات ممارسة من قِبل سائر أنظمة الطغاة؛ لأن شيوع أجواء الحرية وتمتع الجماهير بحقها في التعبير، يتناقض مع وجود أنظمة الحكم الطاغية التي تفقد ميزاتها في أجواء الحرية، فالإنسان الذي يعيش لدى هذه الأنظمة ليس من حقه التمتع بحقوقه، أو البحث عنها، أو طلبها من النظام القائم، إلا في حدود ما يحقق لهذة الأنظمة الطاغية دوام بقائها، واستمرار فسادها وبغيها، لأن هذه الأنظمة تسودها أعراف الحكم المطلق الذي يسلب الناس حريتهم وكرامتهم، وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "وحيث يسود الحكم المطلق تُنتقص الإنسانية من أطرافها، بل من صميمها"[3]، فالطاغية في أي أمة كانت لا يسمح لها أن تقول كلمتها، أو تقدم رأيها في أي أمر من الأمور، لأنه يرى في نفسه فقط أنها صاحبة الكلمة وتقدير الموقف، ولا يجوز الخروج على قوله أبداً مهما كانت الظروف والأحوال، فهو"يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي، فيضع رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته"[4].

ففي فضاء أنظمة الطغاة وممالك العتاة يُعتدى على الإنسان، وتُسلب إرادته، وتُصادر حريته وحقه في التعبير، هذه الحرية التي كفلها رب العالمين للإنسان في أهم قضايا الدين، ألا وهي حرية الاعتقاد والاختيار، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[5]، والإكراه يعني"أن تحمل

---

[1] الشعراء:49.

[2] المراغي، **تفسير المراغي**، (62/19).

[3] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، (36/1).

[4] الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (18/1).

[5] البقرة:256.

الغير على فعل لا يرى هو خيراً في أن يفعله. أي لا يرى الشخص المكرَه فيه خيراً حتى يفعله"[1].

وعندما استجاب المسلمون لنداء ربهم، وأشاعوا الحرية فيما بينهم في بداية عهد النبوة، كان العرب وقتها "أسعد الأمم بحظوظ الحرية المتاحة لهم، بينما كان الروم والفرس جماهيراً من العبيد الذين تعودوا الانحناء للحكام والسجود للملوك وضياع الشخصية في ظل سلطات عمياء وأوامر ليس عليها اعتراض... ووسط هذا الجو شقّت رسالة الإسلام طريقها صُعُداً لم تثنها المعوقات الطبيعية التي لا بد منها. ومن الفطر القوية لأؤلئك العرب الأحرار كانت الانطلاقة التي عصفت بالحكومات المستبدة وبدلت الأرض غير الأرض والناس غير الناس. ذلك أنه يستحيل أن يتكون في ظل الاستبداد جيل محترم، أو معدن صلب، أو خلق مكافح"[2].

وهذا العمل والانطلاقة في بقاع الأرض لنشر الدين ونمائه دون معوقات أو عراقيل تذكر، لا شك في أنه ثمرة طيبة من ثمار شيوع أجواء الحرية بين الناس، وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "ولا أزال أكرر ما ذكرت فى بعض كتبى من أن الحريات المقررة هى الجو الوحيد لميلاد الدين ونمائه وازدهاره! وإن أنبياء الله لم يضاروا بها أو يهانوا إلا فى غيبة هذه الحريات، وإذا كان الكفر قديماً لم ينشأ ويستقر إلا فى مهاد الذل والاستبداد فهو إلى يوم الناس هذا لا يبقى إلا حيث تموت الكلمة الحرة وتلطم الوجوه الشريفة وتتحكم عصابات من الأغبياء أو من أصحاب المآرب والأهواء...نعم ما يستقر الإلحاد إلا حيث تتحول البلاد إلى سجون كبيرة، والحكام إلى سجانين دهاة. من أجل ذلك ما هادنا ــ ولن نهادن إلى آخر الدهر ــ أوضاعاً تصطبغ بهذا العوج ويستشرى فيها ذلك الفساد"[3].

وفي أنظمة الطغاة التي تُحارَب فيها الحريات ويُلاحَق من ينشدها، وتسودها أجواء تكميم الأفواه، وكبت الحريات، يُعتدى فيها على أموال الناس أيضاً بالمصادرة والنهب

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (708/1).

[2] الغزالي، محمد أحمد السقا، (ت:1416هـ)، **قذائف الحق**، دار القلم- دمشق، (ط2/1418هـ)، (236/1).

[3] الغزالي، **قذائف الحق**، (67/1).

والحرمان، وذلك لأن "الطغيان يجعل المال في أيدي الناس عرضة لسلب الطاغية وأعوانه وعماله غصباً أو بحجة باطلة؛ وعرضة أيضاً لسلب المعتدين من اللصوص والمحتالين الراتعين في ظل أمان الطغيان؛ وحيث أن المال لا يحصل إلا بالمشقة، فلا تختار النفوس الإقدام على المتاعب مع عدم الأمن على الانتفاع بالثمرة" [1]، فماذا بقي للإنسان من حرية إذا اعتدي على نفسه وماله بدون وجه حق؟.

فإذا صودرت الحريات، ومنع الناس من التعبير، وساد القهر والكبت والتخويف، فإن الطغيان يمتد "إلى الأموال فينهبها، وإلى الأبدان فيعذبها، وإلى الحريات فيسلبها، والحرمات فينتهكها، بل إلى الأنفس فيقتلها، حتى الأرض التي نبتوا منها، وشبوا عليها، ونشأوا في أحضانها، هم وآباؤهم وأجدادهم يخرجون منها إخراجًا"[2].

والواقع الحالك الذي تحياه أمتنا الجريحة اليوم، بفعل طغيان حكامها، وبغي مسؤوليها، وفساد قادتها، يمكن أن يقال فيه:"إن الأمة الإسلامية وهي تتجرع غصص المرارة، وتلعق موائد الأسى من جراء تسلط أنظمة ديكتاتورية متغطرسة، شعارها ولسان حالها ينادي على الملأ عبر أبواقها... ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾[3]، بقيت تبحث عن بصيص أمل تخرج به من متاهات الظلمات الحالكة التي أحدقت بها من كل جانب، وتنجو من القمع والبطش والإذلال والقهر والتنكيل الممارس عليها من تلك الأنظمة بالغدو والآصال، وتتمنى الحصول على أدني حقوقها المنهوبة، ونيل شيء من كرامتها المسلوبة، فغدا حالها كالغرِيق الذي يبحث عن ما ينقذه ولو كان قشة تتقلب بها الأمواج "[4].

فيا له من واقع مظلم ومرير، ويا لها من حالة يبكي لبؤسها الكبير والصغير، ويا له من مستقبل ينذر بمزيد من الضعف والذل وخيبة المصير، إذا بقيت أمتنا مسلوبة الحق في الحرية والتعبير.

---

[1] انظر:الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (62/1).

[2] الشحود، علي بن نايف، **المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى**، دون معلومات نشر، (128/15).

[3] الزخرف:51.

[4] الشحود، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، (401/54).

تاسعاً: الاستئثار والتصرف بالمال العام

الطاغية حتى يكون طاغية لا بد له من حيازة الأموال والتصرف فيها دون حسيب ولا رقيب، فهو فوق القانون وبعيدٌ عن المحاسبة، وله أن يمتلك من الأموال والكنوز ما يشاء، وله أن ينميها ويتاجر بها بالطريقة التي تضمن له بقاء السيطرة في الحكم، والاستمرار في تنفيذ مخططاته دون أية عقبات تذكر، فالمال في أيدي الطغاة يمثل شريان الحياة الذي يغذي طغيانهم، ويقوي نفوذهم، ويعزز فرص بقائهم، وذلك لأن "الطغيان لو كان رجلاً وأراد أن يفتخر وينتسب لقال: أنا الشر والسوء، وأبي الظلم والبغي، وأمي الإساءة والاعتداء، وأخي الغدر والخيانة، وأختي المسكنة والضعف، وعمي الضر والداء، وخالي الذل والخسة، وابني الفقر والحاجة، وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة والغباء، ووطني الخراب والدمار، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال المال المال"[1].

فليس عجباً أن تسفك الدماء، وتدمر البلاد، وتقترف العظائم من المحرمات، من قبل أنظمة الطغاة سعياً لحيازة المال، ووضع اليد على مقدرات البلاد، ونهب خيراتها والاستئثار بها، وإفقار أهلها وتجويع سكانها.

وعندما يستأثر الطاغية بأموال الشعب ومقدرات الدولة لنفسه وحاشيته من الملأ والأتباع، فإنه يحرك الجماهير المخدوعة نحوه ويقودها حيث شاء ؛ لأن بريق الزينة ولمعان الثروة يخترق القلوب الضعيفة ويأسرها، بحيث تصبح ألعوبة في يدي الطاغية يتحكم فيها ويمسك بزمامها دون منازع، وفي مثل هذه الأجواء"يبرز فرعون في جاهه وسلطانه، وفي زخرفه وزينته، يخلب عقول الجماهير الساذجة بمنطق سطحي، ولكنه يروج بين الجماهير المستعبدة في عهود الطغيان، المخدوعة بالأبهة والبريق: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[2] إن ملك مصر وهذه الأنهار التي تجري من تحت فرعون، أمر قريب مشهود

---

[1] انظر: الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، (54/1).

[2] الزخرف: 51-53.

للجماهير، يبهرها وتستخفها الإشارة إليه. فأما ملك السماوات والأرض وما بينهما- ومصر لا تساوي هباءة فيه- فهو أمر يحتاج إلى قلوب مؤمنة تحسه، وتعقد الموازنة بينه وبين ملك مصر الصغير الزهيد! والجماهير المستعبدة المستغفلة يغريها البريق الخادع القريب من عيونها ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد! ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب ويستغفلها بالبريق القريب!"[1].

وهكذا يصنع الطغاة بأملاك الناس ومقدراتهم بعد أن يضعوا أيديهم عليها زوراً وبهتاناً، ويتصرفون بها دون حسيب ولا رقيب، ويجعلون منها سياطاً يذلون من خلاله الجماهير، لذلك "كفر فرعون بهذه النعم، وجعل منها سياط عذاب يأخذ بها الناس، ويوردهم موارد الذلة والهوان، فكان أن قتله الله وآله، بتلك النعمة، وجعلها تجرى فى حلقه ملحا أجاجا، بعد أن كان يجرى ماء النيل فى هذا الحلق عذبا زلالا.. وهكذا يهلك بالماء، وقد كان يحيا على الماء وبالماء!"[2]

لذلك فإن موسى عليه السلام لما رأى استئثار فرعون وملئه بكل هذه الأموال والزينة، وأنهم يستغلونها في إضلال الناس وغوايتهم، وفي تلبية شهواتهم وإشباع رغباتهم، دعا الله تعالى أن يطمس على أموالهم، وأن يشدد على قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[3]، أي "ربّنا آتيت فرعون وأشراف قومه من الدنيا والنعمة ما أبطرهم، وهو الزينة الشاملة من حلي ولباس وأثاث ورياش وأموال كثيرة ومتاع الدنيا ونحوها من الزروع والأنعام، وأدى التّرف والنعيم بهم أن تكون عاقبة أمرهم إضلال عبادك عن الدين، والطغيان في الأرض، والإسراف في الأمور كلها"[4].

وهذا ما يفعله الطغاة في كل زمان ومكان، من وضع أيديهم وبسط نفوذهم على الممتلكات العامة للدولة، والاستئثار بها واحتكارها لأنفسهم، وحرمان بقية الشعب منها، فالناظر

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (3193/5).

[2] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (641/5).

[3] يونس:88.

[4] الزحيلي، **التفسير الوسيط**، (1003/2).

في أحوال القادة في زماننا هذا يشاهد كيف يتصرف هؤلاء الطغاة من الحكام والقادة في أموال الأمة وممتلكاتها العامة، فمن بناء القصور و تشييد الأبراج وشراء الأراضي الواسعة والسيارات الفارهة، وتنظيم الحفلات الهابطة، وتسيير الرحلات إلى المنتجعات الفاسدة، وتقديم الهدايا والرشاوى بمبالغ عالية، إلى غير ذلك من صور الفساد والتحكم بأموال العامة، يدرك خطورة الحالة التي وصلت إليها الأمة، ومدى اعتداء هؤلاء الطغاة على المال العام وممتلكات الأمة، ونسي هؤلاء الطغاة تحذير النبي عليه الصلاة والسلام لمن يسيء التصرف والتعامل مع الأموال العامة، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتي به يوم القيامة»، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقبل عني عملك، قال: «وما لك؟"قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال: «وأنا أقوله الآن، من استعملناه منكم على عمل، فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى»[1].

وينسى هؤلاء الطغاة المتكبرون أنّ هذه الأموال والممتلكات مهما بلغت ومهما عظمت، لن تنفعهم من الله شيئاً، ولن تمنحهم حياة زائدة عن غيرهم من الناس، ولن تحميهم من العذاب ولو قليلا، وإنما هو الأجل المقدور في اللوح المحفوظ لا يتقدم ولا يتأخر، وكم "من أبي جهل في تاريخ الدعوات يعتز بعشيرته وبقوته وبسلطانه ويحسبها شيئا وينسى الله وأخذه. حتى يأخذه أهون من بعوضة، وأحقر من ذبابة.. إنما هو الأجل الموعود لا يستقدم لحظة ولا يستأخر"[2].

عاشراً: تفتيت الأمة إلى أحزاب متصارعة

يحرص الطغاة دوماً على جعل الناس أحزاباً وشيعاً موزعين على عدة مجموعات ومسميات، إنطلاقاً من سياسة فرق تسد، لكي يتسنى للطاغية أن يستعمل كل جماعة فيما يحقق هدفه ومبتغاه في أي وقت من الأوقات، فإذا أرادت إحدى هذه الجماعات أن تخالف رأيه وتخرج عن هواه وتعارض مسعاه، وتغادر عباءة مملكته، فإنه سرعان ما يلجأ إلى الجماعات الأخرى فيحركها من أجل مساندته وحشد الدعم والتأييد له، وللوقوف في وجه الجماعة المخالفة التي خرجت عن طوعه ورفضت تلبية مبتغاه، وذلك لأنه من "مصلحته أن يزرع الخلاف بين هذه

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، حديث رقم: 1833، (1465/3).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (3773/6).

الطوائف ويشغل بعضها ببعض، فلا تستقر بينهم الأمور، ولا يتفرغون للتفكير فيما يقلقه ويهزّ عرشه من تحته، فيظل هو مطلوباً من الجميع"[1].

لذا يعمد الطغاة في سائر المجتمعات إلى تمزيق وحدة المجتمع، وتوتير العلاقة بين أفراده، وجعلهم جماعات مختلفة متناثرة، لا اتحاد بينها ولا اتفاق ولا انسجام، وهذا ما عبرت عنه الكلمات الثلاث في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[2]، فكل كلمة منها "تنبئ عن قصد الفرقة والانقسام بعد الوحدة والالتئام، فكلمة (جعل) هي بمعنى صيَّرَ، وهي تدل على أنهم كانوا متحدين في المشاعر والأحاسيس، متفقين في المنازع والمطامح والآمال، فجعلهم متفرقين منتشرين في غير اجتماع، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى، والكلمة الثانية (أهلها) فهم كانوا قبلها أهلًا، أي: إنهم كانوا مجتمعين غير منقسمين، فلكي يعلو عليهم أجمعين فرَّق جمعهم وشتَّت شملهم، فكيف يعلو إنسان مهما يكن طاغوته ومهما تكن قوته وغلظته وحيلته على قوم متحدين مجتمعين، ولكنه يخذل بينهم، ثم يملك عليهم. والكلمة الثالثة كلمة (شيعًا)، فإنَّ الشياع يتضمَّن معنى الانتشار، وأن يقوى جزء على الآخر، يحسب كل جزء منهم أنه أقوى من الآخر، وأنه لا تربطه به رابطة، ولا يجمعهم به قومية أو رحم، أو تشابك المصالح، ودفع المضار، فإذا كانوا كذلك استعلى واستكبر، ولا يجد من يرده عن غيه، ويقمعه في شره، فيكون الهلاك، وتقطع الأسباب. وإن النتيجة التي تكون أثرًا لذلك أن يجعل من طائفة منهم بطانة له، وجندًا يستنصر بهم ويتخذهم أسواطًا يضرب بها غيرهم، ويتحكم في جمعهم"[3].

وهذا ما لجأ إليه فرعون لعنه الله تعالى عندما مزق شمل قومه، وجعلهم فرقاً وشيعاً، يستضعف طائفة منهم ويقوي طائفة أخرى، لكي يسهل عليه قيادتهم والتحكم في شؤونهم وأحوالهم، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[4]، أي"وفرقهم فرقا مختلفة، وأحزابا متعددة، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر ولا يجمعوا على رأى، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هى سياسة

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (6816/1).

[2] القصص:4.

[3] أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ)، **المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي، دون معلومات نشر، (108/1).

[4] القصص:4.

الدول الكبرى في العصر الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه «فرّق تسد"وطالما أجدى عليهم في سياسة تلك البلاد، التي يعمّها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور. ويرضون بالنّفاية والقشور"[1].

وجَعْل الأمة منقسمة إلى أحزاب وجماعات ليس بالأمر الهين الذي يعود عليها بالخير، بل فيه ضياع لوحدتها، وذهاب لقوتها، وتمزيق لرابطتها؛ لأن جعل الأمة على هذه الحالة يعدّ أحياناً عقوبة من الله تعالى، فليس من الغريب أن تجد الأمة مشتتة الجمع متفرقة الكلمة عقوبة من الله تعالى، إذا حادت الأمة عن دينها، وارتدت عن سنة نبيه، وتخلت عن حمل الأمانة التي كلفت بها، وهذا ما حلّ ببني إسرائيل، عندما حادوا عن منهجه وخالفوا أمره، فأنزل الله عليهم سخطه وعذابه، وكان من ذلك العذاب أن ألبسهم الله شيعا، قال تعالى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[2]، أي"أن كل جماعة منكم تتفرق ويكون لكل منهم أمير، وتختلط الأمور بين الاختلافات المذهبية التي تختفي وراء الأهواء، وبذلك يذيق الله الناس بأس بعضهم بعضاً "[3].

وما زالت البشرية إلى يومنا هذا تعاني من سياسة الطغاة المتمثلة بسياسة فرق تسد، التي تصيّر الأمم إلى فرق مختلفة تتناقض فيما بينها، وينقضي جلّ وقتها في مقاتلة بعضها لبعض، ومن ثمَّ ذهاب قوتها، وإضاعة إمكانياتها، وانشغالهم بالتافه من الأمور. وقد دفعت الأمة دم أبنائها، وضياع وحدتها، وتشتيت شملها، نتيجة هذه السياسة القاتلة التي بدأها الطواغيت من أعداء الأمة، ثم سرعان ما التقطها طواغيت أمتنا ليسهل عليهم قيادة شعوبهم دون أية معارضة أو احتجاج، فراحوا يشجعون على إثارة النعرات الدينية والحزبية والعشائرية والطائفية بين أبناء الأمة، من أجل أن تهوي شعوب الأمة في مستنقع من الظلام الدامس، والعداوات القاتلة، والمواجهات الدامية، والبغضاء المقيتة، ومن ثم يضمن الطاغية انشغال الأمة عن المطالبة بتحصيل حقوقها والاهتمام بقضاياها الكبيرة، وهذا ما يؤكده واقع أمتنا المعاصر وللأسف!!!

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي**، (20/32-33).

[2] الأنعام:65.

[3] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (1/2574).

المبحث الثاني

طغيان قوم نوح

أشار القرآن الكريم إلى وجود الطغيان لدى جميع الأمم التي أرسلت إليها الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، فكان قوم نوح عليه السلام احدى تلك الأمم التي شاع وانتشر فيها وجود الطغيان، والذي تميز بعدة سمات جعلته بيّناً وواضحاً للعيان، يذكر الباحث بعضاً منها وهي على النحو الآتي:

أولاً: الظلم

أثبت القرآن الكريم في عدة مواضع منه صفة الظلم لقوم نوح عليه الصلاة والسلام، وبين أنهم كانوا أكثر ظلماً من غيرهم من الأقوام الأخرى، قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾[2]، أي "أنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلما لأنفسهم، وأعظم كفرا بربهم، وأشدّ طغيانا وتمرّدا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم"[3]، فقوم نوح كانوا كثيري الظلم والطغيان، وذلك لأن الظلم من مخرجات الطغيان، فالطاغية ظالم لنفسه من جهة حرمانها من الهداية والإيمان، وظالم لغيره من جهة اضطهاده واستضعافه وقهره لهم، فهم قد " ضلوا أنفسهم ضلالا كثيرا، لا يرجى لهم معه رجعة إلى الله..أو أنهم أضلوا كثيرا غيرهم، واستمالوهم إلى موقفهم الضال، ليكون لهم منهم قوة، ودولة"[4].

وهذا الفعل يمثل عين الظلم وجوهره، لذا كثرت النصوص القرآنية التي تحرم الظلم وتحذر من عواقبه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]، فالظلم نتائجه مهلكة، ونهاياته عسيرة ومؤلمة، ولا يترتب على وقوعه إلا الفرقة والخلاف بين الناس، وما ساد الظلم في قوم من الأقوام، إلا حلت بهم الويلات، وغشيتهم المصائب والنكبات،

---

[1] النحل:36.

[2] النجم:52.

[3] الطبري:**جامع البيان**، (553/22). انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (68/27). الزحيلي، **تفسير المنير**، (132/27).

[4] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (1203/15).

[5] الطور: 47.

وانتشرت بينهم الخصومات، وتفككت الأواصر والعلاقات، وبلغت النفوس مكانة لا يرجى معها الإيمان، ولا يؤمل فيها الهداية والرشاد، لذا توجه نوح عليه السلام إلى ربه بالدعاء، بأن يزيد قومه ضلالاً فوق ضلالهم نتيجة ظلمهم وبغيهم، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[1]، أي: ولا تزد هؤلاء الظالمين لكفرهم بآياتك إلا ضلالاً، وخذلاناً واستدراجاً، وطبعاً على قلوبهم حتى لا يدركوا الحق، ولا يصيبوا الرشد، وكان هذا الدعاء منه عليه السلام عندما يئس من إيمانهم، بعد أن أخبره الحق سبحانه وتعالى بأنه لن يؤمن من قزمه إلا من قد آمن [2]. فنظراً لطول المدة التي قضاها بينهم يدعوهم من خلالها إلى الإيمان بالله تعالى، والتي لم يستجب له من خلالها إلا القليل، جاء هذا "الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويلا، وعانى كثيرا، وانتهى- بعد كل وسيلة- إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة"[3].

وبهذا يتبين لنا مستوى درجة الظلم التي بلغها طغاة قوم نوح عليه السلام، وهو الظلم نفسه الذي تعانيه البشرية في أيامنا هذه، والذي يكابد آلامه الكثير من الناس، نتيجة ما يقوم به طغاة هذا العصر.

ثانياً: الاستكبار

بلغ قوم نوح مبلغاً عظيماً في العتو والاستكبار عندما دعاهم نبيهم عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد والإيمان، فقابلوه بموقف لئيم ينمّ عن مدى استكبارهم، علاوةً على كشف زيف قلوبهم التي ملأها الكفر والنكران، كما وأماط اللثام عن وجوههم المظلمة بسبب جحودهم للحق وسوء وجهتهم نحو الباطل، حيث استحبوا العمى والضلالة على الإبصار والهداية، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[4]، فأوضح نوح عليه الصلاة والسلام أنه كلما دع اهم للإقرار بوحدانية الله وعبادته

---

[1] نوح:24.

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (640/23). الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، (1137/1). القاسمي، **محاسن التأويل**، (326/9). الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (264/30).

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (3716/6).

[4] نوح:7.

وطاعته وترك عبادة ما سواه، واتباع الحق الذي جاء من عنده والانقياد له، تجدهم سرعان ما وضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا كلامه، وجعلوا ثيابهم على رؤوسهم حتى لا يروه، واستمروا في ضلالهم وعصيانهم، مظهرين إصراراً كبيراً على تمسكهم بكفرهم، واستكباراً عظيماً عن قبول واتباع الحق[1].

وما كان إعراض هؤلاء القوم عن قبول الإيمان والاستجابة لنداء الفطرة إلا بسبب استكبارهم وإصرارهم اللامتناهي على هذا الاستكبار، وما ذلك ببعيد عن طبائع الطغاة وسلوكهم، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]، فالآية تبين مدى استكبارهم، وتكشف درجة عنادهم، في أن يؤمنوا بربهم ويصدقوا دعوة نبيهم عليه السلام، لذا تكرر لفظ الاستكبار في الآية الكريمة: ﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[3]، وهذا الاستكبار ولا شك، فيه"مبالغة في عدم السمع وعدم الاستماع وعدم التنبه لما يقوله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، مع أن الأصل أن الإنسان لا يدخل أصبعه كاملاً في أذنه، وإنما يدخل الأنملة وهي طرف الأصبع، ولكن هذا على وجه المبالغة في عدم تقبلهم سماع دعوة نوح عليه السلام، وإضافة إلى عدم سماعهم للحق كانوا إذا رأوا نوحاً عليه السلام وضعوا ثيابهم على وجوههم؛ حتى لا ينظروا إليه... فإذا بهم لا يسمعون ولا يعقلون ولا يتنبهون لما يقوله نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام" [4]. ونتيجة المبالغة في استكبارهم فقد ظلوا على ما هم عليه من الكفر والعناد بإصرار قوي والتزام شديد، حتى صار إصرارهم حقيقة عرفية في الملازمة، والانغماس في الأمر.

وعليه فإن الله تعالى توعد المستكبرين في الأرض بالعذاب الهون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

---

[1] انظر: السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ، (ت:489هـ)، **تفسير السمعاني(تفسير القرآن)** ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض، (د.ط)، 1418هـ، (303/5). البغوي، **معالم التنزيل**، (420/7). المراغي، **تفسير المراغي**، (68/27-69).

[2] الجاثية:7-8.

[3] نوح:7.

[4] مجمع البحوث الإسلامية، مجموعة من العلماء، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالأزهر، (ط1/1393هـ)، (1595/10).

عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[1]، ولا غرابة أن يعدّ استكبار قوم نوح عليه السلام دأب الطغاة في الأرض، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندما تحدث عن استكبار إبليس عليه لعنة الله تعالى، عندما تجاوز حدّه ورفض الخضوع لأمر الله تعالى له بالسجود، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وما قصّه القرآن علينا أيضاً من استكبار فرعون لعنه الله، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾[3].

فما من طاغية في الأرض إلا استكبر عن قبول دعوة الحق، ورفض الإيمان والتسليم بعبادة الله وحده، وذلك لأن الإقرار بالإيمان، والانقياد لأمر الله، والتمسك بالعروة الوثقى، لا يلتقيان والطغيان معاً في نفس واحدة، قال تعالى:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[4]، فالنفس حتى تكون مؤمنةً لا بدّ لها بداية من الكفر بالطاغوت الذي هو"صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله. فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا.. وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها"[5].

---

[1] الأحقاف:20.

[2] البقرة:34.

[3] القصص:39.

[4] البقرة:256.

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (271/1).

ثالثاً: المكر السيء

يستند نهج الطغاة على مدار التاريخ على المكر السيء، والتخطيط الخبيث، لمواجهة رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى، وهذا ما كان عليه طغاة قوم نوح عليه السلام الذين وصف الحق سبحانه وتعالى مكرهم بأنه مكراً كبّارا، قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾[1]، فكان مكرهم عظيماً متناهياً في الكبر، وكان يقوم على هذا المكر الرؤساء والقادة من قوم نوح عليه السلام، بهدف احتيالهم في الدين، وإبطال الدعوة، وسدّ منافذها إلى قلوب الناس، وتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي عانى منها القوم وشقوا بسببها، إضافة إلى ذلك فقد بلغ مكرهم الكيد بنوح عليه السلام، إلى أن وصل الأمر بهم إلى دفع السفلة وحثهم على أذاه، ومنع الناس عن الإيمان به وتصديق دعوته، كما اشتمل مكرهم حضّ الناس على التشبث بالأصنام التي كانوا يعتبرونها آلهة لهم، يقصدونها بالعبادة والدعاء، فاحتالوا في إضلال الناس بكل طريقة ممكنة، بهدف إمالتهم إلى الشرك والضلال[2].

وقد كان من نتائج هذا المكر العظيم الإفساد في الأرض، من خلال كفرهم ورفضهم الإذعان للإيمان، وتكذيبهم برسولهم عليه الصلاة والسلام [3]. وقد وصف الله تعالى مكرهم بأنه "من كبره وعظمه يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد إزالتها في ثباتها" [4]، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾[5]، فقد بلغ مكرهم "من القوة والتأثير حتى ليؤدي إلى زوال الجبال، أثقل شيء وأصلب شيء، وأبعد شيء عن تصور التحرك والزوال"[6].

---

[1] نوح:22.

[2] انظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، (346/4). ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، (566/4). قطب، **في ظلال القرآن**، (3716/6).

[3] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،(1137/1).

[4] أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت: 665هـ)، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ن)، (553/1).

[5] إبراهيم:46.

[6] قطب، **في ظلال القرآن**، (414/4).

ويعدّ مكر هؤلاء القوم شيمة الطغاة قديماً وحديثاً، بحيث يمتنع وجود طاغية دون أن يكون له من ال مكر نصيب بليغ، وهذه سنة جارية في جميع القرى والأقوام، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1]، أي"إنها سنة جارية أن ينتدب في كل قرية – وهي المدينة الكبيرة والعاصمة – نفر من أكابر المجرمين فيها، يقفون موقف العداء من دين الله. ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السلطان الذي يستطيلون به على الناس، ومن الربوبية التي يتعبدون بها الناس، ومن الحاكمية التي يستذلون بها الرقاب، ويرد هذا كله إلى الله وحده.. رب الناس.. ملك الناس.. إله الناس. إنها سنة من أصل الفطرة.. أن يرسل الله رسله بالحق.. بهذا الحق الذي يجرد مدعي الألوهية من الألوهية والربوبية والحاكمية. فيجهر هؤلاء بالعداوة لدين الله ورسل الله. ثم يمكرون مكرهم في القرى، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. ويتعاونون مع شياطين الجن في المعركة مع الحق والهدى، وفي نشر الباطل والضلال، واستخفاف الناس بهذا الكيد الظاهر والخافي.. إنها سنة جارية. ومعركة محتومة. لأنها تقوم على أساس التناقض الكامل بين القاعدة الأولى في دين الله – وهي رد الحاكمية كلها لله – وبين أطماع المجرمين في القرى. بل بين وجودهم أصلا.. معركة لا مفر للنبي أن يخوضها، فهولا يملك أن يتقيها، ولا مفر للمؤمنين بالنبي أن يخوضوها وأن يمضوا إلى النهاية فيها.. والله سبحانه يطمئن أولياءه.. إن كيد أكابر المجرمين – مهما ضخم واستطال – لا يحيق إلا بهم في نهاية المطاف. إن المؤمنين لا يخوضون المعركة وحدهم فالله وليهم فيها، وهو حسبهم، وهو يرد على الكائدين كيدهم... فليطمئن المؤمنون!"[2].

وإزاء هذا المكر الذي يركن إليه الطغاة كل حين، يُطَمْئِنُ الحق سبحانه وتعالى أولياءه بأن المكر مهما بلغ حجمه، وزاد من تأثيره، فإنه لن يضرهم شيئاً، ولن يجلب عليهم سوءاً، إلا إذا أراد الله تعالى ذلك بهم، لأن المكر جميعاً كله لله، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾[3]، أي "فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا

---

[1] الأنعام:123.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (140/3).

[3] هود:42.

إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه"[1].

رابعاً: السخرية والاستهزاء

بيّن الله تعالى ما تعرض له نبيه نوح عليه الصلاة والسلام من قبل طغاة قومه من سخرية واستهزاء، فبعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم فيها إلى الإيمان بالله تعالى رفضوا دعوته ولم يؤمن معه إلا فئة قليلة من قومه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2]، فأمره الحق سبحانه وتعالى إزاء كفرهم، وإصرارهم على التكذيب والعناد، أن لا يحزن ولا يبتئس من موقفهم الرافض للإيمان، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[3]، أي "لا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، لا على نفسك فما هم بضاريك بشيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم. دع أمرهم فقد انتهى"[4]، وطالبه القيام بصنع سفينة النجاة، لينجوَ ومن معه من المؤمنين من خلال ركوبها، فسارع إلى تلبية نداء ربه الذي قوبل بالسخرية والاستهزاء من قبل قومه، قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[5]، فيتضح من الآية أن "التعبير بالمضارع، فعل الحاضر.. هو الذي يعطي المشهد حيويته وجدته. فنحن نراه ماثلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير ، يصنع الفلك. ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون. يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم: إنه رسول ويدعوهم، ويجادلهم فيطيل جدالهم ثم إذا هو ينقلب نجاراً يصنع مركباً..إنهم يسخرون ؛ لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر. شأنهم دائماً في إدراك الظواهر والعجز عن إدراك ما وراءها من حكمة وتقدير. فأما نوح فهو واثق عارف وهو يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (499/16).

[2] هود:40.

[3] هود:36.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (1876/4).

[5] هود:38.

أنه يبادلهم سخرية بسخرية... نسخر منكم لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير... يوم ينكشف المستور، عن المحذور! "[1].

وفي مقابل نداء الإيمان الذي خاطبهم به نبيهم عليه السلام، واجهوه بمزيد من السخرية والاستهزاء؛ لأن نهج الطغاة المكذبين يقوم دوماً على هذا السلوك، فما من نبي ولا رسول بعثه الله تعالى إلا قوبل بالاستهزاء من قبل قومه، قال تعالى مخاطباً نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾[2].

وليس ببعيد عن هذا السلوك استهزاء وسخرية فرعون _عليه لعنة الله تعالى_ من نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾[3]، أي "قال فرعون – على سبيل السخرية بموسى – مخاطبا أشراف قومه: إن رسولكم الذى أرسل إليكم بما سمعتم { لَمَجْنُونٌ } لأنه يتكلم بكلام لا تقبله عقولنا، ولا تصدقه آذاننا وسماه رسولا على سبيل الاستهزاء، وجعل رسالته إليهم لا إليه، لأنه – فى زعم نفسه – أكبر من أن يرسل إليه رسول، ولكى يهيجهم حتى ينكروا على موسى قوله"[4].

ويظهر من خلال القرآن الكريم أن الذين كانوا يسخرون من نوح عليه السلام وما كان يقوم به من صناعة الفلك هم أشراف قومه، قال تعالى: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾[5]، فكلما شاهدوه يصنع السفينة من خلال تقطيع الخشب ونجره وتركيبه، واجهوه بالسخرية والاستهزاء؛ لأنهم ما عدّوه إلا داعية إلى الله تعالى، فكيف يقوم بهذا الفعل المستهجن والمستغرب من وجهة نظرهم[6].

ولا غرابة في موقف هؤلاء الأشراف الطغاة من السخرية من نوح عليه السلام، فهذا سلاح قديم جديد، يشهره الطغاة دوماً في وجوه المصلحين الموحدين، وهو شهادة على صوابية

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** ، (1877/4). وانظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (14/12). الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (1139/6). الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (3506/6).

[2] الرعد:32.

[3] الشعراء:27.

[4] طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (3156/1).

[5] هود: 38.

[6] انظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، (543/2). مجمع البحوث، مجموعة من العلماء، **التفسير الوسيط**، (192/4).

طريق الدعاة ومنهجهم في الحياة، فإذا هم لم يواجهوا بمثل هذه السخرية والاستهزاء فاعلم أنهم قد ضلوا الطريق[1].

وفي مقابل هذا السلوك السيء الذي يواجهه أصحاب الحق دوماً على طريق الدعوة إلى الله تعالى، يبشرهم ربهم سبحانه وتعالى بأن مصير أصحاب هذا السلوك هو البوار والهلاك، قال تعالى: ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]، أي"فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم... العذابُ الذي كانوا يهز أون به، وينكرون أن يكون واقعًا بهم على ما أنذرتهم رسلهم"[3].

خامساً: الكفر

وصف الله تعالى قوم نوح عليه الصلاة والسلام بأنهم كانوا من الكافرين، وذلك عندما كذّبوا بما جاءهم به نبيهم من آيات بينات، تدل على صدق دعوته، وتثبت حقيقة قوله الداعي إلى الإيمان بالله تعالى والكفر بما سواه من الآلهة والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وقد بيّن سيد قطب أن السبب في كفر قوم نوح عليه السلام وتكذيبهم له، هو نظرتهم الخاطئة لما دعاهم إليه، وفهمهم العقيم لكلمة التوحيد، وأن "كبراء قومه من الكفار لا يناقشون هذه الكلمة ولا يتدبرون شواهدها، ولا يستطيعون التخلص من النظرة الضيقة المتعلقة بأشخاصهم وبشخص الرجل الذي يدعوهم، ولا يرتفعون إلى الأفق الطليق الذي ينظرون منه إلى تلك الحقيقة الضخمة مجردة عن الأشخاص والذوات.. فإذا هم يتركون الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الوجود، ويشهد بها كل ما في الوجود، ليتحدثوا عن شخص نوح: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾[4]، من هذه الزاوية الضيقة الصغيرة نظر القوم إلى تلك الدعوة الكبيرة، فما كانوا إذن ليدركوا طبيعتها ولا ليروا حقيقتها وذواتهم الصغيرة الضئيلة تحجب عنهم جوهرها، وتعمي عليهم عنصرها، وتقف حائلا بين قلوبهم وبينها فإذا القضية كلها

---

[1] انظر: أسامة، علي محمد سليمان، **تفسير القرآن الكريم** ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، (2/11).

[2] الأنبياء:41.

[3] الطبري، **جامع البيان**، (272/11).

[4] المؤمنون:24.

في نظرهم قضية رجل منهم لا يفترق في شيء عنهم، يريد أن يتفضل عليهم، وأن يجعل لنفسه منزلة فوق منزلتهم! وهم في اندفاعهم الصغير لرد نوح عن المنزلة التي يتوهمون أنه يعمل لها، ويتوسل إليها بدعوى الرسالة"[1].

وقد ذكر أبو زهرة في تفسيره أن السبب في عدم استجابتهم لدعوة نبيهم عليه السلام، ورفضهم لكلامه الداعي إلى توحيد الله تعالى هو "كفرهم وليس ثمة باعث حقيقي مما تضمنه قولهم، إنما الباعث هو الكفر الذي سبق إليهم ابتداء، وكان ذلك القول مظهره وأول ما دل عليه، وهو استغرابهم أن يكون بشر منهم رسولا، وكذلك كان يقول مشركو مكة"[2].

وقد برز كفر هؤلاء القوم من خلال ما بدر عن كبرائهم وأشرافهم الذين تصدوا لنوح عليه السلام ورفضوا الإذعان لما جاءهم به، متذرعين ومتسلحين بادعاء واهم ليس له صلة بالحقيقة، فقال رؤساء القوم من العريقين بالكفر ومن ذوي الكلمة المسموعة: ما نوح إلا رجل من بيننا، ليس له ميزة تجعله أهلا للتكليف وتلقي الوحي من ربه، فكيف يكون سفيراً بين الله تعالى وبين الناس؟! وذلك لأنه بشر مثلنا، وليس لبشرٍ_ كما قدروا ضلالاً وجهلاً_ مثلهم أن يكون مرسلاً من الله تعالى، وزعموا أنه ما جاءهم بهذا الادعاء إلا ليكون له الصولة والسلطان عليهم، وقد ادعى النبوة لينال ما تصبو إليه نفسه وليس من حقيقتها شيء، وكان يفترض فيهم أن ينظروا ويتدبروا أولاً في حقيقة ما دعاهم إليه نبيهم عليه السلام قبل أن ينظروا إلى وجهه ويردوا دعوته قبل معرفة ما فيها من خير ورشاد[3]، وقد جاء دمغهم بكلمة الكفر في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾[4]، ليؤكد على أنهم لم يكونوا مؤمنين، وأن "وصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر، لا لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة "[5]، فبات واضحاً للعيان أن هؤلاء القوم كانوا كافرين، حتى أن نبيهم نوح عليه السلام عندما خاطب ابنه للحاق به، والركوب معه في سفينة النجاة، علل له ذلك حتى لا يكون مع الكافرين، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (2464/4).

[2] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (3699/7).

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان**، (295/15). المراغي، **تفسير المراغي**، (17/18). الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (1130/6). أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير**، (512/3).

[4] المؤمنون:24.

[5] البروسوي، **روح البيان**، (70/4).

ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1]. فَقَدْ "كانت سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا، وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضاً أن يكون جاءهم رسول"[2].

فالكفر والضلال من خصائص الطغاة، الذين طغواْ في الأرض، وبغواْ وعاثوا فيها الفساد.

[1] هود:42.

[2] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي، (ت: 774هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: د.عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية–مصر، (ط5/1417هـ)، (100/1).

المبحث الثالث

طغيان بني إسرائيل

تحدث القرآن الكريم عن طغيان بني إسرائيل، وذلك من خلال حديثه عن أخلاقهم السيئة، ونفوسهم المريضة، وطباعهم الدنيئة، وسلوكهم المعوج، والتي تدل بمجموعها على طغيانهم الثابت على مدار التاريخ _ زماناً ومكاناً _ والتي تبدو واضحة للجميع وضوح الشمس في رابعة النهار، فقد قال الحقّ سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾[1]، يذكر الباحث بعضاً منها وهي على النحو التالي:

أولاً: نقض العهود والمواثيق

بين القرآن الكريم أن من طباع اليهود _ قديماً وحديثاً _ نقضهم للعهود والمواثيق، وعدم الوفاء بها مطلقاً، بل واختلاق الأعذار بصورة دائمة للتحلل من الالتزام بها، قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، أي أن "نبذ العهود ونقض المواثيق، هو الطبيعة الغالبة على بني إسرائيل، لا فرق فى موقفهم هذا مع الناس، أو مع اللّه! ذلك لأنهم لا يؤمنون بالمبادىء والقيم، ولا يتقيدون بقيد الفضيلة والشرف، لما يغلب عليهم من أثرة قاتلة، وأنانية متحكمة، يستبيحون بها كل شىء، وينزلون بها عن كل شيء، من خلق أو دين"[3]. وهذا النقض للمواثيق متكرر ومتجدد من قبل اليهود، وهو ما أشارت إليه كلمة (كلما) الواردة في الآية، والتي "تدل على أن نقض العهد عملية متكررة عند يهود، فكل عهد يعقدونه يقومون بنقضه، مهما كان الطرف الآخر الذي عقدوه معه. لأن (كلما) حرف يفيد التكرار والاستمرار... والعجيب في الآية أنها تدلنا على خبث ومكر اليهود في نقض العهود، فعندما يعقدون عهداً لا يقومون جميعاً بنقضه وإنما ينقضه فريق منهم، والآخرون قد يتبرأون من هذا الفريق الناقض وقد يعلنون معارضتهم لفعله، مع أنهم هم الذين رتَّبوا الأدوار، وأوحَوا للناقض بذلك. إنه مكر يهودي حاقد واضح في تاريخ يهود"[4].

---

[1] المائدة:68.

[2] البقرة:100.

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (117/1-118).

[4] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، دار القلم-دمشق، (ط1/1407هـ)،(244/1).

كما أن نقض اليهود للعهود وتحللهم من المواثيق، ليس مقتصراً على علاقتهم بمن هم مثلهم من البشر، بل يتعداه إلى نقض عهودهم مع خالقهم جلَّ في علاه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]، فقد تضمن هذا الميثاق الذي أخذه الله عليهم أوامر عدة، ملخصها: أنه يتوجب عليكم يا بني إسرائيل_وكل من يعتبر بالذكرى_ أن تتذكروا العهد الذي أخذناه عليكم، وأمرناكم أن تعملوا بما جاء في هذا العهد، من عبادة الله تعالى، والاحسان إلى آبائكم، وتأدية ما أوجبه الله لهما من حقوق، وصلة الأقرباء، والعطف على اليتامى، وتفقد المساكين، ومد يد العون إليهم، كما وأمرناكم بأن تقولوا للناس قولاً ليناً حسناً، فيه من الصلاح والنفع والفائدة، وأمرناكم بالمحافظة على الصلاة، والإخلاص في تأدية واجب الزكاة، إلا أنكم لم تستجيبوا لهذا التكليف، ولم تعملوا بهذه الأوامر، بل نقضتموها وأعرضتم عنها، جرياً على عادة أسلافكم من قبل، ولم يعمل ويمتثل لهذا العهد إلا القليل منكم[2].

وكان يفترض ببني إسرائيل"أن ينتفعوا بهذه الأوامر الحكيمة، لكنهم عموا وصموا عنها، فوبخهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[3]. أي: ثم توليتم_ أيها اليهود_ عن جميع ما أخذ عليكم من مواثيق، فأشركتم بالله وعققتم الوالدين، وأسأتم إلى الأقارب واليتامى والمساكين، وقلتم للناس أفحش الأقوال، وتركتم الصلاة، ومنعتم الزكاة، وقطعتم ما أمر الله به أن يوصل"[4].

ولما أخذ الله عليهم الميثاق بأن لا يسفكوا دماءهم، وأن لا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ

---

[1] البقرة:83.

[2] انظر: طنطاوي، محمد سيد، (ت: 1431ه)، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة** ، دار الشروق-مصر، (ط2/1420هـ)، (394/1).

[3] البقرة:83.

[4] طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، (396/1).

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[1]، انظر ماذا صنعوا بهذا الميثاق، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[2]، فلم يوف القوم بهذا الميثاق على عادتهم، بل نقضوه وخالفوه دون تردد ولا حياء، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[3]، فالآية تكشف عادة القوم في الإعراض بعد أن تأصلت هذه العادة في نفوسهم، حتى كأنها سجية ملازمة لهم [4]. هذا وقد توعد الله اليهود باللعنة وقسوة القلب بسبب نقضهم للعهود، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[5]. "وما يشاهده العالم اليوم من مواقف وأفعال تقوم بها اسرائيل الغاصبة، يوضح بصراحة أنها لا تقيم أي وزن للمعاهدات والقرارات الدولية، بل تأخذها على محمل السخرية والاستهزاء، وهي تنقضها علناً دون الشعور بأدنى خجل، لا بل تفتخر بذلك، كل ذلك ليس سوى تلك الروحية الخبيثة المليئة بالخيانة والاعتداء على الغير، ونقض العهود التي ورثوها من أسلافهم اليهود، وبذلك صارت هذه الصفات جزءاً من طبيعتهم البشرية والوراثية"[6].

فكم من اتفاقية في عصرنا الحالي صاغتها عقول يهود بكل مكر ودهاء، ثم فرضوها على الفلسطينيين ودول الجوار، ثم سرعان ما تنكروا لها وتراجعوا عنها، وساقوا لأجل نقضها كل المبررات؛ فداستها دباباتهم، وقذفتها طائراتهم، وأتت عليها قنابلهم، فلم تبق منها أي أثر يذكر.

---

[1] البقرة:84.

[2] البقرة:85.

[3] البقرة:83.

[4] طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، (397/1).

[5] المائدة:13.

[6] جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد، **سيمات اليهود في القرآن الكريم**، ترجمة الأستاذ أحمد عودة، (ط1/1432هـ)، (88/1-89).

ثانياً: الإفساد

يعدّ الإفساد أحد أبرز سمات اليهود على مدار التاريخ، فهم قد أفسدوا في الأرض كلها، وما زال هذا ديدنهم على الإطلاق، ولا توجد أمة من الأمم بلغت من الفساد ما بلغه اليهود، وقد أكد القرآن الكريم على استمرار سعيهم في هذا الفساد، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا ﴾[1]، فهم يعملون بجدٍ ونشاطٍ ليل نهار في جميع نواحي الأرض، لا بهدف الإصلاح والتعمير، وإنما يهدفون من وراء ذلك إلى الإفساد؛ من خلال إكثارهم من المعاصي، وزيادة في القتل ونهب الأموال والاعتداء على أصحابها، وإخافة المؤمنين وقطع طرقهم، وكلما مُكن لهم في الأرض زاد فسادهم، وكلما علواْ أفسدوا ولم يصلحوا، حتى إذا بلغوا في الطغيان والبغي مبلغهم، أرسل الله تعالى عليهم العقاب الأليم جزاء فسادهم [2]. ويعلق الشيخ بسام جرار على هذا الفساد بقوله: "ويقع فسادهم نتيجة خروجهم عن الوظيفة التي جاءت بها التوراة، وهو ناتج عن علو واستكبار وطغيان، ويستمر فسادهم في الأرض من قبل أفرادهم وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة، قال تعالى:﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا ﴾[3]، بينما يقع فسادهم في الأرض المقدسة من قبل دولتهم، وهو الفساد المجتمعي، وهو الذي جاء ذكره في الآية الكريمة: قال تعالى: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ ﴾[4]"[5].

يمكن القول إن الفساد سمة بينة لمعظم تاريخ اليهود، وذلك لأن لدى اليهود "رغبة عميقة في الإفساد، وعندهم نهم بالغ للحروب التي تحقق هذا الإفساد، وعندهم حرص ومكر ودهاء وخبث في التخطيط لها وإشعالها وتهيئة وقودها... وهم الذين يسعون في الأرض، لكن لا يسعون فيها إصلاحاً وتعميراً وتزكية وتطهيراً؛ لأنهم لا يعرفون هذه المعاني، وإنما يسعون فيها

---

[1] المائدة:64.

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان** ، (257/10). أبو زهرة، **زهرة التفاسير** ، (2282/5). طنطاوي، **التفسير الوسيط** ، (131/4). الهرري، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (243/7).

[3] المائدة:64.

[4] الإسراء:4.

[5] جرار ، بسام ، محاضرة بعنوان: **نظرات في تفسير سورة الإسراء، ج 4**، https://www.youtube.com/watch?v=GYd2RsW9wBA

فساداً وتخريباً وتدميراً"[1]، فدمغهم بسمة الإفساد"علامة لا تخطئ أبداً في الدلالة عليهم.. فهم دائماً خلف الفساد والانهيار الأخلاقي وعقلية الحقد والبغضاء.. وهم الذين يكمنون وراء حملات التحريض على التهديم والفوضى ووراء الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والروحية التي تعصف بحياة الأمم"[2].

وفعلهم هذا شر كله، وفسادٌ بأكمله، لذا " لا بد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه؛ فالله لا يحب الفساد في الأرض ؛ وما لا يحبه الله لا بد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويعفي عليه"[3]، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾[4]، فكلما أرادوا محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام والكيد به، ومحاربة المؤمنين الصادقين، واتخذوا لذلك أسباب العدوان والمكيدة، خذلهم الله تعالى وخيب سعيهم، وزرع الرعب في قلوبهم، وأفسد عليهم خطتهم، ورد إليهم مكرهم، إما بعدم تحقيق ما أرادوا من الإ عراض والتحريض، وإما بتحقيق النصر للرسول عليه السلام ولفئة المؤمنين [5]. فإذا كان هذا حالهم ومبلغهم من الفساد، فإن الإنسانية ستدخل معركة قاسية وممتدة مع أعداء الله وأعدائها الطغاة العتاة من هؤلاء..لأنهم يتمتعون بحنكة وتجربة لا يجاريهما شيء، ويسيطرون على طاقات فكرية ومادية كبيرة.. فباستطاعتهم ارتداء أي قناع، والتسلل من خلاله إلى قلب أي شعب يريدون، تعجز عناصر الإصلاح والخير الكامنة فيه عن مواجهته والفرار منه[6].

ثالثاً: القتل والإجرام

يعدّ القتل والإجرام حالة متجذرة، ومرضاً مستعصياً، وآفةً متأصلةً في نفوس اليهود قديماً وحديثاً، فلا تخلو حقبة من حقب التاريخ إلا وقد ترك اليهود فيها بصمة سوداء في القتل والإجرام، ولم ينج من هذا العمل المدان أحد من الناس، سواء الأنبياء أو الموحدون أو المصلحون من الدعاة، حيث"توجد لدى اليهود جرأة عجيبة على الفتك بدعاة الحق، للخلاص من

---

[1] الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، (251/1-252).

[2] وليم كار، **اليهود..وراء كل جريمة**، دار الكتاب العربي-بيروت، (ط1402/2هـ)، (252/1).

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، (392/2).

[4] المائدة:64.

[5] انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (154/6). طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (219/4).

[6] انظر: وليم كار، **اليهود.. وراء كل جريمة**، (252/1).

معارضتهم لجرائمهم ووقفوهم في وجه أهوائهم، حتى ولو كان هؤلاء الدعاة من أنبيائهم، الذين يلتقون معهم في أكرم أعراقهم النسبية إلى يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام. وقد دمغهم القرآن الكريم بهذه الشنيعة من كبائرهم، فقال الله تعالى في سورة (المائدة): ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[1]،... وهكذا فإن اليهود لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم الإنسانية متى كان لهم هوى في ذلك، وتهيّأت لهم القدرة على التنفيذ" [2]. فصفة القتل متجذرة لدى اليهود وذلك لأنهم " أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، امتلأت قلوبهم بالحسد والحقد، يرتكبون المجازر تلو المجازر. .. فهم قتلةُ الأنبياء، وسفكة الدماء، كذبوا على الله، وحرفوا كتبه، وأكلوا السحت، ونقضوا المواثيق والعهود"[3].

لذا فإن تاريخ بني إسرائيل حافل بسلسلة أثيمة في قتل الأنبياء، والتي كان آخرها محاولتهم الفاشلة قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، وزعمهم أنهم قتلوه، متباهين بهذا الفعل الشنيع[4]، وقد توعدهم الله تعالى أشد العذاب على كفرهم به، وقتلهم لأنبيائه، وأهل الإصلاح من الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[5]، فهؤلاء اليهود "أشد الناس جرماً وأي جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ونصرهم ، وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضا الذين يأمرون الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا

---

[1] المائدة:70.

[2] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (ت: 1425هـ)، **مكايد يهودية عبر التاريخ**، دار القلم-بيروت، (ط2/1398هـ)، (29/1-30).

[3] مجموعة من المؤلفين، **مقالات موقع الدرر السنية**، dorar.net.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (537/1).

[5] آل عمران:21.

بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح "[1]، وما هذا العذاب الأليم والشدة في الوعيد لهؤلاء القتلة اليهود، إلا لأنه لا توجد جريمة ولا خطيئة "أشدّ وأعظم إفسادا في الأرض عند الله، من قتل الناس وسفك دمائهم بغير حق، فما بالك إذا كان القتل في أنبياء الله وأوليا ئ الصالحين، فهذا قمّة في الإجرام والإسراف والعصيان والتمرد والعدوان، ولا أظنّ أن هناك إفساداً في الأرض، يُقارن بهذا الإفساد، فلم يسبق لقوم من الأقوام السابقين واللاحقين، أن قتلوا أنبياءهم سوى بني إسرائيل، وما إفسادهم الحالي في دولتهم الحالية إلا صورة طبق الأصل عن الإفساد الأول في دولتهم الأولى"[2].

تتسم سيرة اليهود بالقتل والإجرام طيلة تاريخهم دون توقف وانقطاع، فمن قتلهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مروراً بمحاولة قتلهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وتواصل إجرامهم إلى يومنا الحاضر، وما زال سجلهم الأسود زاخر بقصص القتل وأحداث الإجرام، وهذا ما تؤكده الأحداث المتواصلة على مدار الساعة في فلسطين المحتلة، بحيث "كانت المذابح _ولا تزال_ الوسيلة الرئسية الأولى التي استخدمتها الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل لإرهاب الشعب الفلسطيني ووضعه بين خيارين: إما مواجهة الموت قتلاً وإبادةً، أو مغادرة الأرض والوطن. وبين هذين الخيارين تعرض الشعب الفلسطيني لسلسلة متواصلة الحلقات من المذابح التي طالت أيضاً بعض الدول العربية... وبخاصة لبنان"[3].

بات من الواضح والمؤكد لكل ذي لبّ، أن اليهود هم "أساتذة الإرهاب والإجرام والقتل، من منا لا يتذكر جرائمهم في دير ياسين، وجرائم عصاباتهم الصهيونية في القرى والبلدات الفلسطينية لتهجير أهلها. من منا لا يتذكر وهم يلقون بقنابل النابالم والقنابل العنقودية المحرمة دولياً. من منا لا يتذكر قتلهم للأسرى من إخوتنا المصريين الأبطال ودفنهم وهم أحياء. من منا لا يتذكر كيف دمروا بيروت العربية، ومدينة القنيطرة السورية الصامدة والشاهدة على همجية وإجرام هذا العدو الغاصب، وتدميرهم لمخيم جنين، وجريمتهم في قانا بلبنان، واغتيالهم لشيخ

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (126/1).

[2] خالد، عبد الواحد، **نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من ومتى وكيف**، دون معلومات نشر، (195/1).

[3] الكيلاني، هيثم، **الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل**، دار الشروق-القاهرة، (ط1/1417هـ)، (171/1).

المجاهدين والمقاومين أحمد ياسين رحمه الله، وغدرهم وقتلهم للشهيد عبد العزيز الرنتيسي، ولكبار الشخصيات الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة وخارجها"[1]، وما ذكر يعدّ سجلاً يسيراً في تاريخ طغيانهم وإجرامهم.

رابعاً: الحسد

ذكر الباحث في الفصل الثاني أن الحسد يعدّ أحد الأسباب الداخلية للطغيان، والباعثة عليه بشكل كبير، وهذا ما تجسد لدى اليهود الذين امتلأت نفوسهم بالحسد والحقد على المؤمنين، منذ البعثة النبوية وإلى يومنا الحالي، بصورة تبعث على الدهشة والاستغراب؛ فهم أهل كتاب وكان يفترض فيهم أن يكونوا على حالة مغايرة لما هم عليه، فبعد أن جاءتهم البينات، وشاهدوا الآيات الدالة على ما جاء في كتبهم من بعث محمد عليه الصلاة والسلام ليكون للعالمين رسولا، أبواْ ذلك ورفضوا التسليم لما نزل من الحق، بل وأعلنوا كفرهم بصريح العبارة وذلك بدوافع الحسد المنبعثة من نفوسهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]، أي أن "كفرهم هذا كان من أجل البغي الذي استولى على نفوسهم، والحسد الذي خالط قلوبهم، وكراهية لأن ينزل الله وحيه على محمد العربي ﷺ، فباءوا بسبب هذا الخلق الذميم، بغضب مترادف متكاثر من الله تعالى... جزاء كفرهم وحسدهم" [3]، وكان من الواجب عليهم التسليم بما أنزل الحق سبحانه وتعالى، إلا أن "خوفهم على زوال رياستهم وأموالهم، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبي المبعوث منهم لا من العرب، ملأ قلوبهم غيظاً وحسدا، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها، وحال بينها وبين أن يكون لها أي أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق"[4].

ويعدّ خلق الحسد الذي كان عليه اليهود أمرا مذموماً وقبيحاً، "وما يتولد منه من بغي، وعداوة، وبغضاء، وفساد لذات البين، أشد ذماً وأعظم جرماً وأسوأ مصيراً ، والحسد المقرون

---

[1] الشامي، زكريا جمعة، مقال بعنوان: **جرائم اليهود في الماضي والحاضر** ، http://www.alukah.net/culture/0/47037.

[2] البقرة: 89.

[3] طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، (441/1).

[4] المرجع السابق، (442/1).

بالبغي لا يصدر من فطرة سوية، ولا نفس أبية، ولكن مصدره ومرده إلى النفوس المريضة، والفطر المعوجة، والقلوب الحقودة الخاوية من نور الإيمان واليقين"[1].

ويصف سيد قطب هذا الحسد بأنه ذلك "الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، ومازالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال. وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان، وخصهم بهذا بأعظم الفضل وأجل النعمة التي تحسدهم عليها يهود!"[2].

وما زال هذا الحسد يسري ويتغلغل لدى كثير من اليهود، حتى بلغ منهم مبلغاً عظيماً، بحيث أصبحوا يتمنون معه الكفر للمسلمين، وردهم عن دينهم بسبب هذا الحسد والغيظ اللا محدود، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[3]، أي أنهم"يودون لو يرجع المسلمون كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق. وهم يحددون موقفهم النهائي من المسلمين بالإصرار على أن يكونوا يهوداً أو نصارى، ولا يرضون عنهم ولا يسالمونهم إلا أن يتحقق هذا الهدف، فيترك المسلمون عقيدتهم نهائياً" [4]، وهذا الودُّ يصفه الخالدي بأنه "عملية قلبية ورغبة داخلية، والودّ لا يكون إلا في القلب، والودّ لا يكون_ أصلاً عند الإنسان_ إلا في الأشياء الخيّرة النافعة الفاضلة، أما أن يتحول الودّ إلى نشر الكفر، وفتنة المسلمين، وردتهم عن دينهم، فإنه لا يكون إلا عند يهود الحاسدين"[5].

وبالتالي فإن تمكن داء الحسد من نفوس الطغاة تؤكده سيرتهم دوماً، وذلك لأن نفوسهم ليست بالنفوس السوية المنسجمة مع الفطرة التي خلقهم الله عليها، بل لديها من القابلية والرغبة الجامحة لأن تحمل في ثناياها كل نقيصة ووباء.

---

[1] الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الدين النصيحة 1-5**، دون معلومات نشر، (30/5).

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، (102/1).

[3] البقرة:109.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، (3/4).

[5] الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، (204/1).

خامساً: التجسس والخيانة

اليهود هم اليهود، ولا تكاد كلمة تعبر عنهم ، وتكشف خباياهم، وتصف حقيقتهم سوى أنهم يهود، أصحاب المكر والخيانة والتجسس والخديعة، أمة المغضوب عليهم، انتهكوا محارم الله تعالى، فحقت عليهم اللعنة والوعيد الشديد، وجعل منهم القردة والخنازير، وألبسهم ثوب الذلة والنخاسة أينما كانوا ، جزاءً لهم على خيانتهم وكفرهم وضلالتهم، وذلك لأنهم "ما كادوا يرون ظهور الإسلام، حتى بدأت فتنتهم بسبب الحسد وانطوائهم على اللؤم والمخادعة والخيانة والخسة، إذ أن هذه الصفات راسخة فيهم. ..قال فيهم القرآن وهو من أبلغ ما يوصف به أشرار الناس: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1] "[2]. فلا توجد رذيلة في الدنيا إلا وكان اليهود بها متصفين، ولغيرهم للعمل بها سابقين، منها رذيلة التجسس والخيانة، التي أثبتها القرآن الكريم لهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[3] ففي هذه الآية"وهو خطاب للرسول- ﷺ- يصور حال يهود في المجتمع المسلم في المدينة. فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله- ﷺ- وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة. بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم معه في المدينة- ثم في الجزيرة كلها- وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ. على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي آواهم، ورفع عنهم الاضطهاد، وعاملهم بالحسنى، ومكن لهم من الحياة الرغيدة فيه. ولكنهم كانوا دائماً- كما كانوا على عهد الرسول- عقارب وحيات وثعالب وذئاباً تضمر المكر والخيانة، ولا تني تمكر وتغدر. إن أعوزتهم القدرة على التنكيل الظاهر بالمسلمين نصبوا لهم الشباك وأقاموا لهم المصائد، وتآمروا مع كل عدو لهم، حتى تحين الفرصة، فينقضوا عليهم، قساة جفاة لا يرحمونهم، ولا يرعون فيهم إلا ولا ذمة"[1]. فصفة الخيانة متأصلة في نفوس اليهود، باقية فيهم لا تغادرهم، ظاهرة في جميع حركاتهم وسكناتهم، وهذا ما تشير إليه كلمة(خائنة) الواردة في

---

[1] المائدة:60.

[2] سابق، سيد، (ت:1420هـ)، **اليهود في القرآن**، دار الفتح للإعلام العربي-القاهرة، (ط4/1415هـ)،(1/33-34).

[3] المائدة:13.

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (859/2).

الآية، لتشمل معاني متعددة، منها" الفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة... لتبقى الخيانة وحدها مجردة، تملأ الجو، وتلقي ظلالها وحدها على القوم.. فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم، مع الرسول- ﷺ- ومع الجماعة المسلمة"[1].

كما أن هذه الكلمة تعني كذلك أن "خيانات يهود شاملة لكل النواحي والجوانب والأشكال والمجالات، مثلما هي مستمرة في الزمان والمكان"[2]. وهذا ما تؤكده الأحداث والوقائع، وتشهد له جميع تعاملات اليهود أينما حلوا ونزلوا، وذلك لأن صفة الغدر والخيانة والمكر عادة حية غير منقطعة لديهم، متنقلة فيهم من جيل إلى آخر، ومن الأصول إلى الفروع، لا تغادر سلالتهم، ولا تفارق فطرهم[3]. ولضمان نجاح خيانتهم وتجسسهم، وعدم معرفة الناس بها وافتضاح أمرهم، فإنهم غالباً ما يلجأون إلى ممارسة هذه الرذيلة بأسلوب ملتو وخبيث، فيه الكثير من المكر والدهاء كما أشار إلى ذلك الخطيب بقوله: "وفى التعبير عن الخيانة بالخائنة ما يكشف عن هذا الأسلوب الخبيث الذي يتخذه اليهود فى خياناتهم، وأنه أسلوب قائم على المداهنة والنفاق.. حيث يخرج اليهود خيانتهم فى خبث ودهاء ومواربة، فلا يلقون بها إلا حيث لا ترصدهم العيون، ولا تواجههم الوجوه! "[4]. فجهودهم منصبة على تحقيق الهدف المتمثل بالتجسس على الآخرين، ومعرفة أسرار الدول وأحوال الشعوب، لذا قد تختلف طرقهم في تحقيق الهدف "بين عصر وعصر على حسب اختلاف الحوادث والأفكار والمناسبات، واختلاف وسائل الإقناع والدعاية والتأثير، ولكنها في جوهرها شيء واحد، تتلخص في استطلاع الأسرار والخفايا، وتسخير سلطان المال لاستغلال...المراكز العالمية، والعلاقات الشخصية بأصحاب النفوذ من حكومات العالم جميعاً، وحكومات العالم الكبرى قبل سواها. فما من رئيس ذي سلطان في السياسة الدولية، وفي سياسة قومه يتركه الصهيونيون بغير رقابة منهم على القرب، تحيط به وتنفذ إلى

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**: (859/2).

[2] المرجع السابق: (216/1).

[3] انظر: مجمع البحوث، **التفسير الوسيط**، (1033/2).

[4] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (1054/3).

أسراره ونياته، وتبذل له الخدمة التي يتعودها، ويتوهم مع الزمن أنه لا يستغني عنها، فلا يزال معولا عليها في كل عمل يفكر فيه أو يقدم عليه"[1]

لقد امتاز تاريخ اليهود في جميع مراحله بالتجسس والخيانة، ولقد استطاع اليهود من خلال تواجدهم في غالبية دول العالم من استغلال هذا التواجد بهدف التجسس لصالح كيانهم المسخ، لذا تجدهم "يتاجرون بالتجسس لحساب كل الأطراف المتنازعة، إذ لا تربطهم بأي طرف منها عاطفة خاصة، حتى يتقيدوا بالولاء الصادق له، وما ولاؤهم الدائم إلا لأنفسهم ومصالحهم الفردية، مضافاً إليها المصلحة اليهودية العالمية"[2].

لذا لا تكاد تنقطع الأخبار بين فينة وأخرى عن اكتشاف خلايا تجسس تعمل لصالح اليهود في جميع مناحي الأرض، دون أيّ استثناء لدول معادية أو موالية لها، سالكة كل السبل الدنيئة والخسيسة لتحقيق هذا الغاية. أما تجسسهم على بلاد العرب والمسلمين فهو"أمر يحتاج منا إلى الحيطة والحذر ويشترك فيه الرجال والنساء، ويتدرب الجواسيس تدريباً كاملاً على استعمال الأجهزة، والآلات الخاصة بالاستقبال والإرسال، وكذا على فنون التصوير واستعمال المتفجرات وإرسالها داخل المظاريف... والخلاصة: أن التجسس من الأعمال التي برع فيها اليهود، وكان ولا يزال من أهم الوسائل التي يلجأون إليها لمعرفة أسرار الدول والجماعات؛ ليستغلوا هذه الأسرار في خدمة مصالحهم وفي الكيد لغيرهم وفي نشر الفساد في الأرض"[3].

سادساً: العدوان

الحديث عن اعتداءات اليهود ملازم لمسيرتهم منذ البداية وحتى يومنا الحالي، حتى غدت هذه الصفة ممزوجة في طبائعهم، ومتجذرة في نفوسهم. يصف سيد قطب هذا العدوان بقوله: "لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة. وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة. وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة

---

[1] العقاد، عباس محمود، **الصهيونية العالمية**، دار المعارف –مصر، (80/75/1).

[2] الميداني، **مكايد يهودية عبر التاريخ**، (396/1–397).

[3] طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، (616/1–617).

التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام ﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا، وما تزال حتى اللحظة يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعا "[1]، ويضيف سيد قطب بأن اليهود كانوا وما زالوا يقفون وراء كل عدوان أصاب الأمة الإسلامية على مدار التاريخ، ويبين بأنهم سبب لكثير من النزعات الإلحادية والحيوانية الجسدية، والنظريات الهدامة التي تعاني منها البشرية اليوم، وأن ضراوة المعركة بين اليهود والمسلمين كبيرة وضخمة، ولها الكثير من التبعات والآثار المترتبة عليها[2].

وقد أوضح القرآن الكريم أن أشد الناس عداوة للجماعة المسلمة، وأكثرهم حقداً وحسداً عليهم هم اليهود، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[3]، أي أن "أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود، وما ذلك إلا أنهم أهل عناد وجحود، وغمط للحقوق يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله، خاصة أهل العلم ورجال الدين، ولذا نراهم قتلوا الأنبياء بغير حق، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، ووقفوا مع النبي ﷺ مواقفهم المشهورة. فقد هموا بقتله، وحاولوا ذلك مرارا فسمّوه، وسحروه، وألّبوا عليه القبائل، وكانوا مصدر النفاق والشغب، هذا شأنهم دائما، فهم أهل مكر وخيانة، غلبت عليهم الأنانية وحب المادة، ولؤم الطبع وسوء الصنع "[4]. فلا غرابة إذن في شدة هذا العداء، وبلوغ هذه الخصومة مبلغاً عظيماً من قبل اليهود للجماعة المسلمة، حين يعلم المرء أن طبيعة اليهود التي صورها القرآن الكريم"تصويرًا قرآنيًّا بديعًا تعجز عنه أحدث نظريات علم النفس في كل عصر، مهما بلغ العقل مبلغ الإبهار البشري، حين أبدع في تصوير طبيعة اليهود المادية الطاغية من غلظة القلب وشدة الشكيمة، وفظاعة التصرف، وبشاعة الصنيع، وخبث العداوة، وخسة البغضاء، وعنادهم في الحق لغيرهم من البشر وخاصة مع المؤمنين، فهم أشد عداوة لهم من غيرهم، فلا تجد فيهم عرقًا واحدًا من المشاعر ينبض"[1].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، (413/2).

[2] انظر: المرجع السابق:(961/2).

[3] المائدة:82.

[4] حجازي، **التفسير الواضح**، (550/1).

[1] صبح، علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية**، المكتبة الأزهرية للتراث–مصر، (د.ط)، (د.ن)، (77/1).

إضافة إلى ذلك فإن جنوح اليهود إلى هذه العداوة ليس جنوحاً يسيراً أو متقطعاً أو يجدون فيه بعض الحرج بل إنهم "يعتدون على حرمات الله، ويستبيحون محارمه، وكأنهم يتناولون طعاما شهيا، على جوع وحرمان، وهم يأكلون أموال الناس بالباطل، وكأنها مائدة عيسى المنزلة عليهم من السماء! وهذا كله يكشف عن ضمائر ميتة، ومشاعر متبلّدة، لا تتأثّم من إثم، ولا تعفّ عن محرّم" [1]. وفوق ذلك كله فإنهم يمارسون عدوانهم بمسارعة شديدة، لا تأخر فيها ولا تباطؤ، وفي هذه المسارعة اليهودية" دليل على تغلغل الانحراف في قلوبهم وسيطرته على كيانهم، وتوجيهه لاختياراتهم وأعمالهم وخطواتهم وسيرهم وحركتهم...والمسارعة في الكفر والإثم والعدوان، قد شملت كل يهود، ووصلت إلى كل فئاتهم وطبقاتهم، حتى الفئة التي يظن فيها حماية الحق ونشر الرسالة ومواجهة الباطل وإصلاح الانحراف"[2].

هذا وقد أكد الحق سبحانه وتعالى على مسارعتهم في العدوان، ورغبتهم الجامحة في ممارسته، قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾[3]، أي "وترى أيها الرسول كثيرا من هؤلاء اليهود الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا- يسارعون فى الظلم والعدوان وتجاوز الحدود التي ضربها الله للناس "[4]. وعقوبة لهم على عدوانهم وجرائمهم المستمرة بحق المسلمين، فقد ضرب الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة، واستحقوا غضبه سبحانه وتعالى. وقد قادهم هذا العدوان إلى الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء بغير حق، قال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

ومازالت اعتداءات اليهود شاهدة للعيان إلى يومنا الحالي، فعدوانهم على شعبنا الفلسطيني المرابط، وشعوب المنطقة كلها لم يتوقف، ففي كل يوم يستيقظ العالم أجمع على

---

[1] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (1130/3).

[2] الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، (246/1).

[3] المائدة:62.

[4] المراغي، **تفسير المراغي**، (150/6).

[1] آل عمران: 112.

اعتداءات جديدة تنفذها عصابات اليهود المجرمة، مستهدفين أهل فلسطين وأرضهم ومقدساتهم، لا يرقبون فيهم إلّاً ولا ذمّة؛ فكم من حرب شنت على أهل غزة الصامدين خلال الأعوام الماضية، وكم من السنين مضت والحصار مفروض عليهم، وكم من شهيد ارتقى للعلا خلال الفترة السابقة، وكم من جريح سالت دماؤه، وكم من أسير غيبته جدران السجون وراءها، وكم من اقتحام تعرض له المسجد الأقصى ومازال، وكم من مساجد دُنست، وكم من أرض صودرت وجرفت، وكم من أشجار قطعت وحرقت، وكم من طرق أغلقت ومنع المو اطنون من المرور فيها ؟؟؟! وكم وكم وكم.. أسئلة ليس لها إلا إجابة واحدة تتمثل بالعدوان الإسرائيلي المتواصل ليس غير.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بفضله تتم الطاعات وتغفر الزلات، نحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين المقرين بنعمه وآلائه؛ على ما يسر وسهل وأعان على إتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الخيار الكرام، وبعد:

فإنه من المفيد في ختام هذه الرسالة، وبعد التطواف والبحث في آفاق كتب التفسير، وكتب الحديث، فيما يتعلق بموضوع الرسالة، أن يورد الباحث أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها:

أولاً: النتائج

1 -الطغيان في الاصطلاح، لا يخرج عن معناه في اللغة وهو مجاوزة الحد، يكون في الأمور المادية، وقد يكون في الأمور المعنوية.

2 -هناك الكثير من الكلمات التي تشترك مع الطغيان من حيث المفهوم، منها (العتو، العلو، العدوان، البغي، الظلم).

3 -الآيات التي تحدثت عن الطغيان في العهد المكي أكثر منها في العهد المدني، والسبب يعود إلى كثرة انتشار الشرك الناتج عن الطغيان في العهد المكي، وتحذير المسلمين من عواقب الطغيان والوقوع فيه.

4 -يوجد للطغيان أسباب ودوافع داخلية، منها (الكبر والعلو، والعجب والغرور، والحقد والحسد)، وأسباب ودوافع خارجية، منها (الملك والسلطة، والمال والولد، وطاعة الناس للطغاة واتباعهم لهم).

5 -تعددت مجالات الطغيان لتشمل الطغيان العقدي والسياسي والاجتماعي والمالي.

6 -برز الطغيان العقدي بشكل واضح لدى فرعون من خلال ادعائه الألوهية والربوبية، واستئثاره بمعرفة الخير والهداية لنفسه فقط.

7 -يتجلى الطغيان السياسي في أيامنا هذه من خلال الكثير من المسؤولين الذين يتولون مناصب متقدمة في دولهم ومجتمعاتهم.الأمر الذي يترتب عليه آثار سيئة على الأفراد والمجتمع.

8 - يؤدي أعوان الطغاة (الملأ) دوراً مهماً في وجود وانتشار الطغيان السياسي.

9 - الطغيان الاجتماعي يؤدي إلى نشر الفرقة والخلاف بين أبناء المجتمع، ويهدد وحدتهم، ويضعف قوتهم، ويفرق كلمتهم، ويشتت جمعهم.

10 - الطغيان المالي يتولد لدى الأفراد والمجتمعات نتيجة كثرة الغنى والأملاك، وقد تجسد هذا الطغيان بصورة جلية لدى قارون الذي حاز من المال الشيء الكثير.

11 - للطغيان آثار وخيمة على الطغاة منها: الضلال، وظلم النفس، واستحقاق غضب الله تعالى، وكراهية العباد لهم، وحملهم لأوزار من يتبعونهم.

12 - يتسبب الطغيان بنشر الظلم ووقوعه على الناس، وإفساد المجتمع وإضعافه، وهلاك الأمم وضياعها.

13 - يمكن للفرد حماية نفسه من الوقوع في الطغيان من خلال توحيده لله تعالى، وتمسكه بالكتاب والسنة.

14 - يستطيع المجتمع حماية ذاته من الطغيان من خلال التربية السليمة لأفراده، ومحاورة ومجادلة الطغاة بالتي هي أحسن، ومواجهتهم بكل جرأة وشجاعة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

15 - يعد طغيان فرعون فريداً لا مثيل له، بما امتلك من صفات مكنته من أن يطغى في الأرض، وأن يتكبر على ساكنيها.

16 - امتاز طغيان قوم نوح بسمات عدة، منها: الظلم، والاستكبار، والمكر، والسخرية والاستهزاء، والكفر.

17 - يعد الطغيان لدى بني إسرائيل متجذراً لديهم، يظهر ذلك من خلال نقضهم للعهود، وكثرة الإفساد، وضخامة القتل والإجرام، والحسد والتجسس، والخيانة والعدوان.

ثانياً: التوصيات

1 -أوصي الجهات الرسمية وفي مقدمتها المؤسسات الدينية العمل على بيان مخاطر الطغيان وآثاره الوخيمة على الأفراد والمجتمع.

2 -أوصي نفسي وكل من قرأ بحثي بتجنب الطغيان، وغاية الحذر من الوقوع فيه، ومناصرة أهله.

3 -أوصي كل مسلم حر أبي أن يقي نفسه وأهله وكل من له وصاية عليهم من الوقوع في الطغيان، وأن يسلك كل طرق الوقاية لذلك.

4 -أوصي كل مسؤول كلٌ في موقعه الحذر من الطغيان والعمل به، وسد طرق منابعه.

المسارد

مسرد الآيات القرآنية

مسرد الأحاديث النبوية

مسرد الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	الآية	الصفحة
.1	﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	البقرة	15	12
.2	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾	البقرة	16	93
.3	﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾	البقرة	27	77
.4	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴾	البقرة	34	160
.5	﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾	البقرة	35	19
.6	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ يَعۡلَمُونَ.. ﴾	البقرة	83	166
.7	﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	البقرة	83	170
.8	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ﴾	البقرة	84	170
.9	﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ ﴾	البقرة	85	170
.10	﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ عَلَى.. ﴾	البقرة	89	175
.11	﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞۚ مِّنۡهُم ٱلۡمَوۡتَ.. ﴾	البقرة	100	168
.12	﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ أَلَمۡ.. ﴾	البقرة	109	176
.13	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ	البقرة	173	16، 18
.14	﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾	البقرة	188	77

.15	﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ	البقرة	190	65
.16	﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	البقرة	193	15
.17	﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	البقرة	194	65 ،16
.18	﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ غَفُورٌ .. ﴾	البقرة	229	95
.19	﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ ﴾	البقرة	231	14
.20	﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾	البقرة	255	31
.21	﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ وَرَفَعَ .. ﴾	البقرة	256	149
.22	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	البقرة	256	112
.23	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ .. ﴾	البقرة	257	113
.24	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾	البقرة	258	48
.25	﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾	البقرة	258	36
.26	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ ﴾	ال عمران	11	144
.27	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلصَّٰدِقِينَ ..	ال عمران	21	173
.28	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ كُنتُمْ .. ﴾	ال عمران	110	124
.29	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ كُنتُمْ ﴾	ال عمران	112	181
.30	﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ لَهُمْ .. ﴾	ال عمران	164	114
.31	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ .. ﴾	ال عمران	173	119

32.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّنْهُمَا.. ﴾	النساء	1	73
33.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾	النساء	10	79
34.	﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾	النساء	14	14
35.	﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	النساء	19	74
36.	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ هَادُواْ .. ﴾	النساء	51	20
37.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	النساء	58	80
38.	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ قَبۡلِكَ .. ﴾	النساء	60	93
39.	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ قَبۡلِكَ .. ﴾	النساء	65	54
40.	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ .. ﴾	النساء	76	21
41.	﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا ﴾	النساء	93	78
42.	﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا .. ﴾	النساء	160- 161	78
43.	﴿ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾	النساء	174	114
44.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾	المائدة	1	76

45.	﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ	المائدة	2	15
46.	﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ ﴾	المائدة	30	34
47.	﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾	المائدة	13	170
48.	﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ ﴾	المائدة	13	177
49.	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴿٥٨﴾.. ﴾	المائدة	59	46
50.	﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾	المائدة	60	97،177
51.	﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴿٥٨﴾ ﴾	المائدة	62	181
52.	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ... ﴾	المائدة	64	22
53.	﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴿٥٨﴾.. ﴾	المائدة	64	33
54.	﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا... ﴾	المائدة	64	171
55.	﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾	المائدة	64	172
56.	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾	المائدة	68	22
57.	﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	المائدة	68	168
58.	﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَوۡ.. ﴾	المائدة	70	173
59.	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ قَدۡ.. ﴾	المائدة	79-78	126
60.	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ قَدۡ.. ﴾	المائدة	82	180
61.	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾	الانعام	21	19
62.	﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾	الانعام	38	1

.63	﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الانعام	45	98
.64	﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾	الانعام	65	156
.65	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	الانعام	82	114
.66	﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	الانعام	108	16
.67	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ ۚ .. ﴾	الانعام	110	21
.68	﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ .. ﴾	الانعام	112	71
.69	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ حَرَٰمَ .. ﴾	الانعام	123	162
.70	﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	الانعام	150	43
.71	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾	الانعام	153	93
.72	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	الانعام	164	100
.73	﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	الاعراف	12	32
.74	﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾	الاعراف	12	33 ،32
.75	﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ۖ .. ﴾	الاعراف	38	99
.76	﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَجَدتُّمْ .. ﴾	الاعراف	47	98
.77	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ ۚ .. ﴾	الاعراف	59	111
.78	﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾	الاعراف	77	12
.79	﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾	الاعراف	82	50

.80	﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ .. ﴾	الاعراف	93	121
.81	﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ .. ﴾	الاعراف	102	76
.82	﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ .. ﴾	الاعراف	136	144
.83	﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	الاعراف	157	123
.84	﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	الاعراف	186	115،92
.85	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ .. ﴾	الانفال	27	61
.86	﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	الانفال	46	119
.87	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ .. ﴾	التوبة	34	79
.88	﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ .. ﴾	التوبة	67	124
.89	﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .. ﴾	التوبة	70	94
.90	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ .. ﴾	التوبة	71	124
.91	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ .. ﴾	التوبة	123	122
.92	﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ .. ﴾	يونس	11	22
.93	﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	يونس	23	18
.94	﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	يونس	83	134
.95	﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ .. ﴾	يونس	83	135

96.	﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً أَلْقُوا۟ .. ﴾	يونس	88	38
97.	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ أَلْقُوا۟ .. ﴾	يونس	88	153
98.	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ وَجَوَزْنَا .. ﴾	يونس	91-90	88
99.	﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾	هود	36	163
100.	﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ .. ﴾	هود	38	164
101.	﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾	هود	40	163
102.	﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾	هود	42	162
103.	﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	هود	42	167
104.	﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾	هود	97	141
105.	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ .. ﴾	هود	102	105
106.	﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾	هود	112	117
107.	﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾	هود	113	129،118
108.	﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾	يوسف	8	73
109.	﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾	يوسف	9	73
110.	﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	الرعد	32	164
111.	﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	إبراهيم	7	ث
112.	﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾	ابراهيم	46	161

113	﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾	النحل	23	136،30
114	﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ .. ﴾	النحل	25	100
115	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا .. ﴾	النحل	36	103،11،22
116	﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ عَن .. ﴾	النحل	97	116
117	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ إِنَّ .. ﴾	النحل	125	122
118	﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾	الاسراء	4	171
119	﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ ﴾	الاسراء	4	14
120	﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	الاسراء	4	30
121	﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴿٨﴾ .. ﴾	الاسراء	16	86
122	﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾	الاسراء	34	76
123	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ	الإسراء	60	23
124	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾	الاسراء	70	48
125	﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾	الكهف	28	118
126	﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ... ﴾	الكهف	32	87
127	﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ... ﴾	الكهف	34	87
128	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾	الكهف	35	94
129	﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾	الكهف	37	83

130	﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ وَمَآ .. ﴾	الكهف	42	88
131	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾	الكهف	53	89
132	﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ سَأَلْنَٰكَ .. ﴾	الكهف	80	39
133	﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾	الكهف	104	31
134	﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾	مريم	8	13
135	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ إِنَا.. ﴾	مريم	42	121
136	﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾	طه	15	100
137	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	طه	24	22
138	﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	طه	43	11،22، 119
139	﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	طه	44	120
140	﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾	طه	45	23
141	﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	طه	56	146
142	﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم بَلْ .. ﴾	طه	71	104،140
143	﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ بَلْ .. ﴾	طه	72	119
144	﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم لَّا .. ﴾	طه	78	62
145	﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ... ﴾	طه	81	97
146	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ذِكْرًا .. ﴾	طه	112	19
147	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ وَحْيُهُۥ.. ﴾	طه	124	96،116
148	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾	طه	132	70

149	﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم بِذِكۡرِ.. ﴾	الانبياء	41	165
150	﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ بِـَٔالِهَتِنَآ.. ﴾	الانبياء	59	109
151	﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾	الانبياء	68	46
152	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ أُخۡرِجُواْ.. ﴾	الحج	41	125
153	﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴾	الحج	42	145
154	﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ لَقَدِرُونَ.. ﴾	المؤمنون	24	165
155	﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلۡقَوۡمِ.. ﴾	المؤمنون	28	98
156	﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ كُلَّ.. ﴾	المؤمنون	46-45	136
157	﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ كُلَّ.. ﴾	المؤمنون	46	64
158	﴿ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ وَلَقَدۡ..	المؤمنون	75	22
159	﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ كُلَّ.. ﴾	النور	2	122
160	﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ	النور	9	96
161	﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾	النور	33	78
162	﴿ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾	الفرقان	21	12
163	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ ﴾	الفرقان	21	13
164	﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ إِلَىٰ.. ﴾	الفرقان	36	145

165	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾	الشعراء	21	140
166	﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾	الشعراء	27	164
167	﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ.. ﴾	الشعراء	29	138
168	﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾	الشعراء	41	59
169	﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾	الشعراء	49	149
170	﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾	الشعراء	227	105
171	﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ	الشعراء	150-151	43
172	﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ	الشعراء	181-183	80
173	﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	النمل	14	135
174	﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾	النمل	40	83
175	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴿٥٢﴾.. ﴾	النمل	52	69
176	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	القصص	4	135،14
177	﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ جَآءَ.. ﴾	القصص	4	137
178	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ جَآءَ.. ﴾	القصص	4	143
179	﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	القصص	4	155
180	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ٱلْمَدِينَةَ.. ﴾	القصص	20	60
181	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾	القصص	38	58،54

182	﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ	القصص	39	136
183	﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ ﴾	القصص	40	137
184	﴿ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ بِهَٰذَا .. ﴾	القصص	40	95
185	﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾	القصص	40	106
186	﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾	القصص	76	84
187	﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ	القصص	77	89
188	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	القصص	78	87
189	﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ مِن .. ﴾	القصص	83	118،135، 14
190	﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾	العنكبوت	13	100
191	﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ سَٰبِقِينَ .. ﴾	العنكبوت	39	84
192	﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى .. ﴾	العنكبوت	46	122
193	﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾	الروم	30	133
194	﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا إِذَا .. ﴾	الروم	41	106
195	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ .. ﴾	لقمان	13	95
196	﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ .. ﴾	لقمان	19-17	70
197	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	الاحزاب	21	70
198	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾	الاحزاب	58	80
199	﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	الاحزاب	62	137

200	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ بَلۡ.. ﴾	سبأ	33-32	40
201	﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	سبأ	33	101
202	﴿ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ ﴾	يس	12	100
203	﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ فَكَذَّبُوهُمَا .. ﴾	يس	21-20	128
204	﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾	يس	26	128
205	﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴾	الصافات	30	22
206	﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾	ص	55	95 ،22
207	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ.. ﴾	الزمر	17	21
208	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ... ﴾	غافر	24-23	85
209	﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَوۡ.. ﴾	غافر	26	147،29
210	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ أَوۡ.. ﴾	غافر	28	127
211	﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَوۡ.. ﴾	غافر	29	28، 31، 35، 140
212	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ .. ﴾	غافر	60	30
213	﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾	الشورى	5	105
214	﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	الشورى	27	17
215	﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾	الشورى	42	17

216	﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	الزخرف	7	67
217	﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾	الزخرف	51	58،35
218	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ .. ﴾	الزخرف	51	151،87
219	﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾	الزخرف	54	54 ،40
220	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى يَرْجِعُونَ .. ﴾	الزخرف	53-51	152
221	﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾	الدخان	14	104
222	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ	الدخان	29	98
223	﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ..	الجاثية	8-7	158
224	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ .. ﴾	الاحقاف	20	159
225	﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٥﴾ .. ﴾	الحجرات	9	17
226	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	الحجرات	10	64
227	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ ﴿٥﴾ .. ﴾	الحجرات	11	65
228	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ تَجَسَّسُوا۟ ..	الحجرات	12	67
229	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾	ق	27	23
230	﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	الذاريات	53	56 ،23
231	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	56	96
232	﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾	الذاريات	39	105

233	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	الطور	32	23
234	﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ .. ﴾	الطور	47	157
235	﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾	النجم	17	22
236	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾	النجم	52	25 ،23
237	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	الرحمن	8	78 ،23
238	﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾	الرحمن	20	18
239	﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ تَنزِيلٌ .. ﴾	الواقعة	87-83	50
240	﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾	الحديد	7	79
241	﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾	الحشر	7	76
242	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ ..	التغابن	14	39
243	﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ .. ﴾	الطلاق	1	94
244	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ .. ﴾	التحريم	6	91 ،68
245	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ ..	التحريم	11	98
246	﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾	القلم	31	23
247	﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾	الحاقة	5	25
248	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	الحاقة	6	12
249	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾	الحاقة	11	9، 11، 13، 16، 19، 23
250	﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ سَدُّوٓا۟ .. ﴾	نوح	7	155، 157
251	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾	نوح	21	39

252	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾	نوح	22	158
253	﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾	نوح	24	155
254	﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾	القيامة	33	29
255	﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٖ ﴾	الانسان	21	13
256	﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴾	النبأ	22	23
257	﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا سَيَعۡلَمُونَ.. ﴾	النبأ	28-27	142
258	﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	النازعات	17	132 ،22
259	﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُلۡ.. ﴾	النازعات	19-17	118
260	﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾	النازعات	21-20	142
261	﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	النازعات	24	58 ،52
262	﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾	النازعات	37	22
263	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ.. ﴾	المطففين	30-29	66
264	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ... ﴾	المطففين	3-1	77
265	﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٨ .. ﴾	البروج	8	46 ،45
266	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ ... ﴾	البروج	10	51
267	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٨ .. ﴾	البروج	11	51
268	﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾	الاعلى	17	88
269	﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ فِي.. ﴾	الفجر	13-6	96
270	﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ فِي.. ﴾	الفجر	10	62

271	﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِى ٱلۡأَوۡتَادِ.. ﴾	الفجر	12-10	140 ،118
272	﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ... ﴾	الفجر	11	26 ،23
273	﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴾	الفجر	12-11	105
274	﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ ﴾	الفجر	13-11	26
275	﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ يَغۡشَىٰهَا.. ﴾	الشمس	11	25
276	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ... ﴾	العلق	6	23 ،11
277	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن.. ﴾	العلق	7-6	79 ،76 ،38

مسرد الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	المرجع	الصفحة
1	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا	صحيح البخاري	76
2	اعدلوا بين أولادكم اعدلوا بين أبنائكم	سنن أبي داود	72
3	أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟	صحيح البخاري	73
4	ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته	صحيح مسلم	71
5	أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر	صحيح مسلم	114
6	إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام	صحيح مسلم	67
7	إن المقسطين عند الله على منابر من نور	صحيح مسلم	70
8	أنت أحق به ما لم تنكحي	سنن أبي داود	73
9	إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث	صحيح مسلم	67
10	بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم	صحيح مسلم	76
11	ثلاث مهلكات؛ شح مطاع	مسند البزار	31
12	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب	المستدرك على الصحيحين	128
13	فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام	صحيح مسلم	65
14	لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا	صحيح مسلم	33
15	لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا	صحيح مسلم	67
16	لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم	صحيح مسلم	9

17	لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد	صحيح البخاري	72
18	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح	صحيح مسلم	65
19	لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر	صحيح البخاري	42
20	لما قضى الله الخلق كتب في كتابه	صحيح البخاري	94
21	ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة	صحيح البخاري	60
22	ما ضرب رسول الله ﷺ قط بيده	صحيح مسلم	73
23	ما من عبد يسترعيه الله رعية	صحيح مسلم	61
24	ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم	السنن الكبرى	77
25	مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم	صحيح مسلم	64
26	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان	صحيح البخاري	103
27	من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه	صحيح مسلم	154
28	من دعا إلى هدى، كان له من الأجر	صحيح مسلم	101
29	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	صحيح مسلم	119
30	من غشنا فليس منا	صحيح مسلم	80
31	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرا	صحيح مسلم	73
32	نعم، صلي أمك	صحيح البخاري	74
33	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	صحيح مسلم	65
34	يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة	صحيح البخاري	37
35	يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين	صحيح مسلم	51

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم مصطفى، وآخرين، **المعجم الوسيط** ، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ن).
- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل ، (ت: 1414هـ)، **الموسوعة القرآنية** ، مؤسسة سجل العرب، (د.ط)، 1405ه.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ب(د.ط)، 1399هـ.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الازهري الهروي، أبو منصور، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، بدون معلومات نشر.
- الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة_لبنان، (د.ط)، (د.ن).
- الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، **تفسير الراغب**، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، (ط1/1420هـ)
- آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد ، (ت: 1376هـ)، **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، دون معلومات نشر.
- الآلوسي، محمود أبو الفضل، (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (ت: 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط1/1422).
- البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة**، مكتبة الرشد– الرياض، (ط11/1418هـ).

- البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**، مكتبة دار القلم _الرياض، (ط1/1416هـ).
- البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت: 1127هـ)، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربي.
- البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر، (ت:292هـ)، **البحر الزخار**، تحقيق:محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (ط1، 1988م-2009م).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 516 هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، (ط4/1417هـ).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، (د.ط)، (د.ن).
- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم_ المدينة المنورة، (ط5/1424هـ).
- بهجت، أحمد **فرعون والطغيان السياسي**، العصر الحديث_بيروت، (ط1/1408هـ).
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط1، 1418هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، (ت: 458هـ)، **السنن الكبرى** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية_بيروت، (ط3/ 1424هـ).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: 661هـ)، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، تحقيق: د.صالح المنجد، دار الكتاب الجديد_بيروت، (ط1/ 1936هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت: 816هـ)، **التعريفات**، دار الكتاب العربي_بيروت، (ط1/1405هـ).

- الجلعود، محماس بن عبد الله بن محمد، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، دار اليقين–الرياض، (ط1/1407هـ).
- الجليند، محمد السيد، **الوحي والإنسان**، دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع_القاهرة.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1، 1411هـ).
- حجازى، محمد محمود، (ت: 1432هـ)، **التفسير الواضح** ، دار الجيل الجديد _بيروت، (ط1413/10هـ).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت: 725هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر – بيروت / لبنان – 1399هـ، (د.ط)، دون تحقيق.
- خالد، عبد الواحد، **نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من ومتى وكيف** ، دون معلومات نشر.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح **مع قصص السابق ين في القرآن** ، دار القلم_ دمشق، (ط1428/5).
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع_دمشق، (ط1407/1هـ).
- الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: 1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن** ، دار الفكر العربي_القاهرة.
- الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، (ت: 1402هـ)، **أوضح التفاسير**، المطبعة المصرية، (ط6/ 1383ه).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت: 808هـ)، **مقدمة ابن خلدون** ، دون معلومات نشر.
- داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ط)، (د.ن).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، (ت : 748هـ)، **الكبائر**، دار الندوة الجديدة–بيروت.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت: 604هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1/1421ه).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت: 666هـ)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، (1415هـ).
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرازق، (ت: 1356هـ)، **وحي القلم**، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت، (د.ط)، (د.ن).
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط2–الكويت، (د.ن).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى **التفسير الوسيط**، دار الفكر_دمشق، (ط1/1422ه).
- .....، (ت: 1429هـ)، **التفسير المنير** ، دار الفكر المعاصر، بيروت_ دمشق، (د.ط)، 1418هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن (ت:538هـ)، أحمد **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ط)، (د.ن).
- .....، **أساس البلاغة**، دار الفكر، (د.ط)، 1399هـ.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد(ت: 1394هـ)، **المعجزة الكبرى القرآن** ، دار الفكر العربي، دون معلومات نشر.
- .....، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ن).
- زيدان، عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** ، (مؤسسة الرسالة _بيروت)، (ط1/1413هـ).
- سابق، سيد، (ت:1420ه)، **اليهود في القرآن** ، دار الفتح للإعلام العربي_القاهرة، (ط4/1415هـ).
- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، (ت: 330هـ)، **كتاب غريب القرآن** ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، (د.ط)، 1416هـ.

- السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، (ت: 515هـ)، **الأفعال**، عالم الكتب_ بيروت، (ط1/1403هـ_1983م).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ).
- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ، (ت:489هـ)، **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)**، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض، (د.ط)، 1418هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين **المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى** ، دون معلومات نشر.
- .....، **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**، (ط1/1433هـ).
- .....، جلال الدين **موسوعة الدفاع عن الرسول** ﷺ، دون معلومات نشر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين **موسوعة الدين النصيحة 1_5**، دون معلومات نشر.
- .....، **موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة**، دون معلومات نشر.
- .....، (ت: 911هـ)، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار** ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1424هـ.
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت:665هـ)، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ن).
- الشحود، علي بن نايف، **لماذا يمزق القرآن الكريم**، دون معلومات نشر.
- الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، (ط1/1414هـ).
- الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، مكتبة الرشد_المملكة العربية السعودية، (ط1/1415هـ).

- صبح، علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية** ، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، (د.ط)، (د.ن).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1/1420هـ).
- طنطاوي، محمد سيد(ت: 1431هـ)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط1، (د.ن).
- .....، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، دار الشروق_مصر، (ط2/1420هـ).
- عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (ط1/1419هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير ــ** الطبعة التونسية، دار سحنون– تونس، (د.ط)، 1997 م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي–بيروت، (د.ط).
- عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الصوفي، (ت: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، (ط:1419هـ).
- العسكري، أبو هلال، (ت: 395هـ)، **معجم الفروق اللغوية** ، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، (ط1/1412هـ).
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الاندلسي، (ت: 546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية_لبنان، (ط1/1413هـ).
- العقاد، عباس محمود، **الصهيونية العالمية**، دار المعارف –مصر.

- الغزالي، زينب محمد الجبيلي، (ت: 1426هـ)، **أيام من حياتي** ، دار النشر والتوزيع الإسلامية-مصر، (د.ط)، 1999م.
- الغزالي، محمد أحمد السقا **الإسلام والطاقات المعطلة**، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دون معلومات نشر.
- .....، **قذائف الحق**، دار القلم- دمشق، (ط1418/2هـ).
- .....، (ت:1416هـ)، **الإسلام والاستبداد السياسي**، دار الكتاب العربي، (د.ن).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (ط/1399هـ).
- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، (ت: 175هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ن).
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، دار الرسالة، بيروت - لبنان، (ط1426/8ه).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (ت: 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، (ط1418/1هـ).
- القحطاني، د. سعيد بن على بن وهف، **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة** ، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط)، (د.ن).
- القرضاوي، يوسف **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي** ، مكتبة وهبة - القاهرة، (ط1417/2هـ).
- .....، **من فقه الدولة في الإسلام**، دار الشُّرُوق-القاهرة، (ط1417/1هـ).
- .....، **ديوان الشعر:المسلمون قادمون**، مكتبة وهبة-مصر، ط1، 1422هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، (1423/1هـ).
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي(ت:1385هـ)، **معالم في الطريق**، دار الشروق-مصر، (ط1979/6).
- .....، **في ظلال القرآن**، دون معلومات نشر.

- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت: 615هـ)، **إعلام الموقعين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل – بيروت،1973م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،(ط1/1419هـ).
- .....، **قصص الأنبياء** ، تحقيق: د.عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية_مصر، (ط5/1417هـ).
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، مؤسسة الرسالة–بيروت، 1419ه.
- الكَوَاكِبي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود، (ت: 1320هـ)، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، المطبعة العصرية –حلب.
- الكيلاني، هيثم، **الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل** ، دار الشروق –القاهرة، (ط1/1417هـ).
- اللهيميد، سليمان بن محمد، **شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب**، دون معلومات نشر.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، (ت: 333هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ.
- مجمع البحوث الإسلامية، مجموعة من العلماء، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (ط1/1393هـ).
- المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد ، (ت:864هـ)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ) **تفسير الجلالين**، دار الحديث–القاهرة، ط1، (د.ن).
- المخزومي، محمد باشا، (ت:1348هـ)، **خاطرات جمال الدين الأفغاني**.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي** ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده –مصر، (ط1/1365هـ).

- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي –بيروت، (د.ط).
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت ، دمشق، (ط1/1410ه).
- ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر– بيروت، (ط3/1414هـ).
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة(ت:1425هـ)، **مكايد يهودية عبر التاريخ**، دار القلم– بيروت، (ط2/1398هـ).
- .....، **صراع مع الملاحدة حتى العظم**، دار القلم، سوريا.
- النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر، (ت:338هـ)، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق: محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة – جامعة ام القرى، (ط1/1409هـ).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.
- النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: 437هـ)، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، (ط1/ 1422 هـ – 2002 م).
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، (ط1/1421هـ).
- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، (ت: 213هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (د.ن).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الشافعي، (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، (ط1/1415هـ).
- وليم كار، **اليهود..وراء كل جريمة**، دار الكتاب العربي–بيروت، (ط2/1402هـ).

مراجع انترنت

- أسامة، علي محمد سليمان، **تفسير القرآن الكريم**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net ، (2/11).
- جرار، بسام، محاضرة بعنوان: **نظرات في تفسير سورة الإسراء، ج 4**، https://www.youtube.com/watch?v=GYd2RsW9wBA
- السحيم، عبد الرحمن بن عبدالله، مقال بعنوان: **صار فرعون واعظاً** ، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/assuhaim/276.htm
- الشامي، زكريا جمعة، مقال بعنوان: **جرائم اليهود في الماضي والحاضر** ، http://www.alukah.net/culture/0/47037.
- شحرور، محمد، مقال بعنوان: **الاستبداد السياسي**، الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور، http://www.shahrour.org/?page_id=589
- عودة، جاسر، مقال بعنوان: **مقاصد الشريعة لكسر تحالف الاستبداد السياسي والاستبداد الديني**، يقظة فكر، http://feker.net/ar/2015/06/15/7586
- القرضاوي، **إصلاح الفساد السياسي واجب شرعاً**، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، http://qaradawi.net/new/all-fatawa/5476-2011-11-20-01-41-26.
- ..... مقال بعنوان"**الخشونة والغلظة**"، الموقع الرسمي للدكتور يوسف القرضاوي، http://qaradawi.net/new/library2/291-2014-01-26-18-54-35/3924
- ..... من برنامج الشريعة والحياة، مقال بعنوان: (الطغيان وعاقبة الطغيان)، الجزيرة نت، انظر: http://aljazeera.net/programs/religionandlife/2013/5/1.
- ..... مقال بعنوان: **هل صحيح أن الاستبداد السياسي من علامات الساعة**، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، انظر:

http://www.qardawi.net/new/all-fatawa/5191-2011-08-10-17-42-32.

- مجموعة من المؤلفين، **مقالات موقع الدرر السنية**، dorar.net، (88/2).

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Oppression

" Quranic Study"

Prepared by

Nader Mustafa Mohammad Sawafta

Supervised by

Dr.Odeh Abdullah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An–Najah National University, Nablus, Palestine.

2015

Oppression

Quranic study

Prepared by

Nader Mustafa Mohammed Sawafta

Supervision

Dr.Odeh Abdullah

Abstract

This letter addressed the issue of tyranny through the verses of the Koran, and were as follows:

The first chapter talked about the tyranny in the language and terminology Marja on words related; Kalato and height, aggression and oppression, injustice, and all due to the meaning of limit is exceeded, as well as talk about the tyranny in Quranic context.

Then followed by the second chapter in the reasons for tyranny and motivation, self-ones; Kkabr and wonder and envy, and external ones; as the King and power and money.

Then the third quarter in the areas of tyranny: lumpy and political, financial and social.

Chapter IV then talked about the effects of the tyranny of tyrants Bnalhm delusion and the wrath of God Almighty and hating them slaves, as well as its effects on society achieved the injustice, corruption and perdition.

Then Chapter V in census methods of prevention of tyranny by individuals doing unification of God and uphold the book and the year, and through the community doing the right education for individuals, and dialogue with

dictators and argue with them, and the Promotion of Virtue and Prevention of Vice, and courage in the face of tyrants.

Chapter VI then mention models of tyranny and in the Qur'an, which shows the presence of tyranny among the clans and individuals.

It has emerged through this letter that tyranny serious illness, and has serious consequences for all of humanity, and God Almighty through the many verses of the Quran, which warned it fought against it, and revealed the ugliness and asking about, and called for staying away from it and confront it with all legitimate means, because of the result its existence polluting the life and murder of neighborhoods.